كتاب السلام

١٣١- باب فضل السَّلام والأمر بإفشائه

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء: ٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٥].

الحديث رقم (٨٤٥)

٨٤٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)) متفقٌ عَلَيْهِ(١).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث من باب رد السلام، والترغيب فيه ورد في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعظم بتوكيده دون مقابلة بإنكار، أو معارضة، وقد بدأ بقول الراوي (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ)، وتنكير لفظ (رجل) للجهل به، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وسؤاله (أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟) فيه إيجاز بالحذف أي: أيُّ أعمال الإسلام أكثر نفعاً، وقوله: (تُطْعِمُ

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩/٦٣ ولفظهما سواء، وقد تقدم برقم ٥٤٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٧٦، وتقدم رقم ٥٤٩.

الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) فيه إيجاز بحذف ما دل عليه السؤال أي: أعظم الأعمال أن تطعم، والتعبير بالفعل (تطعم) دون المصدر، لأن فيه ترغيباً بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويجسِّد الحدث المرغب فيه، وفي قوله (تطعم الطعام) جناس يأثر السمع ويؤكد المعنى، وقوله (وَتَقْرَأُ السَّلامَ) أي تلقي التحية المعروفة بصيغتها، وبين هذه الجملة، والتي سبقتها سجع طبعي أحدث جرساً يستوقف السمع فيقر المعنى في القلب، وقوله (عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) تتميم بلاغي أفاد عموم السلام، لأنه ينشر الألفة، والمحبة بين عامة المسلمين، وبين قوله (عرفت، لم تعرف) طباق سلب يؤكد عموم السلام وشموله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٩).

الحديث رقم (٨٤٦)

٨٤٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ - نَفَرٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ جُلُوس- فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيتِكَ. فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل السلام يقرر أن تلك الصيغة للسلام هي اختيار الله لأنبيائه، وللمؤمنين إلى يوم القيامة، يقوم على القصة، والحوار متعدد الأطراف فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن آدم عليه السلام، في حواره مع الملائكة، وهذا يدل على أن تحية الإسلام هي تحية جميع الأنبياء من بداية البشرية، ولا ينبغي أن يستبدلها إنسان بغيرها، وقوله: (اذهب فسلم) أسلوب أمر جاء تصويراً، وحكاية لما وقع بين آدم، وربه عند خلقه، وقوله (على أولئك) الإشارة للتفخيم، وعلى للاستعلاء إشارة إلى علو السلام، وأنه يأتي من عالٍ وهو السلام - عز، وجل - وقوله (فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ) أمر بإتباع تلك التحية، وجملة (فإنها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكِ) تعليلية، وفيها إشارة إلى اعتمادها تحية للمؤمنين من أتباع جميع الأنبياء، وقوله (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا) ومعنى السلام عليكم أي معكم، وقيل معناه: الله مطلع عليكم، فلا تغفلوا، وقيل معناه: اسم السلام عليكم أي: اسم الله عليكم إذ كان اسم الله يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتقاء عوارض الفساد عنه، وقيل معناه: السلامة لكم كأن المسلم بسلامه على غيره معلم له بأنه مسالم له لا يخافه، وقيل: معناه الدعاء له بالسلامة، أما قول الملائكة: (فَزَادُوهُ، وَرَحْمَةُ اللهِ)، قال ابن القيم: في حكمة إضافة الرحمة إلى الله تعالى، وتجريد السلام عن الإضافة: (أن السلام يُراد به قول المسلم: سلام عليكم، وهذا في الحقيقة

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٢٢٧، ومسلم ٢٨٤١/٢٨.

مضاف إليه، ويراد به حقيقة السلامة المطلوبة من السلام سبحانه وتعالى، وهذا يضاف إلى الله، فيضاف هذا المصدر إلى الطالب الذاكر تارة، وإلى المطلوب منه تارة، فأُطلق، ولم يضف، وأما الرحمة فلا تُضاف إلا إلى الله وحده، ولهذا يُقال: رحمتي، وبركتي عليكم، ويقال: سلام مني عليكم، وسلام من فلان على فلان، وسر ذلك: أن لفظ السلام اسم للجملة القولية بخلاف الرحمة فإنها اسم لمعناها دون لفظها).

فقه الحديث

حكم البدء بالسلام وحكم الرد:

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن السلام سنة مستحبة، وليس بواجب. وهو سنة على الكفاية إن كان المسلمون جماعة، بحيث يكفي سلام واحد منهم، ولو سلموا كلهم كان أفضل.

وذهب الحنفية -وهو رواية عن أحمد وقول مقابل للمشهور عند المالكية- إلى أن الابتداء بالسلام واجب. لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((حق المسلم على المسلم ست)) قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: ((إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))[1].

وأما رد السلام فإن كان المسلِّم عليه واحدًا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم، فإن رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم، وإن ردوا كلهم فهو النهاية في الكمال والفضيلة، فلو رد غيرهم لم يسقط الرد عنهم، بل يجب عليهم أن يردوا، فإن اقتصروا على رد ذلك الأجنبي أثموا[2].

(١) أخرجه مسلم ٢١٦٢، ٥.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٦٩/٥، ومراقي الفلاح ١٠٥، ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٦٠/١، وحاشية العدوي على الرسالة ٤٣٤/٢-٤٣٦، حاشية القليوبي ٢١٥/٤-٢١٦، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٧٤/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦١/٢٥-١٦٣)، وانظر كذلك: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢١/٤-٣٢٢.

وما تقدم من حكم السلام والرد خاص بالمسلم الذي لم ينشغل بالأذان أو الصلاة أو قراءة القرآن، أوبتلبية حج أو عمرة، أو بالأكل أو بالشرب، أو قضاء حاجة وغيرها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "لما خلق الله تعالى آدم قال: اذهب فسلم،وقوله "فاستمع ما يحيونك"، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من بيان أوجه الخير وأمر المدعوين وحثهم على الامتثال به، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن كثيراً في مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[3]، وجعله الله تعالى من سمات المجتمع الإيماني ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[4] وقال: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[5].

ثانياً- من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت الإشارة في الحديث إلى هذه الوسيلة باعتبارها أهم وسائل الدعوة "فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٦٣ وما بعدها.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٦.

الله" قال ابن حجر: قال ابن بطال: (يحتمل أن يكون الله علمه كيفية ذلك تنصيصاً، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله له "فسلم")، قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون ألهمه ذلك)[١]، وأسلوب التعليم من أجدى الأساليب الدعوية، فهو وسيلة لتهذيب سلوك الإنسان، ومقاصده في معاملاته وعلاقاته بربه وبنفسه، وبسائر خلق الله سبحانه وتعالى[٢].

لذا نجد أن الإسلام يفرض على المسلمين أن يكونوا أمة متعلمة، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الأولى لبناء الشخصية المسلمة، ومن هنا نجد الإسلام يهيئ كل ما يلزم لدفع المسلمين إلى طريق التعليم والتعلم، ولهذا كان أول ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣]. فهذه أول دعوة تسمو بقدر العلم وتشير إلى قيمته[٤]، ومن أهداف وسيلة التعليم في الدعوة إلى الله، زرع الآداب والأخلاق في نفوس المدعوين المستمدة من الدين نفسه علماً وعملاً وعقيدة وعبادة[٥].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم المهام التي يضطلع به الداعية وأعظمها شأناً الإيضاح والبيان، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يبينوا الحق للناس ويوضحوه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٦]، فحينما تكون الدعوة واضحة تكون نتائجها أسلم وأحكم[٧]،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٨٦.

(٣) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٤) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص١٨٤.

(٥) التربية في السنة النبوية، أبولبابة حسين، ص٥٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٨.

وقد ضرب النبي ﷺ في الحديث أنموذجاً حياً لذلك ببيانه أصل تحية الإسلام، وهو إلهام الله وتعليمه لآدم عليه السلام وكذلك تعليم الملائكة، لما خلق الله تعالى آدم قال: "اذهب فسلم على أولئك النفر، نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله".

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام:

لقد تضافرت النصوص على بيان فضل إفشاء السلام، لماله من آثار إيجابه على المجتمع والأفراد، فبين النبي ﷺ أنه من خير الأعمال في الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أى الإسلام خير؛ فقال: «أنْ تُطعمَ الطعامَ وتقرأ السلامَ على منْ عرفتَ ومنْ لم تعرفْ»[1]. وهو من أسباب دخول الجنة واستحقاقها، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ))[2].

كما بين النبي ﷺ أن إفشاء السلام من أسباب كمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[3]، [4].

وإفشاء السلام من أسباب تحقق التآخي والتآلف بين آحاد المجتمع الإسلامي[5]، إضافة إلى ما يضيفه السلام في المجتمع من أمن واطمئنان[6]، كما أن إفشاء السلام أول

---

(١) أخرجه البخاري، ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠١٩).

(٣) أخرجه مسلم، ٥٤.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري، ٢٩٩.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ١١٦.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٢٢٨٦/٦.

أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة[١].

لهذه الأسباب وغيرها أمر الإسلام بالسلام وإفشائه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٣].

وجعله رسول الله ﷺ من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فقال ﷺ: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، ...))[٤]. بل إن السنة لتأمر بالجهر بالسلام مبالغة في إفشائه، فلقد كان هدى النبي ﷺ في السلام، أن يرفع صوته بالسلام وكذلك في الرد، فلا يحصل بالإسرار الأجر -إلا ما استثنى من ذلك-، فأخرج البخاري في أدبه أثراً عن ابن عمر: عن ثابت بن عبيد قال: «أتيت مجلساً فيه عبدالله بن عمر فقال: إذا سلمت فأسمع فإنها تحية مباركة طيبة»[٥].

وذكر ابن القيم: (أن من هديه ﷺ أنه كان يسمع المسلِّم رده عليه)[٦]، وقال ابن حجر: (واستدل بالأمر بإفشاء السلام على أنه لا يكفي السلام سراً، بل يشترط الجهر، وأقله أن يسمع في الابتداء والجواب، ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه)[٧]، وكان من السنة تعميم السلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «أن رجلاً سأل النبي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٢) سورة النور، آية: ٦١.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) الأدب المفرد ١٠٠٥، وقال الألباني: صحيح الإسناد، وكذا قال الحافظ ٨/١١، (صحيح الأدب المفرد ٧٦٩).

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٩/٢.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١/١١.

ﷺ أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[1]. فهذا الحديث فيه الحث على إفشاء السلام ونشره بين الناس، لما فيه من المصالح العظيمة ولعل من أعظمها التأليف بين المسلمين، وسلامة قلوبهم لبعض[2].

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص٤٤.

الحديث رقم (٨٤٧)

٨٤٧- وعن أَبي عُمَارة البراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أمرنا رسول الله ﷺ بسَبْعٍ: بعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإبْرَارِ المُقسِمِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، هَذَا لفظ إحدى روايات البخاري.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

ورد الحديث في أسلوب خبري غرضه الفائدة، وقد تجرد عن عوامل التوكيد لثقة المتكلم في قبول الخبر، ولأنه قابل به خالي الذهن، وقد تصدره قول الصحابي (أَمَرَنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ) حكاية لأمر الرسول ﷺ لهم بصيغة الجمع بياناً لعدم انفراده بجملة هذه الأوامر، وتنكير كلمة: (سبع) للتشويق بذكر العدد المبهم، ثم توضيحه، وفي الحديث مراعاة النظير؛ لأنه جمع بين الشيء، وما يناسبه، كما أن فيه تناسباً بين الألفاظ، والمعاني، لأن العيادة تناسب المريض، والإتباع يناسب الجنائز، والتشميت يناسب العاطس، وَالنَصْر يناسب الضَّعيف، وَالعَوْنُ يناسب الْمَظْلُوم، وَالإِفْشَاءُ يناسب السَّلام، وَالإِبْرَارُ يناسب الْقَسَم، وهي جملة من خصال الخير من شأنها -إن روعيت بين المسلمين- أن تنشر المحبة، وتحقق التكافل بينهم، وتضمن تماسكهم فيما بينهم كما صوَّرهم الإسلام كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمى.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٥ واللفظ له، ومسلم ٢٠٦٦/٣، وتقدم برقم ٢٣٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٩) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (٨٤٨)

٨٤٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلاَ أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)) رواه مسلم(١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على تقرير معنى إفشاء السلام الذي يشيع المحبة بين المسلمين عن طريق المنطق الفطرى بمقدمات تترتب عليها نتائج بطريقة مشوقة بدأت بجملة، نفت دخول الجنة إلا بعد بلوغ درجة الإيمان، وقد وصل الأفعال بواو الجماعة دلالة على عموم الحكم، ونظماً للمجتمع كله في سلك الخطاب، وهو ما يحقق ترقب الجميع للخبر، ثم إنه علّق الإيمان على التحابب، وهو تفاعل من المحبة وهذه الصيغة تدل على المشاركة، أي يحب كل واحد منهم الآخر، ثم صعَّد التشويق عن طريق الاستفهام التشويقي (أوَلا أَدُلّكُمْ عَلَى شَيْءٍ) ثم ربط بأسلوب الشرط المحبة التي يتوقف عليها الإيمان الذي يتوقف عليه دخول الجنة بهذا الشيء الذي يعرضه عليهم (إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ) حتى إذا صار المخاطبون في قمة اليقظة، والترقب قرر المعنى الذي يريد عن طريق أسلوب الأمر حثاً، وترغيباً (أفشوا السلام بينكم) وطريقة النبي ﷺ في تقرير المعنى تدل على أهمية الأمر، وأثره في المجتمع الذي ينبعث محبة بين أفراده، وسلاماً يعم الجميع.

---

(١) برقم ٥٤/٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٧٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإيمان أصل دخول الجنة.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الأمور التي يكمل بها الإيمان، ودلالة المدعوين على أسباب المحبة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان أصل دخول الجنة.

خامساً: من أهداف الدعوة: تحقيق المحبة بين الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإيمان اصل دخول الجنة:

لقد جاء في صريح الحديث أن الإيمان أصل دخول الجنة، فقال ﷺ: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا". إذ أن الجنة وما فيها من نعيم محرمة على الكفار[1]، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

قال النووي: فهذا على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً[3]، فالإيمان منجاة من دخول النار ومن البقاء فيها، وأصل الحياة الطيبة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة[4]. إذ أن الإيمان هو أساس الأعمال الصالحات والدافع إليها، كما هو واضح في الحديث، من الدعوة إلى ظهور آثار هذا الإيمان على جوارح الإنسان وعلاقاته، ودليل ذلك على صدق الإيمان، فيقول ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٧٤٩/٣.

بينكم» وفي ذلك بيان أن انتشار السلام وظهوره بين المسلمين، سبب من أسباب كمال الإيمان، الذي هو الأصل لاستحقاق الجنة بعد فضل الله عز وجل، فقوله "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا..." هو على ظاهره وإطلاقه، وأما قوله: "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" أي لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب، وقيل معنى الحديث لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب، ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك[1].

ثانياً- من واجبات الداعية: بيان الأمور التي يكمل بها الإيمان، ودلالة المدعوين على أسباب المحبة:

إن من أهم الواجبات التي يضطلع بها الداعية إلى الله دلالة المدعوين على الخير وبيانه أوجه الفضل فيه، وفي الحديث قدم النبي ﷺ أنموذجاً تطبيقياً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من دلالة على الخير والحث عليه، فقال ﷺ "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"، قال القاضي عياض: (أي لا يتم إيمانكم ولا يكمل ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب والألفة. وفيه حض على إفشاء السلام على من عرف ومن لم يعرف، والسلام أول درجات البر وأول خصال التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكين ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم بينهم، وإلقاء الأمن والطمأنينة بينهم، وهو معنى السلام، واستدراج محبة كافتهم كما قال ﷺ، ودليل التواضع والتواصل)[2].

إن دلالة الناس على الخير، وتبليغ الدعوة وما فيها من آداب وأخلاق، يحتاج إلى دعاة أقوياء، وهداة أشداء، ومبلغين صابرين يتناسبون مع عظمتها وشمولها، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم، بعد أن تشرق بها

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٢/٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٠٤، ٣٠٥.

جوانحهم وتستضيء بها حياتهم[١].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في إفشاء السلام، بدخول الجنة واستحقاقها، فقال ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية، فالترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهي، ولما كان الإنسان مفطوراً على الإحساس باللذة، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، كان لأسلوب الترغيب تأثيرٌ كبيرٌ في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه[٢].

كما هو واضح في ترغيب النبي ﷺ في السلام بأنه سبب لكمال الإيمان الذي هو سبب لدخول الجنات، وترغيب المسلم بما أعده الله لعباده من نعيم وجنات، منهج واضح في دعوة القرآن إلى الإيمان والأعمال الصالحات، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له داراً فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة، وسعى لها سعيها[٤]، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

---

(١) الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز، ص٢٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢١٢٧/٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٣ .

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان أصل دخول الجنة:

إن بيان أصل دخول الجنة وأسباب استحقاقها من أعظم الأهداف للدعوة، وقد جاء في الحديث التصريح بأن الأصل لدخول الجنة، وبدونه يحرم الإنسان منها، هو الإيمان، فقال ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا" والإعراض عن الإيمان فيه الضلال والحرمان من الجنان، لذا أمر الله المؤمنين بالثبات على إيمانهم، وتقويته وزيادته، حتى يبلغوا أعلى مستوى فيه وهو اليقين[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢].

وهذه الآية نزلت في جميع المؤمنين، والمعنى يا أيها الذين صدَّقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه[٣]، ودوموا عليه ولا تفارقوه، فالأمر في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾، ليس من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل، وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٤] أي بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾[٥]،[٦].

خامساً- من أهداف الدعوة: تحقيق المحبة بين الناس:

من أبرز أهداف الدعوة تحقيق المحبة بين الناس ببيان أسبابها.

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري ص ٧١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤١٥/٥/٣.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٤/٢.

وكما أشار النبي ﷺ في الحديث إلى السلام كسبب من أسباب المحبة، فقال ﷺ: ((أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" فالإسلام يريد من المجتمع الإسلامي ائتلاف آحاده وتلاحم سداه، حتى يكون كالجسد الواحد))، روى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[١]. فإن المحبة والمودة وغيرها من مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار[٢].

لذا جاءت النصوص آمرة بالتمسك بالأسباب التي تقوي من كيان المجتمع، وتحافظ على بنيانه.

قال الراغب الأصفهاني: (المحبة والعدل من أسباب نظام أمور الناس، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[٣] أي محبة في القلوب، تنبيهًا على أن ذلك أجلب للعقائد، وهي أفضل من المهابة، لأن المهابة تنفر والمحبة تؤلف، وقد قيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة، لأن طاعة المحبة من داخل، وطاعة الرهبة من خارج، وهي تزول بزوال سببها، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمَّروا، وإذا عمَّروا عُمِّروا، وبورك لهم)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٣.

(٣) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٤) الذريعة إلى مكارم الأخلاق ٣٦٤.

الحديث رقم (٨٤٩)

٨٤٩- وعن أَبي يوسف عبد الله بن سلام ﷺ ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((يَا أيُّهَا النَّاسُ، افْشُوا السَّلاَمَ، وَاطْعِمُوا الطَّعَامَ، (وَصِلُوا الأرْحَامَ) [١]، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)) رواه الترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سلام: وهو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، وكان من بني قينقاع، وكان حليفاً للقواقلة من بني عوف بن الخزرج من الأنصار، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، وكان يكنى بأبي يوسف، وقيل كان يكنى بأبي الحارث، وعبدالله بن سلام من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام.

أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، فعنه أنه قال: خرجت في جماعة من أهل المدينة لننظر إلى رسول الله ﷺ في حين دخوله المدينة، فنظرت إليه، وتأملت وجهه فعلمت أنه ليس بوجه كذّاب، وكان أول شيء سمعته منه ((أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام))[٣].

وعن أنس أن عبدالله بن سلام بلغه مَقْدَمُ النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني به جبريل آنفاً، قال ابن سلام: ذاك عدوُ اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت،

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي، وهي عند ابن ماجه برقم ٣٢٥١.

(٢) برقم ٢٤٨٥ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ. والسياق للمنذري في ترغيبه ٣٩٨٣. وقال الحاكم ١١٣/٣: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسيكرره المؤلف برقم ١١٦٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤٥١/٥ رقم ٢٣٧٨٤، وقال محققو المسند :إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٢٠١/٣٩.

وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ...))[1].

روى عن رسول الله ﷺ وروى له الجماعة، وشهد له رسول الله ﷺ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام، قال وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[2][3] وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبدالله بن سلام إنه عاشر عشرة في الجنة[4].

وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وعلمائها بالكتب، وذكره ابن سعد في عداد أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس والجابية، ولما كانت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها. وأقام بالمدينة حتى مات سنة (٤٣هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٣٨.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٨١٢، ومسلم ٢٤٨٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٠٤، وقال حسن صحيح غريب، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٩٠).

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٥٢/٢، ٣٥٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٣٧، ٤٣٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٦٥/٣، ٦٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٨٣، ٨٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤١٣/٢-٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٩/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/٢، والسندي ١٩٦/٣٩، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢١٣/٢-١٢٢٠.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بنداء عام (يَا أَيّهَا النَّاس) وهو خطاب للجنس يفيد المبالغة، والتوكيد؛ لأن به أوجهاً من التوكيد: منها التوكيد والتنبيه في (يا) والتنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلي التوضيح في (أي) والاسم المعرف بعدها، وتكرار المذكر، واختيار لفظ البعيد، وتأكيد معناه تناسباً مع المقامات في إفادة المبالغة، والتوكيد؛ لأن كل ما نادي الرسولُ ﷺ به أمته من أمر، ونهي، وعظات وزواجر، ووعد، ووعيد، وغير ذلك أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظواْ لها، فاقتضي الحال أن ينادواْ بالأوكد الأبلغ.

ثم تبعها بمجموعة من الأوامر (أفشوا، أطعموا، صلوا) حثاً، وترغيباً في هذه الخصال التي تحقق التواصل بين المسلمين فيما بينهم، والصلة بينهم، وبين ربهم، ثم يكون في الجنة اجتماعهم جزاءً من جنس العمل لمن أطاع نبيه، وقد بدأ بإفشاء السلام؛ لأنه ليس فيه كلفة فهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى عظيم الأثر المترتب عليه، ثم عقب بالأمر بإطعام الطعام لمن يستطيع ثم قيام الليل ؛لأنه دأب الخواص، وقد أراد الرسول ﷺ أن تكون هذه الخصال ملأ الأسماع، والأبصار يتناقلها الركبان، وتصل إلى كل زمان، ومكان، لذلك صاغها بعبقرية تأخذ بالألباب فقد وردت العبارات مسجوعة دون تكلف مما جعل لها جرساً عذباً في السمع، وقبولا في النفس، وتمكناً في العقل، ثم الجناس اللطيف بين (أطعموا - الطعام) ثم الإرصاد بين السلام الذي أفشوه في أول الحديث، والسلام الذي دخلواْ به الجنة في نهاية الحديث، وكأنه يريد أن يجعل منه نشيداً للصالحين في كل زمان، ومكان، محبة بينهم، وقربة لربهم، لذلك صدَّره بالنداء العام، ووصل أفعال الحديث كلها بواو الجماعة لتشملهم في مظلة الحكم يحيطهم السلام، ويفيض بينهم الطعام في صلة بينهم، ورضواناً من ربهم في صورة أقرب ما تكون إلى جنة تنتظرهم.

فقه الحديث

١-إفشاء السلام: قال الأمير الصنعاني: (الإفشاء لغة: الإظهار والمراد: نشر السلام على من يعرفه وعلى من لا يعرفه... وقال ابن دقيق العيد: وقد يستدل بالأمر بإفشاء السلام من قال بوجوب الابتداء بالسلام. ويردّ عليه أنه لو كان الابتداء فرض عين على كل أحدٍ لكان فيه حرج ومشقة، والشريعة مبنية على التخفيف والتيسير؛ فيحمل على الاستحباب، انتهى)[1].

٢-إطعام الطعام: اتفق الفقهاء على أن إطعام المضطر واجب، فإذا أشرف على الهلاك من الجوع أو العطش، ومنعه مانع فله أن يقاتل ليحصل على ما يحفظ حياته. لما روى عن الهيثم: أن قومًا وردوا ماءً فسألوا أهله أن يدلوهم على بئر فأبوا، فسألوهم أن يعطوهم دلوًا فأبوا فقالوا لهم: إن أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت أن تتقطع فأبوا أن يعطوهم، فذكروا ذلك لعمر رضي الله عنه فقال لهم عمر: فهلا وضعتم فيهم السلاح؟[2] قال الفقهاء: فيه دليل على أن لهم في الماء حق الشفة[3] وكذلك الطعام[4].

ويندب الإطعام لإكرام الضيف، وصلة الرحم، وبرّ الجار، وإضافة الصديق وأهل الخير والفضل والتقوى، لقوله تعالى في ضيف إبراهيم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[5] ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[6]، كما يسن في أمور تدخل في باب

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٨٨-٩٨٩ .

(٢) أورده أبو يوسف في كتاب الخراج بهذا المعنى ص ٩٧ .

(٣) حق الشفة: حق الشرب. معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٢٣٥.

(٤) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٣/٥ ط/ بولاق، والمبسوط، السرخسي ١٦٦/٢٣ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٤٢/٤ ، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٠/٩ ، وقليوبي وعميرة ٩٦/٣، ٩٧، عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٢٤.

(٦) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦١٣٨، ومسلم ٤٧.

الإكرام كالأضحيةوالوليمة)[١].

وقال الصنعاني: (إطعام الطعام يشمل من يجب عليه إنفاقه ويلزمه إطعامه، ولو عرفًا أو عادةً، وكالصدقة على السائل للطعام وغيره، فالأمر محمول على فعل ما هو أولى من تركه ليشمل الواجب والمندوب)[٢].

٣-صلة الأرحام: لا خلاف في أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾[٣] وقول النبي ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[٤])[٥].

٤-قيام الليل: اتفق الفقهاء على مشروعية قيام الليل، وهو سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحبّ عند الشافعية [٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل.

ثالثاً: من واجبات المدعو: تحصيل أسباب دخول الجنة.

رابعاً: من أهداف الدعوة: توثيق علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بالآخرين.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٨٩ .

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦١٣٨، ومسلم ٤٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٨/٢٧.

(٦) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٦٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٦٠/٢-٣٦١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٨/٣٤.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا أيها الناس" وأسلوب النداء في قوله "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام"، وأسلوب النداء والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما في النداء من تقريب المدعو، والتحبب إليه بالنداء عليه، وفي الأمر من بيان طرق الخير وأوجه فضلها، وحمل المدعوين عليها، وقد تكرر أسلوب النداء والأمر كثيراً في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[2]، وفي السنة كما ورد في الحديث "يا أيها الناس أفشوا السلام ...".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل:

جاء في صريح الحديث الإشارة إلى الفضل الأعظم لإفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل، وهو دخول الجنة فقال ﷺ: "... تدخلوا الجنة بسلام". أي تدخلوها بسلام من الله أو من الملائكة أو من أي مكروه أو تعب ومشقة[3]، وقال ابن علان في قوله " تدخلوا الجنة بسلام" جواب لمقدر، أي إن فعلتم ما ذكر تدخلوها متلبسين بالسلام من الآفات التي تكون في غيرها، وبه سميت دار السلام على أحد الأقوال، والمراد دخولها مع الناجين، ويحتمل أن المراد مطلق دخولها مع الناجين، فيكون فيه تبشير فاعل هذه الأمور بالموت على الإسلام، ليكون من أهلها[4].

وبذلك جعل الله تبارك وتعالى (طريق الجنة مفتوحاً أمام المؤمنين، إذا تحققت فيهم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٩٣٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٨.

هذه الصفات المهمة من انتشار السلام بالقول والفعل، وإطعام الطعام من القادرين للمحتاجين ولحفظ الود بين المتحابين، وصلة الأرحام تجميعاً للأمة وتدعيماً لها، وقيام الليل للعبادة)[١].

ثالثاً- من واجبات المدعو: تحصيل أسباب دخول الجنة:

إن أهم الواجبات المنوطة بالمسلم سواء أكان داعية أو مدعوا، تحصيل أسباب دخول الجنة، فإن فلاح الإنسان وسعادته في العاجل والآجل، موقوف على التمسك بالإسلام والتخلق بشمائله وأخلاقه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه[٢]. وقد ذكر النبي ﷺ جانباً من الأسباب الموجبة لدخول الجنة، فقال "أفشوا السلام" أى أظهروه وأكثروه على من تعرفونه وعلى من لا تعرفونه، "وأطعموا الطعام" لنحو المساكين والأيتام، " وصلوا الأرحام" فلا تقطعوها، "وصلوا بالليل والناس نيام" لأنه وقت الغفلة، فلأرباب الحضور مزيد المثوبة، أو لبعده عن الرياء والسمعة[٣].

فالحديث دعوة إلى التماس أسباب الجنة، سواء كانت أعمالاً بين العبد وربه، أو كانت إحساناً إلى خلقه، وقد كثرت آيات القرآن المبينة لجزاء من كانت تلك صفاته وأعماله، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤]، قال الحسن: أخفى القوم أعمالاً، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[٥].

"فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل، بالجزاء الذي أخفاه لهم، مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم - حتى يقوموا إلى صلاة

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨١.

(٢) هداية المرشدين، على محفوظ ص ٥٠٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٣/٢.

(٤) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٥/١٤/٧.

الليل - بقُرَّة الأعين في الجنة"[١].

رابعاً: من أهداف الدعوة: توثيق علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بالآخرين:

إن من أهداف الدعوة التي لا تغيب على أحد توثيق علاقة الناس بربهم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والخضوع وإظهار الافتقار إلى الله تعالى[٢]، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث إلى مظهر من مظاهر ذلك، وهو قيام الليل وإحياؤه، فقال "وصلوا والناس نيام" كما أن من أهداف الدعوة توثيق علاقة الناس ببعضهم البعض، وذكر في الحديث مظاهر ذلك بالتودد إليهم، عن طريق إفشاء السلام، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، فقال: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام"، قال ابن علان: (فلما كانت المحبة أمراً قهرياً لا اختيار فيه على الأصح في ذلك، كانت الأسباب المؤدية إليها في الاختيار أرشد إليها)[٣]، فقال "أفشوا السلام وأطعموا الطعام ...".

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص٣٥٢.

(٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي، د. أمينة أحمد يحيى ص ٧١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٧.

الحديث رقم (٨٥٠)

٨٥٠- وعن الطُّفَيْل بن أُبَيِّ بن كعبٍ: أنَّه كَانَ يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: فإذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عَبدُ الله[1] عَلَى سَقَّاطٍ ولاَ صَاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلاَ مِسْكِينٍ، وَلاَ أحَدٍ إلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد الله بنَ عُمَرَ يَوْماً، فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ[2]: مَا تَصنَعُ بالسُّوقِ، وَأنْتَ لا تَقِفُ عَلَى البَيْعِ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلاَ تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هاهُنَا نَتَحَدَّث، فَقَالَ: يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطفَيْلُ ذَا بَطْنٍ - إنَّمَا نَغْدُو مِنْ أجْلِ السَّلاَمِ، فنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقيْنَاهُ. رواه مالك في المُوطَّأ[3] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

سَقَّاط: هو الذي يبيع سقط المتاع وهو رديئه وحقيره[4].

صاحب بيعة: صاحب حالة بيع، أو صفقة البيع[5].

استتبعني: أي طلب مني أن أتبعه[6].

ولا تسوم: من المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها[7].

---

(١) في الموطأ زيادة: (ابن عمر).

(٢) لفظ الموطأ (وما) بزيادة الواو.

(٣) ٩٦١/٢ رقم ٦ رواية يحيى بن يحيى الليثي.

(٤) النهاية في (س ق ط).

(٥) النهاية في (ب ي ع)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٩٥.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٨.

(٧) النهاية في (س و م).

الشرح الأدبي

يحكي الطفيل حال ابن عمر رضي الله عنهما عندما كان يذهب إلى السوق معه، ويرى تطبيقه العملي لأوامر رسول الله ﷺ، ومنها إفشاء السلام، وأنه كان يسلم على كل من لقيه، دون استثناء لأحد، وهو ما قرره عن طريق أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء حيث قصر المذكورين في الحديث على صفة السلام، وفيه حسن تقسيم حيث شمل كل طبقات أهل السوق (لَمْ يَمُرّ عَبْد اللّه عَلَى سَقَاط وَلا صَاحِب بِيعَة وَلا مِسْكِين، وَلا أَحَد إِلاّ سَلَّمَ عَلَيْهِ) وهم إما سقاط أي صغار التجار، وأصحاب البيعة، وهم كبار التجار، والمساكين، ثم شمل عموم المشترين، بقوله: (ولا أحد إلا سلم عليه) وهو بذلك يطبق أمر الرسول ﷺ بتعميم السلام على كل من عرف، ومن لم يعرف، وقوله لعبد الله بن عمر (وما تصنع في السوق...؟) استفهام تعجبي يدل على ذلك قوله بعده (وَأَنْتَ لا تَقِف عَلَى الْبَيِّع، وَلا تَسْأَل عَنْ السِّلَع، وَلا تَسُوم بِهَا، وَلا تَجْلِس فِي مَجَالِس السُّوق) أي ليس له حاجة خاصة تقتضي ذهابه إلى السوق، ولكنه أراد أن يفشي السلام، وليس هناك مكان أنسب من السوق لتنفيذ الحديث لكثرة الناس مع حاجتهم إلى التذكرة لغفلتهم، وانشغالهم في أمور البيع، والشراء، وقول عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- (إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْل السَّلام نُسَلِّم عَلَى مَنْ لَقِينَا) وتأمل بناء العبارة التي تقرر بطريق القصر بـ (إنما) سبب خروجه الوحيد، وهو إفشاء السلام، ثم هذا الجناس بين السلام، ونسلم الذي يدور حوله المعنى كما يدور عبد الله لنشرها في السوق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على إلقاء السلام على كل من يمر عليه في السوق.

ثانياً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثالثاً: من آداب الداعية: بيان الحكمة من فعله لبعض الأمور إذا سئل عنها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على السلام على كل من يمر عليه في السوق:

لقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أهل الورع والعلم، كما كان كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، والحديث يعكس لنا صورة من ذلك، وهي حرصه رضي الله عنه على إلقاء السلام، فعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سقّاط، ولا صاحب بيعة ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه. واستمساك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحرصه على تطبيق السنة يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دأب حثيث على التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم ذلك يعطينا القدوة والأسوة التي تؤثر في النفوس أكثر مما تؤثر الكلمات والعبارات[2].

ثانياً- من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

الإنسان إذا أشكل عليه أمر أو خفى عليه، فعلاجه أن يسأل أهل العلم وذوي الخبرة، فبالسؤال والعلم يطرد الإنسان الجهل، وكما قال صلى الله عليه وسلم: ((فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3]، ومن ثمَّ قيل: "حسن السؤال نصف العلم"[4]، ولقد ضرب لنا الطفيل بن أبي بن كعب في الحديث مثالاً يحتذى به في السؤال عما خفي على الإنسان وأشكل، قال الطفيل: "فجئت عبدالله بن عمر يوماً، فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ وفي ذلك وقاية للإنسان من الوقوع في حرج، أو التلبس بخطأ بالسؤال والعلم.

ولقد أرشد الإسلام أتباعه إلى الرجوع إلى أهل العلم ومراجعة أهل الذكر للنهل

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ص ٤١٩.

(٢) تأملات دعوية في السنة النبوية، د. عبدالله بن وكيل الشيخ ص ٣٤.

(٣) أخرجه أبي داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٣.

مما آتاهم الله من علم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ ﴾[1]، فعلى الدعاة إلى الله تربية المدعوين وتنشئة النشء على هذا الأمر، وعلى المسارعة إلى سؤال أهل العلم في أي أمر يشكل حكمه الشرعي، ولقد كان صحابة النبي ﷺ رجالاً ونساءً يحرصون على سؤال النبي ﷺ ورجوعهم إليه، ويسألونه ﷺ فيما ينزل بهم من نوازل في حياتهم، ومن أمثلة ذلك ما روي عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة، فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج بها، فقال له عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله فقال رسول الله ﷺ: ((كيف وقد قيلَ؟)) ففارَقَها عُقبةُ، ونَكَحتْ زَوجاً غيرَه[2].

ومن غلبه الحياء في السؤال، لا يمنع أن يأمر غيره أن يسأل عنه، كما فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: كنتُ رَجُلاً مَذّاء، فأمَرْتُ المِقْدادَ أنْ يسألَ النبيَّ ﷺ، فسَألَهُ فقال: ((فيه الوُضوءُ))[3].

وسؤال أهل العلم في عصرنا الحاضر من اليسر والسهولة بمكان، فقد أنشئت المجمعات الفقهية، والهيئات العلمية، التي تضم كبار الفقهاء للنظر في المسائل العلمية.

ثالثاً- من آداب الداعية: بيان الحكمة من فعله لبعض الأمور إذا سئل:

"إنه مما ينبغي على الداعية بيان الحكمة من الأمور التي يقوم بها اقتداء بالكتاب والسنة، وبيان ثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول"[4]، ونرى ذلك في بيان عبدالله بن عمر لحرصه على السلام إجابة للطفيل بن أبيّ بن كعب، فقال: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٢، ومسلم ٣٠٣.

(٤) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ط/١ مؤسسة الرسالة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٨٣.

من أجل السلام، نسلم على من لقيناه - أي نغدو من أجل إفشاء السلام ونشره - ونسلم على من لقيناه، عرفناه أم لم نعرفه[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

لقد جاء الإسلام حاثاً على إفشاء السلام، وإضفائه على العلاقات الاجتماعية وصبغها به، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على امتثال ذلك بإفشاء السلام بينهم، كما جاء في الحديث من خروج عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من أجل السلام: (إنما نغدو من أجل السلام)، قال ابن عبدالبر: (في هذا الخبر فضل الابتداء بالسلام، ولفعل ابن عمر هذا أصل كبير في السنة[٣]، فعن عبدالله بن عمرو أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير قال: ((تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[٥].

إن إفشاء السلام والتبسم وإطلاقة الوجه، وإظهار الأخوة والمودة من هدي الإسلام، لا ما ينتهجه بعض الناس اليوم من الهجر وترك السلام، والاكفهرار وعبوس الوجه، حتى يبدو الواحد وكأنه حاقد على الدنيا كلها، أو كأنه بين فئة من الكافرين المحاربين له، ويجهل أو يتجاهل مِثْلُ هذا، أن السنة هي السلام وردُّ السلام، والتبسم والبشر، على ما تشهد به سنة رسول الله ﷺ وسيرته[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٩.

(٢) سورة النور، آية: ٦١.

(٣) التمهيد والاستذكار، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٩/٢٣.

(٤) أخرجه مسلم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤، ٩٣.

(٦) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجاً وأسلوباً، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٦٥.

لقد حرص الإسلام كل الحرص على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، ولذا كان حرص الإسلام كبيراً على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع، وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة، وإذا كان الإسلام يعتبر إفشاء السلام وإلقاء التحية واجباً على المسلم لأخيه، فإنه يعتبر رد السلام فرضاً لا بد من أدائه، لما يتركه في نفس المقابل من أثر حميد، يغسل النفس الإنسانية من كل متعلقات الحياة الصاخبة اللاغبة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ))[2].

والسلام والتحية في الإسلام أسلوب رفيع من أساليب الذوق، الذي يرقى بالإنسانية درجات من السلامة والصفاء والعيش الهانئ، ومن هنا نرى حرص الرسول ﷺ على أن ينشر المسلم التحية والسلام في أركان بيته الصغير، لينطلق بعد ذلك في أرجاء المجتمع الكبير، يسهم في بنائه، ويغمره بعطائه[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب ضمنيًا في الحديث، وذلك في حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وذهابه إلى السوق ولو لم تكن له به حاجة، بغية السلام وتحصيل أجره: (إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقيناه)، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيراً في تهذيب النفوس وإرشادها إلى الخير، وحثها عليه، بغية صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٦٥٠.

(٣) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١٣ - ١٥.

(٤) هداية المرشدين، على محفوظ ص ٧٢.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب بما عند الله، حثاً لأمته على الإقبال على فعل الطاعات، ومن ذلك ما جاء في باب الحث على إفشاء السلام، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَا أيُّهَا الناسُ، أَفشوا السلامَ وأَطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ))[1].

لذا ينبغي على الداعية، ألا يهمل أسلوب الترغيب وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المتقين المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٨٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٦).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الأمن من أهداف الإسلام، على اختلاف صوره، وإلقاء السلام مظهر من مظاهر الأمان، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية الاجتماعية:

إن من المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث الباب: التربية الاجتماعية، وذلك من خلال غرس الفضائل والأخلاق الكريمة في نفوس الناشئة، كبذل الخير وإفشاء السلام وإشاعة المحبة، والمودة بين أفراد المجتمع وإقرار السلام بين الأفراد والمجتمعات وصلة الأرحام وتحقيق التكافل الاجتماعي والتعاون، وذلك كله من أسباب ومقومات قوة الأمة، فَضْلاً عن التقرب إلى الله تعالى، ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ».

إن من الغرائز التي فطر الإنسان عليها "رغبته في تحقيق مكانة اجتماعية طيبة والتزامه بالقيم الخلقية والاجتماعية السائدة في ثقافته"[(١)]. لذا جاء الإسلام مقوياً ومنضجاً لهذه الفطرة مع تهذيبها لتتوافق مع مبادئ الإسلام السامية، "وبناء شخصية المسلم المستقلة ذات المعالم الواضحة والسمات المتفردة، ومن هذه المعالم ما جاء في أحاديث الباب من مراعاة طبيعة الإنسان الاجتماعية، وتنمية هذه الطبيعة كالتعاون وامتثال الآداب الإسلامية الاجتماعية العامة كآداب الطريق وآداب الصحبة واحترام الكبير وتوقيره"[(٢)].

"إن الإسلام دين شامل ينظم علاقات المجتمع كلها ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من التعامل الرفيع والتعامل البديع، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ

---

(١) انظر: علم نفس النمو "الطفولة والمراهقة" د. هشام محمد مخيمر، ص١٤٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٩٥-٢٩٨.

مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقد مضت أجيال المسلمين المتتالية منذ جيل الصحابة حتى وقت قريب وفق هذه التعاليم السامية والمثل العليا، فكانت تكثر في مجتمعهم أعمال المروءة والفتوة والسعي في الخير والرفق بالآخرين وسائر صنائع المعروف، ولكن هذه المظاهر خفتت في الأجيال المعاصرة بسبب تأثر المسلمين بفلسفة الحياة الغربية المادية وطبيعتها النفعية، فصار إنفاق المال تضييعاً وبذل المعروف سذاجة، لأن الحضارات غير الإسلامية لا يتطلع أفرادها إلى ما وراء الحياة الدنيا، فلا يبذل من الوقت والمال والجهد إلا ما يعود عليه بالنفع العاجل في دنياه، وبذلك ارتفع الصراخ في عالمنا لزيادة الإنتاج المادي على الصعيدين الفردي والقومي للارتفاع بمستوى الدخل.... وازدادت صراعات المجتمعات مع بعضها والطبقات فيما بينها ولم تعد ابتسامة الإنسان للإنسان إلا إحدى وسائل ابتزازه، وهكذا انطمست معاني الإنسانية أو كادت في عالم الحضارة المادية.

إن بوسع المسلمين أن يعتزوا بدينهم ويفخروا بحضارتهم ويشمخوا بإنسانيتهم التي ستبقى علامات مميزة وسمات خاصة بالأمة الإسلامية التي تهتدي بوحي الله وقيمه الأخلاقية الثابتة دون أن تحتكم لأهواء الفلاسفة والمفكرين الذين ولدوا الحيرة للإنسان وقضوا بآرائهم النفعية المادية على أسمى خصائص الإنسانية، وصدق الله العظيم، إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[2][3].

ثانياً- غرس خلق التعاون المادي والمعنوي:

من أبرز المضامين التربوية التي يمكن الاستفادة منها من أحاديث الباب حث المربين على ترسيخ التعاون في نفوس المتربين سواء كان هذا التعاون في صورة مادية

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٣) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العُمري، ص٢٤٧-٢٥٠.

كعون المظلوم وإبرار القسم وإطعام الطعام والإحسان، أو كان في صورة معنوية كإفشاء السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونحو ذلك، كما هو واضح في أحاديث الباب التي تضمنت الصورتين المادية والمعنوية من التعاون والتكافل كقوله ﷺ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

إن التعاون والتكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، وهو نتاج المساواة والإخاء المستمدين من الإسلام وتصوراته للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي.

وهناك صور لهذا التكافل، بين الفرد وذاته، وتكافل بين الفرد والأسرة، وتكافل بين الفرد والجماعة.

فالتكافل بين الفرد وذاته أو بما يسمى بالتوافق النفسي أن ينهاها عن شهواتها ويزكيها ويطهرها ويسلك بها طريق النجاة والسلامة.

والتكافل بين الفرد وأسرته يعتبر قوام هذه الأسرة ورباطها الذي يقوي عناصر المحبة والود والإخاء ويسهم في بناء كيان قوي مؤسس على الحق والخير في المجتمع، وجاء الأمر بتقوية هذا الجانب في أحاديث الباب كالحث على صلة الأرحام وغيره.

والتكافل بين الفرد والجماعة بعد التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته يجعله يحصل الثمرة ويحسن عمله[1]، ويقوي من روابط الأخوة في المجتمع وكثرة روافدها وتقويتها، وذلك كعيادة المريض وعون المظلوم وإفشاء السلام والتحابّ، وغير ذلك من دعائم الأخوة الإسلامية التي وردت في أحاديث الباب.

"إن توجيهات القرآن والسنة في الحث على التعاون والتكافل الاجتماعي والحث على الصدقة وصلة الأرحام وبر الأقارب ورعاية حقوق الجيران والأخوة وتفقد أحوالهم من أعظم عوامل التمسك والوئام في المجتمع الإسلامي، وهذا مالا يوجد له نظير ولا مثيل في مجتمعات الدنيا[2]".

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٥١-١٥٢.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٥٧.

ثالثاً- التعامل مع البيئة والانخراط في المجتمع:

إن من المهام الملقاة على المربين والمعلمين ومَنْ يقومون بدور التوجيه كعلماء الدين والمفكرين والكُتَّاب والمثقفين أن يبثوا في الناس روح الانتماء للجماعة والانخراط فيها والتعايش معها بما فيها من إيجابيات وسلبيات.

إن الإنسان مدني واجتماعي بطبعه، وعزلته عن الإنسان مخالف لفطرته، ولذلك جاءت آداب الإسلام وأخلاقه تنحو منحى الاجتماع وتنمي من ثقافته وتكثر من روافده، كما جاء في أحاديث الباب من الدعوة إلى القيام بالواجبات الاجتماعية كإفشاء السلام والتعاون، ونصر الضعيف وعيادة المريض وتقوية الروابط الأسرية بصلة الأرحام وغير ذلك كما في حديث أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أمرَنا رسولُ اللّه ﷺ بسبع: بعيادةِ المريض، واتّباع الجنائز، وتشميتِ العاطِس، ونصرِ الضعيف، وعونِ المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرارِ المقسِم». ومثل هذه الأعمال لا تتأتى من إنسان منعزل عن الناس منغلق على نفسه، وإنما تتأتى من إنسان منخرط في صفوف الجماعة وعالم الناس.

"لذا ينبغي على المربي أن يُعوِّد المتربي على التعامل مع البيئة التي يحيا فيها بطريقة صحيحة حتى لا ينشأ معزولاً أو خاملاً، أو يصير قعيد البيت لا يبرحه إلا في صحبة والده أو أخيه الأكبر، لذا كان من اللازم تربية النشء على المشاركة الاجتماعية الإيجابية.

فيُعوَّد الناشئ على الخروج في أوقات الأمان والقيام بشراء بعض الاحتياجات، ويتحمل بعض المسؤوليات والواجبات الاجتماعية التي تناسب المرحلة العمرية...، وينبه على آداب الطريق والسير فيه. كما ينبغي إشعار الصبي بمكانته، وأن مِثْله يُعتمد عليه وأنه أهل للقيام بالمهام وتحمل المسؤولية، كما ينبغي أن يعوده على القيام بالحقوق الاجتماعية فيعوده مثلاً على الذهاب لعيادة جاره، أو زميل الدراسة المريض ... لكن ينبغي في هذه الحالة أن يكون معه مربيه أو أخوه الكبير تحقيقاً للفائدة المرجوة منها..."[1].

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، ص١١٢، ١١٣.

رابعاً- التطبيق التربوي والتدريب العملي:

من أفضل الأساليب التربوية لإنجاح العملية التعليمية والتربوية توجيه المتربين إلى التطبيق والتدريب العملي والمشاركة والممارسة الفعلية، فإنه لا ينبغي أن تقف العملية التربوية عند حد الوظيفة المعرفية، وإنما ينبغي أن تتجاوز إلى الوظيفة العملية والتطبيق الفعلي، إذ "أن الجانب المعرفي ليس مقصوداً لذاته وإنما وسيلة للتطبيق الصحيح، فإن العلم بدون ممارسته عملياً لا قيمة له ولا ثمرة، فمثلاً الدارس للعبادات مع عدم العمل بها فإنه لا قيمة لهذه الدراسة بل هي جهد وحجة قائمة على المتعلم، وكذلك الطبيب والمهندس وغيرهما إذا لم يقم الإنسان بعمله وفق ما تعلمه فإنه جهد بلا إنتاج، وعلم بلا ثمرة"[(١)]. ومن هنا تبرز أهمية التطبيق التربوي والممارسة العملية، ويمكن للقارئ أن يرى الإشارة إلى ذلك في أحاديث الباب، ومن دلائل ذلك ما أمر الله تعالى به آدم من الذهاب إلى نفر من الملائكة والتسليم عليهم، فلم يكتف سبحانه بمجرد تعليم آدم، وإنما أمره أن يمارس ذلك ممارسة عملية، ففي الحديث «لما خَلَقَ اللّهُ آدَمَ عليه السلام قال: اذْهَبْ فسَلِّمْ على أُولئِكَ: نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس فاستَمعْ ما يُحَيُّونَكَ، فإنَّها تَحِيَّتُكَ وتَحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّهِ فَزَادُوهُ: وَرَحمَةُ اللّهِ» .

وعلى المستوى البشري نرى ذلك أيضاً واضحاً في اصطحاب ابن عمر للطفيل بن أبي ابن كعب رضي الله عنه إلى السوق من أجل السلام، فعبدالله بن عمر رضي الله عنهما لم يكتف بمجرد نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الآمرة بإفشاء السلام وتلقينها الطفيل رضي الله عنه، وغيره من المسلمين، بل عمد إلى التطبيق العملي لذلك، كما في الحديث عن الطفيل بن أبي ابن كعب أنه كان يأتي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه...".

"إن التوجيه النظري وحده لا يكفي إلا إذا أضيف إليه التدريب العملي"[(٢)]. بل ولا يكتفي بالتوجيه العملي مرة أو مرتين، وإنما ينبغي أن يصبغ بالدوام والاستمرارية

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٤٥.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣١٢.

والتكرار، ونلاحظ ذلك من حديث الطفيل مع ابن عمر رضي الله عنهما، وذلك من خلال الألفاظ الدالة على التكرار والكثرة، فمثلاً قوله: "أنه كان يأتي عبدالله بن عمر فيغدوا معه إلى السوق، قال فإذا غدونا..."، وقوله: "إنما نغدوا من أجل السلام.."، فإنه: "بالتكرار ومرور الزمن تصبح هذه التدريبات جزءً من عادات الفرد المتمكنة، ذات الجذور العميقة في قرارة نفسه"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في المجالين التربوي والتعليمي، منها:

أ-الإلقاء: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع: بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونصر الضعيف، وعون المظلوم وإفشاء السلام وإبرار القسم" وكما في حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام".

والتربية بالتلقين تتميز بأثرها البالغ في نفوس المسلمين، لذا فلم يكن المربي الأول صاحب الرسالة، محمد صلى الله عليه وسلم يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله، فقد كان يستعملها في أغلب المواقف، وخاصة المواقف التي تتعلق بمصالح العباد وترتبط بحقوقهم. كما كان يستعلمها في الأمور المتعلقة بالآخرة.

ب-الإقناع العقلي: كما في إقناع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الطفيل بن أبي بن كعب أن إتيانه للسوق كان بغرض إلقاء السلام على من يلقاه.

والإقناع العقلي يتميز بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ويناسب مواقف التعلم المختلفة.



(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١، دار عمار، عمَّان: ١٩٩٩م، ص٧٥.

١٣٢- باب كيفية السلام

يُسْتَحَبُّ أنْ يَقُولَ المُبْتَدِئُ بالسَّلاَمِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَأْتِي بِضَمِيرِ الجَمْعِ، وَإنْ كَانَ المُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيقُولُ المُجِيبُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بِوَاوِ العَطْفِ فِي قَوْله: وَعَلَيْكُمْ.

الحديث رقم (٨٥١)

٨٥١-عن عِمْرَان بن الحصين رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((عَشْرٌ)) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((عِشْرُونَ)) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((ثَلاثُونَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصين: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر قيمة إفشاء السلام في زيادة الحسنات، وقد قرر المعنى بطريقة حوارية تحقق التشويق للحديث بداية، وتحقق للمعنى الثبات نهاية، وقد توصل إلى ذلك من خلال التدرج في إثبات الأجر من الأدنى إلى الأعلى خلال استثمار الحدث بدخول الرجل الذي ألقى السلام بصيغة مقتضبة: (السلام عليكم) بما يعدل ثلث العبارة فرد عليه ثم جلس فجاء قول النبي ﷺ (عشر) مبنية على الإيجاز أي: أجره عشر، أو له عشر، وكذلك في رده على الثاني بقوله (عشرون) أي أجره عشرون، أو له عشرون، وعلى الثالث بقوله (ثلاثون)، ومن الملاحظ أنه حذف المميز للعدد أي: أجره ثلاثون

(١) أخرجه أبو داود ٥١٩٥ واللفظ له، والترمذي ٢٦٨٩ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٦.

حسنة، أو درجة، ومن الملاحظ فيما حذف أنه مفهوم من بقية الكلام فالإيجاز حقق المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته، وإبعاد السأم، والملل عنها؛ ولذلك نجد البلاغيين يؤكدون على هذا البعد النفسي للإيجاز يقول أبو هلال العسكري: (للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال...) [١] ومن الملاحظ في عطف الجمل في رد السلام، أنها عطفت بالفاء التي تشير إلى الفورية، والسرعة دون مهلة قد يظن فيها من ألقى التحية الظنون في سبب عدم الرد، أو تأخره مما قد يسبب له الحرج، أو الضيق الأمر الذي يتعارض مع الغرض الحقيقي للسلام.

فقه الحديث

إن السلام المأمور به له أقل وأكمل، فأقله أن يقول المسلم: السلام عليكم، أو سلام عليكم، والأول أفضل.

وأكمله: أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢].

وصيغة الردّ أن يقول المسلَّم عليه: وعليكم السلام، ويصحّ أن يقول: سلام عليكم. والأول أفضل، والأصل في صيغة الرد أن تنتهي إلى البركة فتقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وإذا قال المسلِّم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإن الزيادة تكون واجبة، فلو اقتصر المسلِّم على لفظ: السلام عليكم كانت الزيادة مستحبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٣])[٤].

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى، تحقيق: د. مفيد قميحة صـ٨٠.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٦٨/٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: روح المعاني ٩٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩٢/٦، والعدوي على الرسالة ٤٣٥/٢، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٩/٢٥-١٦٠، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٢٢/٤٢-٢٢٣ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إفشاء السلام.

ثانيًا: من مهام الداعية: البيان والتعليم للثواب المترتب على إفشاء السلام.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على تحصيل الثواب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إفشاء السلام:

لقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ ما جاء به رسول الله ﷺ من هدي بالقبول والتطبيق، ومن ذلك الدعوة إلى السلام وإفشائه، وفي الحديث دلالة على مدى حرص الصحابة جميعهم على تجميل علاقاتهم بالسلام، ففي الحديث نرى أنه ما من داخل على الرسول ﷺ وأصحابه إلا وألقى السلام، (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم.. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله... ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..)، فما أجدر الناس بالاقتداء بأحوال الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على التطبيق العملي لسنة رسول الله ﷺ والاقتداء به في ضبط الأقوال والأفعال"[1].

ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث من بيان حرصهم رضي الله عنهم على إفشاء السلام الذي هو تحية المسلمين، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[2]، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في لقيا الملائكة له: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[3].

وهذا السلام له فضائل وميزات، فقد ورد أنه من خير الإسلام، روي عن عبدالله

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٥٦٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢/١٨٠، ٢٥٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٤.

(٣) سورة هود، آية: ٦٩.

بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: ((تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[1].

كما أن السلام من أسباب المودة والألفة والمحبة بين المسلمين وفيه الأجر العظيم والخير الكثير، فهو من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: ((لا تدخلوا الجنةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[2]. أي لا يكمل إيمانكم، أو لا يكون حالكم حال من كمل إيمانه حتى تفشوا السلام الجالب للمحبة الدينية والألفة الشرعية، وإفشاء السلام إظهاره وإشاعته وإقراؤه على المعروف وغير المعروف[3].

والسلام هو اسم من أسماء الله تعالى، فكأن المسلّم عندما يسلم يقول: أنت في حفظ الله تعالى، قيل: إن السلام دعاء بالسلامة[4].

ثانيًا- من مهام الداعية: البيان والتعليم للثواب المترتب على إفشاء السلام:

إن من أبرز الأمور الواجبة على الداعية الاضطلاع بها، البيان وتعليم المدعوين، وذلك أمر الله، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[5]، لما للبيان الواضح من تأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة الصحيحة[6]، ومن ذلك بيان الثواب المترتب على السلام كما ورد في الحديث: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: (عشر)، ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: عشرون ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٤٢/١.

(٤) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون)، فإن بيان الأجر ومقدار الثواب لمن أكبر الدوافع إلى الإتيان بالعمل، وقد استخدم القرآن ذلك مرارًا فبيّن الثواب ومضاعفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾[1]، وقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2]، وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

فإن بيان الثواب المعد على الطاعة، وبيان كيفية الإتيان والقيام بالطاعة وتعليمها، من وسائل نشر الدعوة إلى الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يستخدم أسلوب التعليم في تلقين الصحابة رضي الله عنهم ماهية العبادة وكيفية الإتيان بها، كما جاء في الحديث من بيان ثواب السلام، وكما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه يتبين لنا كيف يعلم الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا عطَسَ أحدُكم فليقل الحمد لله، وليقلْ له أخوه أو صاحبه ـ يَرحمكَ الله، فإذا قال له يَرحمكَ الله، فليقل: يَهديكُم الله ويُصلحُ بالكم))[4]، فما أحرى بالدعاة إلى أن يهتموا بتعليم الناس الخير، لينالوا الأجر العظيم ويفوزوا بالنعيم المقيم.

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على تحصيل الثواب:

إن صيغة السلام كلما ازدادت ألفاظها ازدادت حسناتها، لذا كان من آداب المدعو حرصه على نيل الأجر والمثوبة بذكر الصيغة التامة في التسليم، والتي جاءت في الحديث: (ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون)، أي: ثلاثون حسنة، لأن الحسنة يجزى صاحبها بعشر أمثالها، وذلك بناء على أن كلا من السلام ورحمة الله وبركاته حسنة مستقلة، فإذا أتى بواحدة منها

---

(١) سورة النمل، آية: ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٤٢.

حصل له عشر حسنات، وإن أتى بها كلها حصل له ثلاثون حسنة[١]، فإن الأجر يتفاوت بقدر التفاوت في بذل السلام كله أو بعضه، فالدعاء بالسلام ثوابه عشر حسنات، فإن ضم إليه الدعاء بالرحمة صارت عشرين، وإن ضمت إليهما البركة صارت ثلاثين، وهذا لكل من المبتدئ بالسلام والراد عليه[٢]، وهكذا الفضائل تزيد المثوبات بزيادة العمل.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في إتمام صيغة السلام بزيادة الثواب، (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ: عشر... ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله.. فقال: عشرون... ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... فقال: ثلاثون)، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية أثرًا في قيادة النفوس، لحبها ما ينفعها وحرصها على الحصول عليه، وقد ورد أسلوب الترغيب في القرآن كثيرًا وأمر الله به نبيه ﷺ مع قيامه بأساليب أخرى[٣]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤]، فأحد هذه الأسباب: الموعظة الحسنة وهي كما وضحها ابن القيم: (الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة)[٥].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٨٢.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٨٠.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ص ١٩٤.

الحديث رقم (٨٥٢)

٨٥٢- وعن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت: قَالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: ((هَذَا جِبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ)) قالت: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: ((وَبَرَكاتُهُ)) وفي بعضها بحذفِها[2]، وزِيادةُ الثقةِ مقبولة.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

حديث النبي ﷺ مع آل بيته له خصوصية عن غيره من وجوه، منها أن ما يسفر عنه هذا الحديث يصير تشريعات للأمة، تقتدي به، ثانياً أنه حديث يتسم بالأدب العالي، وحسن الأخذ، والرد، ثالثاً: يتميز بأنه من طبقة البيان العالي، بل أعلاها على الإطلاق على المستوى البشري، رابعاً تتجسد فيه أعلى معاني الرحمة، والمحبة، والحنان، والتوقير، وكل المعاني السامية التي يحاول أصحاب النفوس العالية تمثلها، وقول أم المؤمنين رضي الله عنها (قال لي رسول الله ﷺ) يوحي بالاعتزاز، والسرور لأنها قدمت الجار، والمجرور: (لي) لتفيد اختصاص نفسها بهذا الحديث دون غيرها اعتزازاً بمقول القول، ثم إنها استخدمت صيغة الماضي دلالة على التحقق، وقول الرسول ﷺ (هَذَا جِبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ) استخدام اسم الإشارة يوحي بالمدح، وتقديم الخبر (عليك) على المبتدأ يشير إلى الخصوصية، والخبر بيان، وتشريف لام المؤمنين - رضي الله عنها، وأرضاها -.

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢١٧، ومسلم ٢٤٤٧/٩٠.

(٢) عند البخاري برقم ٦٢٠١، ٦٢٤٩، ٦٢٥٣، وكذا عند مسلم.

فقه الحديث

١- يسن بعث السلام إلى من غاب عنه، ويلزم الرسول تبليغه، لأنه أمانة، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[1])[2].

٢- بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة، إذا لم يخف ترتب مفسدة، وأن الذي يَبْلُغُه السلام يرد عليه، وهذا الرد واجب على الفور، وكذا إذا بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه.

٣- يستحب في الرد أن يقول وعليك أو عليكم السلام بالواو، فلو قال عليك السلام أو عليكم أجزأه على الصحيح وكان تاركًا للأفضل[3].

٤- ويستحب أن يرد على المبلغ أيضًا، فيقول: وعليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام عليها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها.

ثالثًا: من آداب الداعية: الحث على ذكر الصيغة التامة للسلام.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام عليها:

جاء في الحديث التصريح بإخبار النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٢٢ .

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/١٧١ دار الكتب العلمية، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٢٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٦٠.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٢٢.

عليها، فعنها أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (هذا جبريل يقرأ عليك السلام)، فقوله: (هذا جبريل) يقتضي أنه كان حاضرًا حينئذ، كما هو أصل وضع اسم الإشارة[1]، قال النووي: (وفيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه، وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب ونحوه)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها:

إن لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من الفضل ما لا يخفى على أحد، فهي العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب سيد المرسلين المبرأة من العيوب، المعراة من ارتياب القلوب[3]، ومن فضل عائشة رضي الله عنها ما جاء في الحديث من تسليم جبريل عليه السلام عليها وإبلاغ رسول الله ﷺ لها: (هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)، وفي الحديث فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها[4]، إلى غير ذلك من الفضائل، فقد حفظت عن رسول الله ﷺ الكثير، وأكثرَ الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا، حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها[5]، وقد ورد في فضلها الأحاديث الكثيرة، منها ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَمُلَ مِنَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يكمُلْ منَ النساء إلاّ مريمُ بنت عِمرانَ وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ. وفضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثَّرِيدِ على سائر الطعام))[6].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨٤.

(٣) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد بن عبدالرحمن العك ١/١٢٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٣٣٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٣٤.

(٦) أخرجه البخاري ٣٧٦٩.

ثالثًا- من آداب الداعية: الحث على ذكر الصيغة التامة للسلام:

إن في سلام جبريل عليه السلام وإبلاغ رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها وردها عليه بالصيغة التامة: (وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)، امتثالاً واستجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1][2]، وهذه الآية من آداب السلام، علم الله بها المؤمنين أن يردوا على المسلّم بالأحسن من سلامه أو بما يماثله، ليبطل ما كان في الجاهلية من تفاوت السادة والدهماء، وتكون التحية أحسن بزيادة المعنى، فلذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾[3].

إن تحية إبراهيم عليه السلام كانت أحسن، إذ عبر عنها بما هو أقوى في كلام العرب وهو رفع المصدر للدلالة على الثبات وتناسي الحدوث المؤذن به نصب المصدر، وليس في لغة إبراهيم عليه السلام مثل ذلك، ولكنه من بديع الترجمة، ولذلك جاء في تحية الإسلام: السلام عليكم، وفي ردها: وعليكم السلام، لأن تقديم الظرف فيه للاهتمام بضمير المخاطب، وقال بعض الناس: إن الواو في رد السلام تفيد معنى الزيادة، فلو كان المسلّم بلغ غاية التحية أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإذا قال الراد: وعليكم السلام...، كان قد ردها بأحسن منها بزيادة الواو[4]، ولذا جاءت الآية والأحاديث حاضّة على زيادة ألفاظ السلام والإتيان بالصيغ الكاملة له، فإن الثواب يزداد بقدر السلام، فمن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كانت له ثلاث حسنات مضاعفة إلى ثلاثين حسنة[5]، وكما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[6]، وذلك من بالغ فضله تبارك وتعالى بأن يعطي على الحسنة عشرة أمثالها،

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦٩.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٤٧/٥/٢.

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى سعيد الخن وآخرون ٥٧٩/١.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

وهي مماثلة موكولة إلى علم الله تعالى وفضله"[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ضمنيًا في رد عائشة رضي الله عنها على جبريل عليه السلام بالصيغة التامة فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخدامًا، وأشدها تأثيرًا في نفوس المدعوين، فإن ترغيب الإنسان وإغرائه ووعده بأنواع العطاء والنعيم، لمن أكبر الأسباب إلى التأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة الصواب، وذلك لما جُبِلَ عليه الإنسان من التطلع إلى ما هو أعظم وأجدى[٢].

وقد رغّب القرآن في تحية السلام وردها، وإتيان الأكمل والإحسان فيها؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[٣]، أي: كان على كل شيء تعملونه حسيبًا ومكافئًا[٤]، فاستحضار عطاء الله ومكافئته على الأعمال الصالحة، لمن أكبر الدوافع إلى عمل الخير وخير العمل.

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩٦/٥/٤.

(٢) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٥٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٤٣/٥/١.

الحديث رقم (٨٥٣)

٨٥٣- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تكلم بِكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفهمَ عَنْهُ، وَإِذَا أتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سلم عَلَيْهِمْ ثَلاثًا. رواه البخاري[1].

وهذا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الجَمْعُ كَثِيرًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إعادة كلامه ﷺ ثلاثاً من علمه بأحوال الناس، ورعاية لحال من تأخر فهمه، أو اختلفت لهجته، والتكرار هنا من رعاية الكلام لمقتضى الحال الذي هو من البلاغة عينها، وقد صاغ الراوي المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة ومع ذلك فقد أكّده بإن، ثم ضمير الشأن المتصل به، لغرض تفخيم الشأن بذكره مبهماً، ثم مفسراً، وهو إحساس منه بعظمة الرسول ﷺ وهيبته، وإجلاله في نفوسه، وكذا حال الصحابة جميعاً توقيراً للرسول ﷺ والفعل (كان) يدخل بالمخاطبين بوابة الماضي، لينقل منه ضوعة من عبق الحبيب، وأسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء يربط الكلام بالإعادة ثلاثاً، كلما استُجد كلام استُجِدت إعادة علامة على أنها صارت عادة في كلامه ﷺ واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وصياغة فعل الشرط، وجزائه في صورة الماضي يؤكد هذا التحقق، وقوله (حتى تفهم عنه) تقرير للغاية التي يسعى إليها، فقد كان همُّه التبليغ، وحرصه على كل فرد من أفراد أمته.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٩٥، وتقدم برقم ٦٩٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٩٦).

الحديث رقم (٨٥٤)

٨٥٤- وعن المِقْدَادِ رضي الله عنه في حديثِهِ الطويل، قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْليمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ،... فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

الشرح الأدبي

قول المقداد رضي الله عنه كنا يشير إلى أن الحدث طواه الزمان كما يشير إلى تمام تحققه، وإذا كان كذلك فقد صار سُنة عنه يتلقفها الصالحون الصادقون في كل مكان، وزمان، وقوله (نرفع) يشير إلى أنه فعل جمع مما يمنح الخبر لوناً من التوكيد، وقوله (فيجيء) التعبير بالمجيء؛ لأنه لا يحتاج إلى صلة بعكس أتي، ونحوها، ولذلك يقال جاء فلان نفسه، ولا يقال أتى فلان نفسه، وقوله (فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لاَ يُوقِظُ نَائِماً) استخدام الفاء يؤذن بالسرعة، والتسليم فور الدخول، وبين (يسلم، و تسليماً) جناس رقيق يشبه حفيف تسليم المسلم الذي يفيض عليهم من معاني الكلمة ما يبعث الأمان، والمحبة، وكذلك بين (يوقظ ويقظان)، وقوله (فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ) بيان عملي لطريقة تسليمه التي سبق بيانها قولاً، والتسليم بهذا المعنى ينم عن ذوق عالٍ يراعي أحوال الجميع، وينشر المحبة.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يشترط في ابتداء السلام وجوابه رفع الصوت؛ بحيث يصل الأسماع، وينبغي أن يرفع صوته رفعًا يسمعه المسلَّم عليهم والمردود عليهم سماعًا محققًا. ولا يزيد في رفعه على ذلك، فإن شك في سماعهم زاد واستظهر، وإن سلّم على

---

(١) برقم ٢٠٥٥/١٧٤.

أيقاظ عندهم نيام، خفض صوته بحيث يسمعه الأيقاظ ولا يستيقظ النيام، وذلك لحديث الباب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: إفشاء السلام ومراعاة أحوال المخاطبين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أدب إفشاء السلام لمن دخل على قوم وفيهم نيام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأدب العالي والخلق الرفيع للنبي ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: إفشاء السلام.

أولاً- من آداب الداعية: إفشاء السلام ومراعاة أحوال المخاطبين:

إن من الآداب التي يتحلى بها الداعية: إفشاء السلام، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾[٣]، كما أن إفشاء الداعية السلام سبب جالب لمحبة المدعوين وإقبالهم عليه[٤]، وذلك من عموم قوله ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"[٥]، ولذلك كان النبي ﷺ بالغ الحرص على إفشاء السلام، والحديث يعكس ما كان عليه ﷺ من حرص على إفشاء السلام "فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان ...".

فإفشاء السلام من الآداب الإسلامية الجميلة، التي تعود على الفرد والمجتمع بأطيب الآثار والثمار، وتنشر المودة ويتحاب الناس فيما بينهم، فالامتثال بمثل هذه

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٢ .

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٨.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

الآداب من شأنه أن يقوي أواصر الأخوة، ويصفي النفوس من أدرانها، ويزيد الألفة والمحبة بين قلوب المؤمنين، ويَسُلُّ السخيمة من الصدور[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أدب إفشاء السلام لمن دخل على قوم وفيهم نيام:

جاء في الحديث بيان أدب السلام لمن دخل على قوم فيهم نيام من قوله: "فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان"، وذلك يبين لنا ما كان عليه ﷺ من أدب عالٍ وخلق رفيع، قال النووي: " هذا فيه آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم، وأنه يكون سلامًا متوسطًا بين الرفع والمخافتة، بحيث يسمع الأيقاظ ولا يهوش على غيرهم[٢]. قال ابن عثيمين: وهكذا ينبغي للإنسان إذا دخل بيتًا أو حجرة أو ما أشبه ذلك وفيها نيام وأيقاظ، أن يسلم سلامًا يسمعه الأيقاظ ولا يوقظ النيام، لأن النائم لا يحب أن يوقظه أحد، لاسيما أن بعض الناس إذا أوقظ، ما يأتيه النوم بعد ذلك، ويبقى أرِقًا إلى الفجر، وهذا فيه أذى وفيه ضرر على الآخرين[٣].

فما أحرى بالإنسان أن يتمسك بآداب الإسلام ويتخلق بأخلاقه "إن الإسلام كله أدب وذوق رفيعان، لم يصل إليهما، بل لم يعرفهما بنو آدم من قبل أن يمن الله علينا بهذا الدين، وما كان لهم أن يكون لهم ذلك بغير تعليم العليم الخبير لهم، وتربيته وتزكيته لهم، فالإسلام كله ناطق بهذه السمة في تعاليمه وأحكامه كلها، وتمثلت تلك الآداب وهذه الأخلاق كلها في شخصية النبي ﷺ، فلقد كانت حياته كلها ذوقًا رفيعًا وأدبًا عاليًا، والوثيقة الناطقة بهذا هي كتاب الله، القرآن الكريم، وحديث النبي ﷺ وسيرته[٤]، ولقد شهد له ربه عز وجل بهذا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص١٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٤٧/٢.

(٤) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الرحيلي، ص١٧٠.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأدب العالي والخلق الرفيع للنبي ﷺ:

لقد مثل رسول الله ﷺ بأخلاقه وآدابه أمام البشرية مثولاً يسمو بخواطرها إلى صورة الكمال، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، فكان ﷺ ولا زال خير مثال تقتدي به الإنسانية في الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب[2]. وفي الحديث أنموذج حي على حسن أخلاقه وكريم شمائله" فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان"، أي يسلم تسليما متوسطًا بين أقل الجهد وما فوقه[3]، وذلك مما يدل على محاسن صفاته وأحاسن آدابه[4].

وفي الحديث دلالة على أنه ينبغي على الإنسان في إلقائه السلام، أن يراعي أحوال الناس فلا ينغص هدوءهم، ولا يكدر راحتهم، كما كان شأن رسول الله ﷺ والذي ورد في الحديث بيان حال سلامه ﷺ إذا قدم على بعض أصحابه النائمين، فيسلم في صوت خافت يسمعه اليقظان ولا يتأثر به النائم، وهذا حسن تصرف وكمال يجب مراعاته في السلام وغيره من الأمور[5].

رابعًا- من أساليب الدعوة: إفشاء السلام:

يبدو ذلك في الحديث في قوله: "فيسلم تسليمًا" قال النووي: والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة[6]، وذلك مما يجعل الداعية محبوبًا من قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم، أما الإعراض عن الناس، والتكبر عليهم، والاستنكاف من التقرب إليهم والسلام عليهم، فإنه يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله[7].

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر ص ١٠٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٢.

(٤) نور اليقين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٧) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

لذلك حرص الإسلام كل الحرص على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، من أجل ذلك كان حرص الإسلام كبيرًا، على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة[1].

(١) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم، ص١٣.

الحديث رقم (٨٥٥)

٨٥٥- وعن أسماء بنتِ يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وهذا محمول عَلَى أنَّه ﷺ، جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالإشَارَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أنَّ في رِوَايةِ أبي داود[2]: ((فَسَلَّمَ عَلَيْنَا)).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥٨٨).

غريب الألفاظ:

العصبة: الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين[3].

ألوى بيده: أشار بيده[4].

الشرح الأدبي

ذكر الظرف المكاني الذي حوى الحدث (في المسجد)؛ لأن له تعلقاً بالحدث بوجه من الوجوه يتبين خلال التأمل، وقد طوى تحديد الزمان، وأبهمه بتنكيره (يوماً) لأنه لا ترتبط بتحديده فائدة للمعنى الذي يريد تقريره، والتعبير بالعصبة يقرِّب حجم المجموعة الجالسة من العشرة إلى الأربعين، كما يوحي بأنه لا يوجد بينهم من هو مختلف عنهم في الجنس كالرجال، أو في العقيدة كغير المسلمين، أو في الغاية، وهي طلب العلم، أو الصلاة فهم كالمتعصبون بهذه الصفات فالعصب من معانيه الحزم، والشد، وقوله (فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ) استخدم الإشارة في إلقاء السلام مع اللفظ، وهذا يعطي الكلام تمكناً؛ لأن المعنى يشترك في استقباله البصر مع السمع، مما يجعله أوضح في الذهن، وأثبت مع الزمن.

---

(١) برقم ٢٦٩٧. ونقل الترمذي عن أحمد بن حنبل أنه قال: لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام، عن شَهْر بن حَوْشَب، وقال محمد بن إسماعيل البخاري: شهر حسن الحديث وقوى أمره.

(٢) برقم ٥٢٠٤.

(٣) النهاية في (ع ص ب).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل و ي).

فقه الحديث

كراهة الإشارة بالسلام باليد ونحوها بلا لفظ [١]:

يكره السلام أو ردّه بالإشارة: بالرد باليد أو بالرأس بغير نطقٍ بالسلام مع القدرة وقرب المسلَّم عليه، لأن ذلك من عمل أهل الكتاب: اليهود والنصارى، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهُ بِغَيْرِنَا لاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ اليَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَصَارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ)) [٢].

فإن كانت الإشارة مقرونة بالنطق، بحيث وقع التسليم أو الرد باللسان مع الإشارة، أو كان المسلَّم عليه بعيدًا عن المسلِّم بحيث لا يسمع صوته، فيشير إليه بالسلام بيده أو رأسه ليعلمه أنه يسلم، فلا كراهة.

وتكفي الإشارة في السلام على أصم أو أخرس أو الرد على سلامه [٣].

أمّا رد السلام بالإشارة في الصلاة، فقد ذكر الصنعاني أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب جماعة إلى أنّه يرد بعد السلام من الصلاة. وقال قوم: يردّ في نفسه وقال قوم: يرد بالإشارة. كما أفاده حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قلت لبلال: كيف رأيت النبي يرد عليهم حين يسلمون عليه، وهو يصلّي؟ قال: يقول هكذا، وبسطه كفه) [٤].

قال الصنعاني: (هذا هو أقرب الأقوال للدليل وما عداه لم يأت به دليل) [٥].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٧ .

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٦٨).

(٣) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٢-٤٢٣ ط/ حلب، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٢، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٧-٢٧٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٩-١٦٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٩٢٧، والترمذي ٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٨٢٠).

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٦١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإشارة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المسجد:

قد أشير إلى ذلك في الحديث في قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا))، فإن المسجد يعد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض، وذلك لترددهم المستمر عليه، ولقائهم بالبعض فيه، وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع شأنه في آيات كثيرة[(١)]، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[(٢)]، لذلك حرص النبي ﷺ أول ما نزل المدينة على بناء المسجد فأقام مسجد قباء، ولما نزل في بيت أبي أيوب اتجه تفكيره إلى إنشاء مسجده بالمدينة[(٣)].

وذلك لما للمسجد من أهمية، إن المساجد هي مجامع الأمة وملتقى الأئمة، ومما لا شك فيه أن رسالة المسجد في الإسلام تشمل جميع جوانب الحياة، لذا ينبغي إعطاء المسجد رسالته في الحياة[(٤)]؛ فالمسجد عندما يأخذ مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراده الله له، يكون من أعظم المؤثرات في الإنسان، حيث إن له دورًا عظيمًا في تعميق المفاهيم الإسلامية، وغرس الفضائل الروحية والخلقية والعقلية، إذ في المسجد يسمع

---

(١) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص١١، ١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، القسم الثاني، العهد المدني، محمد أبو زهرة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة وسنة النبي ﷺ، الدوحة: المحرم ١٤٠٠هـ ص٦٤٢..

(٤) انظر: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضير، ٨/١.

الإنسان الخطب والدروس العلمية، مما يساعده على وعي العقيدة الإسلامية، ومعرفة الغاية التي من أجلها خُلق، ويتعلم القرآن[١]، وبهذا ينغرس في نفس الإنسان إخلاص العبادة لله عز وجل، وينمو لديه الجانب الروحي والخلقي والعقلي، وتتوثق صلته بإخوانه المسلمين الذين يجتمع بهم في المسجد[٢].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

قد جاء في الحديث ذكر النساء، في قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، ((أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود)). لقد اهتم الإسلام بالنساء وجعلهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾[٣]، ولا بد من تكثيف النشاط لهداية النساء، فإن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها، ومنع لآية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه[٤].

لذا كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يذكر ويبين لهن أحكام الإسلام، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: ((غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: «ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النار» فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: «واثنين))[٥]. والمرأة المسلمة لها مكانتها في الأسرة، ومن ثم في المجتمع الإسلامي بأسره، وبصلاحها يحصل الخير الكثير، لذا كان على القائمين على الدعوة مؤسسات وأفرادًا، أن يعتنوا بالمرأة تربيةً على أحكام الإسلام، وتوجيهًا إلى ما فيه

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بناءها ورعايتها، د. ناصر التركي، ص٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣، ٧٤.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له ١٠١، ومسلم ٢٦٣٤.

صلاحها وفلاح المجتمع المسلم.

لقد جاء في الحديث التصريح بتسليم النبي ﷺ "أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم" أي أشار بيده بالتسليم، وهذا محمول على أنه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة، وفيه دلالة على جواز التسليم على النساء، والمراد بجوازه أن يكون غير آمن الفتنة، وقال الحليمي: كان النبي ﷺ للعصمة مأمونًا من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة فليسلم، وإلا فالصمت أسلم[1].

قال ابن عثيمين: (السلام على المحارم من النساء والزوجات سنة، وأما الأجانب فلا تسلم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات إذا كنت آمنًا على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تسلم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم، أن الإنسان لا يسلم على المرأة إذا لاقاها في السوق وهذا هو الصواب، ولكن لو أتيت بيتك ووجدت فيه نساء من معارفك وسلمت فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الإشارة:

ورد استخدام النبي ﷺ في الحديث للإشارة "فألوى بيده بالتسليم" فإن الإشارة من الأساليب البيانية لما في نفس المتكلم، قال الشيخ علي محفوظة، وطبقه الصوت واللفظ، وهيئة الوجه، وحركات الجسم، كلها تتضافر على بيان ما في النفس، وتصوير ما بالخاطر، ولا بد في الأداء من أشياء، الذاكرة وحسن اللفظ والصوت والإشارة، لأن جودة الأداء تستدعي أن يتذكر الداعي للحال ما يريد بيانه من المعاني، وأن يوصلها إلى السامعين بالصوت الخاص ناطقًا بها، ولا غنى له معهما عن إشارات تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحًا [3].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ٢٠٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١١٥٢/٢.

(٣) فن الخطابة ص ٦٤، ٦٥

وقال الإمام ابن الجوزى: "فإن من العوام من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة[(١)] لكن مما ينبغي لفت الداعية والخطيب إليه هو عدم إساءة استخدام الإشارة، فإن من العيوب التي تتعلق بالبيان عدم انتظام الإشارات[(٢)] وتوافقها مع الكلام المُلْقَى على المدعوين.

إن الدعوة لا تقتصر على القول فقط، بل قد يأتي القول مقرونًا بالإشارة، ولا شك أن الجمع بين القول والإشارة في الدعوة يجعل الدعوة أعمق تأثيرًا وأكثر رسوخًا من القول المجرد، ولقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقوم بالدعوة بهذه الصورة، ومن شواهد ذلك ما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه))[(٣)] وفي رواية الترمذي: ((من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه))[(٤)].

قال المناوي: (وضم إصبعيه مشيرًا إلى قرب فاعل ذلك منه، أي دخل مصاحبًا لي قريبًا مني، يعني أن ذلك الفعل مما يقرب فاعله إلى درجات المصطفى ﷺ)[(٥)].

كما يتمكن المرء من القيام بالدعوة بالإشارة فقط، ومن دلائل ذلك ما جاء عن كعب بن مالك رضي الله عنه ((أنه تقاضى ابن أبي حدرد رضي الله عنه دينًا كان له عليه على عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج رسول الله ﷺ إليهما حتى كشف سجف حجرته، فنادى كعب بن مالك، فقال ياكعب، فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر، فقال كعب رضي الله عنه قد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ قم فاقضه))[(٦)]. وفي ذلك

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٣٩.

(٢) انظر: الخطابة، محمد أبو زهرة ص ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٣١.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٣).

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٧٧/٦.

(٦) أخرجه البخاري واللفظ له ٢٧١٠، ومسلم ٢٠ ١٥٥٨.

جواز الاعتماد على الإشارة وإقامتها مقام القول لقوله "فأشار بيده أن ضع الشطر" لـ "أن" في الحديث مفسرة لأن في الإشارة معنى القول[١].

فخلاصة القول إن الدعوة قد تكون بالإشارة وحدها كما يمكن الاستئناس باقترانها بالقول[٢].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة، الطيبي، ١٧٥/٧.

(٢) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٠٩-٢١٦.

الحديث رقم (٨٥٦)

٨٥٦- وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إنَّ أوْلى النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلَامِ)) رواه أَبُو داود[١] بإسنادٍ جيدٍ، ورواه الترمذيُّ[٢] بنحوه وقال: (حديثٌ حسن). وَقَدْ ذُكر بعده.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

أولى الناس بالله: أي أحقهم بالقرب منه بالطاعة[٣].

الشرح الأدبي

التعبير بالولاية يوحي بمعاني المحبة، والرعاية، والحفظ، وولاية الله هي التقريب، والمحبة، والرضى، والرحمة، وكلها معانٍ حميمة إلى النفس المؤمنة، والتعبير بأفعل التفضيل يرتقي بها درج المراتب، وإضافة (أولى) للناس يعطيها عموماً؛ لأن اللام للجنس، والفعل (بدأ) يدل على تقدمه على غيره، والماضي دل على التحقق، والضمير (هم) المتصل به يشير إلى أنه عمهم بالسلام، وهو معنى قرَّره الرسول ﷺ في غير حديث لأهميته، وقوة تأثيره في نشر الأمن، والمحبة، وذكر الله، الذي يعطي المجتمع المسلم خصوصية، وتميزاً بهذا التحية.

---

(١) برقم ٥١٩٧. قال ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٥/٣٢٧: هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٨٩.

(٢) برقم ٢٦٩٤، وسيذكر المؤلف لفظه برقم ٨٥٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بأن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن أولى الناس بالله" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من إيقان الداعي بدعوته وحمل المدعو على الاستجابة لها ووقوعها في قلبه موقع القبول والتسليم.

فالتوكيد من أهم الأساليب الدعوية في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به[2]، وقد شاع استخدام التوكيد في كثير من آيات القرآن والسنة النبوية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[3]. وقد استخدم النبي ﷺ التوكيد والتكرار وسيلة تربوية، تجعل من الأمر المؤكد وكذا المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه.

فبالتوكيد والتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالوصية لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بأن أولى الناس بالله من بداهم بالسلام:

جاءت النصوص النبوية مبينة فضل البدء بالسلام وفي الحديث بيان لوجه من أوجه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٥٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٥٩).

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية : ٨٦ .

(٤) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ١٢٨.

فضل البدء بالسلام، فقال ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام" قال الإمام الطيبي: (أى أقرب الناس من المتلاقين إلى رحمة الله من بدأ بالسلام، وهو من أسباب اكتساب ود الناس ومحبتهم. قال عمر رضي الله عنه مما يصفي لك ود أخيك: أن توسع له في المجلس)[١]، أضف إلى ما في البدء بالسلام من استجلاب المودة ودفع النفرة وتآلف القلوب[٢].

(فإن أحسن الناس بالثواب وأقربهم من الله تعالى والتعرض لرحماته ونعمائه مَنْ يبادر ببذل السلام سواء كان ذلك واجبًا عليه أو حقًا له، لما فيه من المبادرة إلى الطاعة وحمل المجيب على الرد بالتسبب فيه)[٣]، ولقد أيقن السلف الصالح بذلك الفضل، وكانوا يحرصون كل الحرص على حوزه بل كان الواحد منهم يخرج من بيته لا لغرض إلا لإلقاء السلام على الناس ومبادئتهم به، ومن النماذج البارزة في ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فروى عن الطفيل بن أبي كعب أخبر: «أنه كان يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه، قال الطفيل فجئت عبد الله بن عمر يومًا فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: وما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق قال: وأقول: اجلس بنا ها هنا نتحدث. قال: فقال لي عبد الله بن عمر: يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقينا»[٤]. قال الإمام ابن عبدالبر: (في هذا الخبر فضل الابتداء بالسلام ولفعل ابن عمر هذا أصل كبير في السنة[٥]. فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ((أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩/١٦.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٠٦، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٧٠).

(٥) التمهيد والاستذكار، موسوعة شروح الموطأ ٢٢/٢٩.

وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في ترغيب النبي ﷺ بالبدء بالسلام وبيانه ﷺ ذلك سبب من أسباب القرب من الله واستحقاق رحمته فقال ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخدامًا لماله من أثر بالغ في نفوس المدعوين لما فيه من الحث على الخير والتذكير بالحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل[3].

وقد استخدم الرسول ﷺ الترغيب كأسلوب من أساليب التربية والإعداد بتصوير فني رائع لنعيم الجنة مثيرًا الانفعالات الوجدانية والعواطف الربانية، لأنه ﷺ لا يغفل عن أية طريقة أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته[4]، ومن أمثلة الترغيب ما روى عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ. طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً. لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ. فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا))[5]. فالترغيب أسلوب ضاغط ودافع باتجاه الخير والسلوك الحسن وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء حرصًا منه على نيل المرغَّب فيه وخشية من فواته لاسيما وأنه لا مثيل له ولا تعدله لذة مهما بلغت[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ص ٧٢.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ٢٥٨.

(٥) أخره البخاري ١٨٢، ومسلم ٢١٨٢ واللفظ له.

(٦) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٢٣.

الحديث رقم (٨٥٧)

٨٥٧- وعن أَبي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ ﷺ، قَالَ: أتيت رسول الله ﷺ، فقلتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله. قَالَ: ((لاَ تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عَلَيْكَ السَّلاَمُ تَحِيَّةُ المَوتَى)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح)، وَقَدْ سبق بطُولِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو جري الهجيمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٩٦).

الشرح الأدبي

قول الرجل: (عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) التقديم يقتضي الاختصاص أي: عليك وحدك السلام لا يتجاوزك إلى غيرك، والإسلام يسعى إلى تعميم الخير، ودعاء الإنسان له، ولغيره أحرى أن يستجاب؛ ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ إرشادا وتوجيهاً، مرتبطاً بفاء التعليل المؤذنة بالإقناع العقلي باجتناب ما نهى عنه، في قوله: (لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَوتىَ)، وإضافة التحية للموتى فيها تنفير من هذه الصيغة في السلام، أما التعبير الذي اعتمده الرسول ﷺ، وهو تحية الإسلام (السلام عليك) بتقديم السلام لا يفيد قصره عليه وحده، كما أنه فِي الدُّعَاء بِالْخَيْرِ يُقَدَّم إِسْم الدُّعَاء الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب الَّذِي تَشْتَهِيه النُّفُوس فَيَبْدَأ الْقَلْب، وَالسَّمْع ذِكْر إِسْم الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب ثُمَّ يَتْبَعهُ بِذِكْرِ الْمَدْعُوّ لَهُ. وَأَمَّا فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ فَفِي تَقْدِيم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ إِيذَان بِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ الدُّعَاء كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَذَا لَك وَحْدك، لا يُشْرِكك فِيهِ الدَّاعِي وَلا غَيْره، بِخِلافِ الدُّعَاء بِالْخَيْرِ. فَإِنَّ الْمَطْلُوب عُمُومه. وَكُلَّمَا عَمَّمَ بِهِ الدَّاعِي كَانَ أَفْضَل. فَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيم مُؤْذِنًا بِالاخْتِصَاصِ تُرِك.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٠٩ مختصرًا، وبرقم ٤٠٨٤ مطولاً، والترمذي ٢٧٢٢، وتقدم برقم ٧٩٦. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٢٢، وقال الحاكم ١٨٦/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٩٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٧٩٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

عرف الناس قبل الإسلام وبعده وسائل شتى لإلقاء السلام، قد لا تنبئ عن مضمون السلام والأمن، فحث الرسول ﷺ على استخدام عبارات تحقق مدلول الأمن "السلام عليكم" كحد أدنى لإلقاء السلام ويزاد على ذلك "ورحمة الله وبركاته، ومما ورد في أحاديث الباب من المضامين التربوية ما يلي:

أولاً- من مهام المربي بيان تفاوت الجزاء بتفاوت العمل:

إن من ألزم المهام الرئيسة للمربي أن يبين الارتباط بين الجزاء والعمل، وأنه كلما زاد العمل وكان مستوفياً لشروطه، كلما تضاعف الأجر، ولاشك أن ذلك يُقوِّي عنصر المنافسة في نفوس المتربين، ويُعدُّ بمثابة الدافع الإيجابي للاستزادة من الأعمال الصالحة، وقد بين النبي ﷺ ذلك عملياً من خلال ما حدث من الصحابة رضي الله عنهم في كيفية السلام وتفاوتهم فيه، كما يتضح ذلك من الحديث الذي رواه عمران ابن الحصين رضي الله عنهما قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: عِشْرُونَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: ثَلاثُونَ».

وأما بالنسبة لتفاوت الأجر بالنسبة للبدء بالسلام والرد عليه، فجاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ» مما يؤكد على أهمية بيان المربي لتفاوت الجزاء بناء على تفاوت العمل مما يؤثر إيجابياً في تنافس المتربين في السلوك الحسن"[1]، وتنافسهم في عمل الخير.

لذا ينبغي على المربين استخدام أسلوب التقويم ومراعاة التفاوت في المواهب والقدرات وتشجيع المتربين على المنافسة والتسابق في الخيرات، "إذ أن التنافس يحرك في الإنسان عامة الطاقات المكنونة، فتنشط نفسه ويرتفع مستوى همته ونشاطه وتنمو

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٩.

مواهبه فيشعر المتربي باللذة ونشوة السعادة ويسارع كل فرد أن يقدم كل طاقته"[١].

ويبذل كل ما في وسعه لتحصيل عظيم الأجر.

ثانياً- من أساليب التربية: التكرار والتوكيد:

وقد ورد ذلك في حديث من أحاديث الباب في قول أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثاً»، وفي ذلك "إشعار للمربين بتفاوت المتربين في مراتب الفهم ومراعاة حال الجميع، ودعوةٌ أيضاً للمعلمين والمربين إلى الصبر على الإفهام وسَوْق المعرفة"[٢].

لذا ينبغي على المربين مراعاة الفروق الفردية والقدرات والمواهب كالحفظ والفهم عند المتربين، خاصة مع صغار المتربين والأطفال، إذ أن "الطفل كأي كائن بشري ينسى ويغفل، وقد خصه الله تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة، وهي مرحلة غير تكليفية، وإنما هي تهيئ للتكليف وتمهد له.

فإذا أدركنا ذلك فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ التكرار أي تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر في نفس الطفل فينصاع للأمر ويستجيب للنداء.

وحتى يعتاد الطفل فلابد من تكرار المعلومة والملاحظة أكثر من مرة لأنه سيخطئ، فعندما يرى الطفل ويسمع وتكرر عليه المعلومة والامتثال بالخلق أكثر من مرة يتعلمه ويحفظه فما يلبث إلا أن يكون عادته"[٣].

وكذلك في التعليم والتلقين والتحفيظ كتحفيظ القرآن وغيره على الإعادة والتكرار، "فإذا أخطأ طالب في قراءة نص فإنه ينبغي على المعلم الانتظار عليه، وطلب الإعادة منه لقراءة النص مرة أخرى"[٤]، حتى يجيد قراءته ويفهمه.

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١١٢، ١١٣.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٣.

(٣) انظر: المنهج التربوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. إبراهيم محمد الشافعي، ط/٢، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٥٣.

ثالثاً- من أساليب التربية: التقدير والاهتمام:

إن التقدير والاهتمام من الأساليب التي تؤثر في النفوس، وتعد من أهم مفاتيح الشخصيات، لأن الإنسان بطبعه يميل إلى حب من يقدره ويحترمه، لذا كان أسلوب التقدير والاهتمام من الأساليب التربوية المهمة في التعامل مع الناس، ولعل ذلك يستنبط من أحد أحاديث الباب التي روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "هذا جبريل يقرأ عليكِ السلام"، ولاشك أن ذلك يبين تلك المنزلة الكريمة التي أنزلها الله تعالى لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فهي التي برأها الله تعالى، وهي أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولها منزلة كريمة في نفس رسول الله ﷺ، لذا كان إخبار النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بسلام جبريل عليه السلام عليها يدل على تكريم الله تعالى لها، وتقدير جبريل عليه السلام لها؛ لأنها أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ وغير ذلك من الفضائل والمكارم.

ويستنبط من ذلك أهمية الإفادة من أسلوب التقدير والاهتمام في التعامل مع الناس -خاصة مَنْ يستحقون ذلك من أهل الفضل والصلاح وأصحاب المنزلة الرفيعة من ولاة الأمر والفقراء والمساكين وغيرهم ممن حسنت صلتهم بالله تعالى- إن هذا الأسلوب على درجة عالية من الأهمية في مجال التربية لأن الفرد يريد أن يحظى بحب الجماعة ويمنح محبته للجماعات التي ينتمي إليها، ولكن الفرد لا يكتفي بهذا القدر فهناك حاجة أساسية نفسية تلح عليه وهي أن يحوز على تقدير مَنْ حوله من أفراد الجماعة التي ينتمي إليها، ففي إطار الأسرة نجده يسعى ليحظى بمحبة وتقدير الأبوين، وينافس إخوته ليحظى بهذا التقدير، وفي المدرسة تلاحظ أن التلميذ يبذل مزيداً من النشاط والجهد في دراسته حتى يحظى بتقدير واحترام أساتذته وزملائه.

إن الحاجة إلى التقدير غريزة أصيلة في خَلْق الإنسان، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى -وهو أعلم بمن خلق- قد عزز هذه الحاجة التي تعتمل في صدورنا بالدعوة للعمل الصالح وقرن ذلك بالإيمان، ووعد المؤمنين بالثواب والأجر والحسنى، إضافة لما يحققه الفرد لذاته من احترام وتقدير من أفراد الجماعة في الحياة الدنيا.

ولا بـد أن نـشير إلى أن علـى المـربين أن يهتمـوا باسـتثمار هـذه الحاجـة في العمليـة التربوية، بحيث يثيبون التلميذ على كل فعل أو عمل طيب يأتيه حتى يُشْبعوا لديه هـذه الحاجة، كما يحسن بهم أن يتفهموا اهتمامات التلاميذ في كل مرحلة عمرية.

إن تحقيق إشباع حاجة التقدير يحقق للمتربي أو الفرد بوجه عام الشعور بالطمأنينة والرضا عن النفس في حين أن عدم إشباعها يولد القلق والعدوان والانحراف في بعض الأحيان"[1].

رابعاً- تربية الذوق ورعاية شعور وأحوال الناس:

إن من الأخلاق التي ينبغي للمربي غرسها في نفوس المتربين والناشئة مراعاة شعور الآخرين وأحوالهم.

إن التربية الإسلامية تعمل على الارتقاء بالذوق العام للمسلم، وتنمي في نفسه عملية احترام الآخرين، والتي من جملتها احترام شعورهم، وعدم إزعاجهم أو التنغيص عليهم، لأن الإسلام يربي المسلم على الفضيلة.

لقد نهى الله عن إزعاج الناس في وقت راحتهم بارتفاع الصوت، وفي أحاديث الباب تأصيل عملي لهذه الأخلاق من خلال بيان كيفية إلقاء السلام على قوم فيهم نيام، فليس معنى أن يأتي الإنسان بسنة أن يزعج بها النيام والمرضى ومَنْ شاكلهم، ولنتأمل هذا الأدب الرفيع والسلوك الكريم النبيل في حديث المقداد ﵁ قال: «كنا نرفع للنبيِّ نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيسلِّم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان، ...»، وذلك من حسن تصرفه ﷺ وكمال أدبه وحسن خلقه فهو قد أتى بالسنة بإلقاء السلام على اليقظان، وفي نفس الوقت لم يزعج النائمين.

وهذا ما يؤكد الحاجة الشديدة لتربية النفوس على هذا الأدب النبوي في التعامل مع الآخرين.

---

(١) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان، ط/٤، دار القلم، دبي: ١٤١٧هـ/١٩٦م، ص١٠٠، ١٠١.

إن هذا الأدب يلقي بالمسؤولية على المربين والقائمين على التربية في شتى الميادين أن يربوا الذوق، ويهذبوا السلوك ويقوِّموا الأخلاق عند المتربين فيعمدوا إلى أن "ينموا الحساسية الاجتماعية في حسن التعامل مع الآخرين وحسن التحدث وسلامة الأسلوب ورقة العبارة وكيفية التعامل مع أفراد المجتمع، كباره وصغاره.

ولا شك أن كل ذلك يُنمِّي الذوق السليم عند الطلاب ويجعل منهم أفراداً حساسين للآخرين ولعلاقاتهم معهم"[1].

خامساً: استخدام الوسائل التعليمية:

"إن استخدام الوسائل التعليمية والحركات المعبرة من المواضيع الهامة في الميدان التربوي لأنها تسهل عملية التعلم والتعليم، وتوضح المعاني وتشرح الأفكار لعلاقتها بإثارة الحواس"[2].

ويمكن أن نستنبط ذلك من إلواء الرسول ﷺ بالتسليم على النساء، فمن حسن تصرفه ﷺ أنه لما رأى صوته لا يصل إليهم لبُعْدٍ أو ما شاكل ذلك ألقي عليهم السلام وشفعه بالإشارة، كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد يوماً، وعُصبَة من النساء قُعود، فألوى بيده بالتسليم».

إن منهج التربية الإسلامية مليء بالوسائل الخاصة له، ويسهل الوسائل المفيدة لعملية التعلم، ويساعد على تنفيذ المنهج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3].

إن التربية الإسلامية تدعو للاستفادة من الجديد في المجال التربوي ما دام يسهم في تحقيق أهدافها.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٣١٤.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري، ص١٢٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

١٣٣- باب آداب السلام

الحديث رقم (٨٥٨)

٨٥٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَليلُ عَلَى الكَثِيرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: (والصغيرُ عَلَى الكَبيرِ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذه الصورة التركيبية للبناء التعبيري النبوي جاءت مفعمة بالحركة التي اكتسبتها من دلالة الألفاظ من ناحية، ومن دلالة التراكيب من ناحية، فدلالة الألفاظ تتسم بالحركة من ناحية الفعل الواحد المتعدد الفاعلين (يسلم) وفاعله الراكب، والماشي، والقليل، والصغير كما في رواية البخاري، وإذا علمنا أن هؤلاء تتقلب بهم الأحوال بين الركوب، والمشي، والقعود في حركة دائمة دائبة أدركنا أن الأمة كلها في اتصال دائم بسلام شامل يغمرها، ثم إننا إذا نظرنا لدلالة الأسماء في الحديث، ألفينا أكثرها يدل على الحركة بمعناه لا بصيغته، فالراكب متحرك بحركة مركوبه، ولفظ الماشي دال على حركة، وانتقال، وهكذا، وهذه الحركة التي يجسِّدها الحديث تصور حالة البشر المصاحبة للتحية، والتي لا تبقي أثراً للحقد، ولا للشحناء، وتميز المسلمين بخصوصيتهم، كما يفهم من التركيب استعلاء السلام على الجميع من خلال حرف الجر (على) بين كل جملتين ليوجد سلاماً بين كل مسلمَيْن بالإضافة إلى أن وحدة الفعل، وتعدد الفاعلين ينادي بشيوع السلام، وعمومه الجميع.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٢، ومسلم ٢١٦٠/١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٠ من رواية جابر، أخرجها البزار، وابن حبان.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٣٢، ومسلم ٢١٦٠/١.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة أن يسلّم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والصغير على الكبير والقليل على الكثير، فلو ابتدأ الماشي بالسلام على الراكب أو القاعد على الماشي أو الكبير على الصغير، أو الكثير على القليل لم يكره، لكنه خلاف الأولى. صرّح بعدم كراهته المتولّي وآخرون، لأنه ترك حقه.

وهذا الاستحباب فيما إذا تلاقيا أو تلاقوا في طريق. فأمّا إذا ورد على قاعد أو قوم فإن الوارد يبدأ بالسلام سواء كان صغيرًا أو كبيرًا قليلاً أو كثيرًا. ودليل هذه المسألة حديث الباب[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في تسليم المسلمين على بعضهم.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لكيفية السلام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: "يسلّم الراكب على الماشي" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المؤثرة لما فيه من إظهار الخير وبيان أوجهه، وحمل المدعوين على الإتيان به. وكان استخدام القرآن لأسلوب الأمر بارزاً في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[(٢)].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٥/٤، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٨-٢٨٩ . وانظر: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١٦/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٥/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

ثانياً- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في تسليم المسلمين على بعضهم:

إن من الواجبات التي ينبغي العمل بها اتباع الآداب التي وردت عن رسول الله ﷺ في التسليم، وجاء في الحديث جانبٌ من هذه الآداب، فقال ﷺ "يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد والقليل على الصغير" قال ابن بطال عن المهلب: (تسليم الراكب على الماشي لئلا يتكبر بركوبه، فيرجع إلى التواضع، وتسليم القليل على الكثير، لأجل حق الكثير، لأن حقهم أعظم[1]، وقال المازري: أما أمر الراكب فلأن له مزية على الماشي، فعوض الماشي بأن يبدأه الراكب بالسلام، احتياطاً على الراكب من الزهو أن لو حاز الفضيلتين، وأما الماشي فلما يتوقع القاعد منه من الشر، ولا سيما إذا كان راكباً، فإذا ابتدأه بالسلام أمن منه ذلك وأنس إليه، أو لأن القاعد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم، فسقطت البداءة عنه للمشقة، وأما القليل فلفضيلة الجماعة، أو لأن الجماعة لو ابتدأوا لخيف على الواحد الزهو فاحتيط له[2] فما أجمل التأدب بتلك الآداب النبوية، لما فيها من حوز للفضل والثواب، ولما فيها من جلب للمحبة والمودة[3].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لكيفية السلام:

إنَّ البيان والوضوح أدب من الآداب التي ينبغي للداعية الحرص عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4] لذا ينبغي على الداعية أن يلزم منهج الإيضاح والبيان في الجانب القولي والعملي[5] وفي الحديث يعطينا رسول الله ﷺ أنموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تبيين وإيضاح، فذكر كيفية السلام فقال "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير" ولقد أمر

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٩.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٩.

(٤) سورة القمر، آية: ٣٢.

(٥) انظر: منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ١/٢٢١.

الله تعالى الأنبياء وأتباعهم توضيح الشرائع للناس ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[١] وقد كان ﷺ يوضح للناس ولأتباعه فكانت أحكام واضحة[٢]، وذلك أدعى ما يكون إلى فهمها والامتثال بها.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

وردت في الحديث الدلالة على الحث على إفشاء السلام مع بعض التوجيهات التنظيمية لإلقائه، فقال ﷺ "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير" ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على الحث على إفشاء السلام، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[٣] وقال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[٤]، وذكر أنه من سنن الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[٥].

وبين ﷺ أن إفشاء السلام من دلائل كمال الإيمان، ومن أسباب دخول الجنة واستحقاقها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا وَلاَ تُؤمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٦]، إضافة إلى ما في إفشاء السلام من فوائد منها: التحاب، وسبب لدخول الجنة وتأدية لحقوق الناس، وحسن معاملتهم، والتواضع، وهو تحية أهل الجنة، وسبب لغفران الذنوب[٧]، كما أنه من خير الأعمال في الإسلام، فعن عبدالله بن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة النور، آية: ٦١.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٦) أخرجه مسلم ٥٤.

(٧) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ٨٥/١.

عمرو رضي الله عنهما ((أنَّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[1].

وذلك يدل دلالة واضحة على حرص الإسلام على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، ولذا كان حرص الإسلام كبيراً على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع، وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة، وإذا كان الإسلام يعتبر إفشاء السلام وإلقاء التحية واجباً على المسلم لأخيه، فإنه يعتبر رد السلام فرضاً لابد من أدائه، لما يتركه في نفس المقابل من أثر حميد، يغسل النفس الإنسانية من كل متعلقات الحياة الصاخبة اللاغبة[2] قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[3]. قال السعدي في تفسير الآية: (التحية هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقين، على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداء وردا، فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها، لفظًا وبشاشة أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أوردوها بدونها.

ويؤخذ من الآية الكريمة، الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

والثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو "أحسن" الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن كما هو الأصل في ذلك.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعًا، فإنه مأمور بردها بالأحسن منها[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١٣، ١٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٥.

الحديث رقم (٨٥٩)

٨٥٩- وعن أَبي أُمَامَة صُدَيٍّ بن عَجْلانَ الباهِلِي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أَوْلى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

ورواه الترمذيُّ[2] عن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟، قَالَ: ((أَوْلاَهُمَا بِاللهِ تَعَالَى)) قَالَ الترمذيُّ: (هَذَا حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

الشرح الأدبي

هذا الحديث تقدم شرحه قريباً، وزاد في هذا الموضع رواية الترمذي (قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟) وهو استفهام على حقيقته، ولذلك جاءت إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم مفصلة للحكم، ومرغبة في البدء بالسلام حيث أطلق بينهما سباق جائزته هي ولاية الله له التي تعني محبته، وقربه، وحفظه، ومعاني أخرى يدركها الأولياء، ثم إن التعبير بأفعل التفضيل (أولى) يعني أن أحدهما ولي لله، والثاني أولى منه، وفي هذا إشارة إلى أن تكوين المجتمع المسلم ينبغي أن يكون من ولي لله، أو أولى منه، فكلهم أولياء أتقياء، وليس فيهم ولي لغيره.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨٥٦).

(٢) برقم ٢٦٩٤. تقدم برقم ٨٥٦.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص٣٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: إذا كان إفشاء السلام مدخلاً للأمان، فإن بعض القيم واجبة الاتباع حال إلقائه، وهذا ما نبه إليه رسول الله ﷺ من خلال أحاديث هذا الباب، حيث اشتملت على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على التأدب بآداب السلام:

إن من مهام المربي أن يدرب ويربي المتربين على "حسن الأدب ورقة السلوك"[1]، وأن توشح حياتهم بالآداب الرفيعة، والأخلاق الكريمة والسلوكيات الحميدة، ومن ذلك التأدب بآداب تحية السلام، والتي وردت الإشارة إليها في أحاديث الباب كسلام الراكب على الماشي، ... كما في قوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»، وكالمبادأة بالسلام، كما في قوله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بالله تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلَامِ». فكما هو واضح من الحديثين بعض آداب السلام كسلام الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير، وذلك رعاية لفضل الجماعة واحترام الكبير والبعد عن الكِبْر والزهو والتوشح والتخلق بالتواضع والاحترام، كما أن في المبادرة بالسلام مبادرة إلى الطاعة والثواب، وسبب في تحصيل الثواب للغير.

وتبدو أهمية التربية على إلقاء السلام وتداول التحية به والتأدب بآدابه من خلال "الأثر الفعال في توثيق العلاقات وإشاعة المودة والعطف والرحمة بين أفراد الأمة وفي صفاء القلوب وسلامتها، إذ أن تحية الإسلام -السلام- دعاء بالسلامة"[2].

إن تعويد الطلاب والمتربين على السلام والتأدب بآدابه سبب للتأليف بين قلوبهم وإيجاد الروابط فيما بينهم ومتانة ما بينهم من روابط وعلاقات، "ولذا فإن خير ما ينبغي

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٧٩.

(٢) انظر: التحية في الإسلام، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر، ١٤٢٣هـ، ص٩٠.

أن يداوم عليه الطلاب والطالبات إتيانهم بتحية الإسلام "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ" فيقولونها مع والديهم وأقاربهم وأساتذتهم وأصدقائهم، ومع كل مسلم عرفوه أو لم يعرفوه، ومن حياهم بها فليجيبوه بمثلها أو بخير منها لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[(١)(٢)].

ثانياً- دور المربي والمعلم في ترسيخ الآداب والقيم الاجتماعية الإسلامية:

إن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وآدابه الخاصة به والمميزة له، ومن الآداب الخاصة بالمجتمع الإسلامي ما جاء في أحاديث الباب من الإرشاد إلى تداول تحية الإسلام ألا وهي السلام مع مراعاة الآداب الخاصة بهذه التحية، كما جاء بعض منها في قوله ﷺ "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد...".

ومن هنا يأتي دور المعلم في ترسيخ قيم المجتمع المستوحاة من الإسلام والعمل على تأصيلها في نفوس المتربين خاصة الناشئة منهم.

"إن المعلم المخلص عليه أن يكون واعياً بهذه القيم تماماً فاهماً لأبعادها وما تمثله، ثم إن عليه أن يعمل على ترسيخ هذه القيم في سلوك طلابه وتصرفاتهم وألا يسمح لأي طالب بالانحراف عن تلك القيم وألا يسمح لأي طالب بالانحراف عن تلك القيم أو الاستهزاء بها، ولن يكون ذلك مجدياً إلا إذا كان المعلم نفسه مضرب المثل لهم في التمسك بتلك القيم والحفاظ عليها.

إن المعلم... أي معلم... بغض النظر عن تخصصه، مطالب بأن يرعى هذه القيم لأن المجتمع قد جعله مؤتمناً عليها، وهي -من وجهة نظر المجتمع-أهم من أي تخصص مهما تكن خطورته، وغرس قيم المجتمع في مرحلة الدراسة جزء أساسي من بناء الشخصية عند المتربين، وإذا كانت بعض وسائط التربية الأخرى في المجتمع لا تراعي جانب القيم الإسلامية فإن المدرسة بمعلمها الجيد تستطيع أن تصلح هذا الخطأ، أو على الأقل تقف في وجه التيار المنحرف"[(٣)].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٤.

(٣) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٤١.

ثالثاً- التربية بالتوجيه:

إن التربية الإسلامية تقوم على عدة مقومات من أهمها تقديم التوجيه والنصح والإرشاد، وذلك ما نستوحيه من مجموع أحاديث الباب حيث وجه النبي ﷺ فيها المسلم إلى إفشاء السلام والحرص والمبادأة به كما ذكر جانباً من آداب السلام وذوقياته، ومنها ما جاء في قوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ».

إن هذا المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في أحاديث الباب يفصح لنا عما يجب أن يقوم به المعلم من توجيه وإرشاد للمتربين والمتعلمين بغية إصلاحهم، وتعديل سلوكهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، إذ أن التوجيه، وتعديل السلوك هو المقياس الرئيس لنجاح العملية التربوية، لذا ينبغي "على المعلم أن يسعى بخطى حثيثة إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس مَنْ يتولى أمر تربيتهم وتعليمهم وتذكيرهم بالمبادئ الإسلامية، وتوجيههم نحو المكرمات، والفضائل وتقديم النصح لهم، وغرس المبادئ الجيدة والأفكار البناءة والعادات الحسنة، والاتجاهات المحببة التي تتمشى مع المجتمع ومعتقداته وعاداته وتقاليده وأعرافه وآماله وطموحاته ومثله العليا"[1].

لهذا ينبغي على المربين الاهتمام الدائم بتوجيه المتربين بصورة مستمرة لأنهم يحتاجون إلى تزويدهم بالخبرات والتوجيهات والإرشادات[2].

إن المعلم القدير هو الذي يغرس الفضائل في نفوس المتربين ويقوم بدور التوجيه والإرشاد المنوط به دونما مبالغة أو مغالاة أو تعصب أو تزمت وأن يتم ذلك بروح سمحة وبأسلوب جذاب معبر مؤثر"، وأن يقرن ذلك بتأثر واضح يظهر في انفعالاته وتعبيرات وجهه ونبرات صوته وطبقاته خصوصاً في مواضع التقديس والإجلال والإكبار والاحترام[3].

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) انظر: أساسيات التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، د. مقداد يالجن، ص٨١.

(٣) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان ص ١٦٧.

رابعاً- التنوع في طرق التدريس والعرض:

إن من يتدبر أحاديث الباب من الناحية التربوية يجد أنه ﷺ نوّع في أسلوب العرض، فمرة يرشد إلى آداب السلام عن طريق الإلقاء والعرض كما في حديثي أبي هريرة... "يسلم الراكب على الماشي..." وحديث أبي أمامة: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ». ومرة يترك الفرصة والسعة للصحابة أن يسألوه فيجيبهم على ما سألوا، ويبين لهم ما أشكل عليهم، وذلك كما جاء في حديث أبي أمامة: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! الرَّجُلاَنِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلامِ؟ قالَ: «أَوْلاَهُمَا بِاللهِ تَعَالَى».

إن المعلم الجيد هو من لا يلزم طريقة واحدة ولا ينهج منهجاً بعينه للإلقاء والتدريس وإنما يجمع وينوِّع بين الطرق التعليمية، "فإن الطريقة الحية للتعليم هي التي تعتمد على انتقال المعلم بين الطرق والأساليب والوسائل المتنوعة للتعليم حسب الظروف والملابسات في الموقف التعليمي، فعندما لا يجد المعلم مجالاً للاستجواب ينتقل إلى العرض والتلقين لقدح زناد أفكار الطلبة أو لَمِّ شتات الدرس، وكلما شعر المعلم بضجر الطلبة وسأمهم من الانضباط لجأ إلى الحوار للتشويق ولفت الانتباه، وكلما وجد أن الأمر يصعب التوصل إليه عن طريق الحوار لجأ إلى الالتقاء للتوصل للمعلومات بأقصر طريق وأقل وقت وأدنى جهد.

وعندما يشعر المعلم بصعوبة المعلومات والحقائق التي يعلمها وأن الطلبة لا يمكنهم اكتشافها لجأ إلى الإلقاء ثم عاد إلى الاستجواب، وبذلك يُكيف المعلم طريقته حسب قدرات الطلبة وما يعرفونه من معلومات ومدى استعدادهم للإصغاء والمتابعة"[1].



(١) المرجع السابق ١٦٥.

١٣٤- باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثمَّ دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوهما

الحديث رقم (٨٦٠)

٨٦٠- عن أَبي هريرة رضي الله عنه في حديثِ المسِيءِ صلاته: أنّه جَاءَ فَصلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَسلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)) فَرَجَعَ فَصلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسلَّمَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

استخدام الرسول ﷺ أسلوب الأمر المباشر، والصريح في قوله: (ارجع فصل) مع فعل الأمر (صل) مرتبطاً به بالفاء في إشارة إلى أنها السبب في الأمر بالرجوع كما، استخدام أسلوب التوكيد (فإنك لم تصل) مرتبطاً بما قبله بفاء السببية في إشارة إلى أن من لم يؤد الصلاة حقها من الطمأنينة كمن لم يؤدها، ولغرابة الخبر حيث إن المصلي يرى أنه قد أدى الصلاة، فأكد النفي بـ (إن) مع اسمية الجملة حتى يقرر في نفس الرجل خطأه بترك ركن الطمأنينة كما أنه استخدم أسلوب التكرار لتقرير المعنى المراد في مجال التعليم، وتقرير الحقائق، وتقويم الخطأ، ولفته إليه بطريقة عملية، فقد كرر نفس الجملة (وعليك السلام، فارجع فصل ؛فإنك لم تصل) وكان من الممكن أن يوجهه إلى خطأه مباشرة لكنه بهذا الأسلوب حقق عدة فوائد: أنه ترك للرجل فرصة ليفتش في نفسه، ويراجع عمله، ويبحث عن سبب أمر الرسول ﷺ له بالإعادة، وذلك أدعى إلى ثبات الواقعة في نفسه على مر الأيام، ثم إن إعطاء المعلومة

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧، ومسلم ٤٥/٣٩٧.

للشخص إذا اهتم بمعرفتها، وسأل عنها، وتعلقت بها نفسه أوقع أثراً في حسه، وأحفظ في ذهنه من إعطائها ابتداء دون سؤال ولا تشوف كما أن في هذا التكرار إشارة إلى نفى كمال هذه الصلاة التي على هذه الكيفية مهما تكررت مما يؤكد أهمية ركن الطمأنينة الذي يوفر الخشوع الذي يعد وسيلة دخول العبد لحضرة الرب، وبلوغه منزلة الزلفى عند ربه حيث استجابة الدعاء ومغفرة الذنوب، وصفاء النفوس، وعطايا أخرى لا يحيط بها الوصف[1].

فقه الحديث

قال النووي: (إذا سلّم على إنسان ثم فارقه ثم لقيه على قرب أو حال بينهما شيء ثم اجتمعا فالسنة أن يسلّم عليه، وهكذا لو تكرر ذلك ثالثًا ورابعًا وأكثر، سلّم عند كل لقاء وإن قرب الزمان.اتفق عليه أصحابنا، وذلك لحديثي الباب، وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة فتفرقوا يمينًا وشمالاً ثم التقوا من ورائها سلّم بعضهم على بعض) رواه ابن السني[2])[3].

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على تكرار التسليم في حالة الخروج والدخول.

ثانياً- من آداب المدعو: التأسي بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على تكرار التسليم في حالة الخروج والدخول:

لقد حرص الإسلام على بناء المجتمع على التعارف والتآلف، وإقامته على أسس من المودة والوئام. ومن تلك الأسس إفشاء السلام وتكراره، حتى ولو كان لفاصل بسيطٍ،

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٦٢.

(٢) أخرجه ابن السني ٤٤٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٢٤-٢٢٥، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٠ .

في المجلس الواحد، فإنه (يسن تكرار السلام ورده وإن لم يخرج الإنسان من الموضع إذا وقعت صورة انفصال)[(١)] فجاء في الحديث الحث على إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال[(٢)]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلاته "أنه جاء رجل فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم فرد عليه السلام فقال ارجع... ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فسلم فرد عليه السلام حتى فعل ذلك ثلاث مرار" قال النووي: (وفيه استحباب السلام عند اللقاء ووجوب رده، وأنه يستحب تكراره إذا تكرر اللقاء، وإن قرب العهد وأنه يجب رده في كل مرة)[(٣)].

ثانياً- من آداب المدعو: التأسي بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام:

إن مما يستفاد من هذا الحديث الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام "فسلم فرد عليه السلام فقال ارجع... ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرار" فإن السلام وتكراره والاعتياد عليه، يزيد الألفة بين المسلمين، كما أنه سبب لإفشاء المحبة بين المسلمين، والتي لا يكتمل الإيمان بدونها، وكما جاء في الحديث ((لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا وَلاَ تُؤمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[(٤)(٥)].

فإفشاء السلام من أفضل الأعمال وخيرها في الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ((أنَّ رَجُلاً سَأل رسولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ))[(٦)] فجمع النبي ﷺ في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان.

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٢٨٥/٢.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٢٤٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) منبر الإيمان، عادل بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، ط/١: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ص ٢٥.

(٦) أخرجه البخاري ٢٨، ومسلم ٣٩.

وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام، ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس، كان خيرًا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل أيضًا.

وليس المراد: أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام وإفشاء السلام لا يكون من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقوله ﷺ: "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" هذا أفضل أنواع إفشاء السلام[1]. فمن حافظ على السلام وإفشائه حاز فضل الاتباع وجزاء الطاعة، وفي المداومة على السلام تمييز للمسلمين وكيد لأعداء الدين، وهو أمان الله في الأرض وتحية المؤمنين في الجنة، كما أن للسلام آثاره الإيجابية التي لا تنكر، ففي إشاعته إفشاء للمودة والمحبة، وإشعار كل مسلم بالاطمئنان تجاه الآخرين، وإزالة العداوات وإنهاء الخصومات وسَلُّ سخيمة الصدور[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام:

إن ما جاء في الحديث من تكرار الرجل للسلام ورد النبي ﷺ بيان لما لإفشاء السلام من فضيلة، فلو لم يكن للسلام وتكراره وإفشائه فضيلة، لاستغنى عنه، أو اكتفى بمرة، أو علمه النبي ﷺ الصلاة مباشرة، "ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرار" وإن للسلام وإفشائه فضائل جمة، فهو تحية أهل الجنة يحيي بها بعضهم بعضاً ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾[3] وتحييهم بها الملائكة ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[4]، ﴿وَقَالَ

---

(١) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ٣٩/١، ٤٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٤٦٦/٢.

(٣) سورة يونس، آية: ١٠.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٣، ٢٤.

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾[١] وإفشاء السلام واجب على المسلم، سواء كان يعرف من يسلم عليه أم لا يعرف، حتى على المخالفين والجاهلين، ولعل في ذلك تأليفاً لقلوبهم، وحملاً على الارعواء عن غيِّهم، والرجوع إلى الحق[٢]، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[٣] وقال ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٤].

وذلك من فضائل تحية السلام في الإسلام وكمالها على سائر تحيات الأمم، ولقد اختار الله لعباده المؤمنين السلام تحية بينهم في الدنيا وفي دار السلام، وأن ذلك من محاسن الإسلام وكماله، وتحية السلام قد جمعت أنواع الخير، قال ابن القيم: (لما كان الإنسان لا سبيل له إلى انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء:

أ- سلامته من الشر ومن كل ما يضاد حياته وعيشه.

ب- حصول الخير له.

ج- دوامه وثباته له.

فإن بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة، فشرعت التحية متضمنة للثلاثة:

فقوله "السلام عليكم" يتضمن السلامة من كل شر.

وقوله "ورحمة الله" يتضمن حصول الخير.

وقوله "وبركاته" يتضمن دوامه وثباته، كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره[٥].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣.

(٢) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، يحيى بن عبدالله المعلمي ص ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٥.

(٥) بدائع الفوائد ١٧٨.

الحديث رقم (٨٦١)

٨٦١- وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ)) رواه أَبُو داود[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث يؤكد قيمة السلام في الحفاظ على قلوب المؤمنين نقية لا تنطوي على مشاعر تؤثر على سلامة الصدور، وأسلوب الحديث خبري بدأ بأسلوب الشرط بفعله الماضي (لقي) وقد أعطى الحكم صفة العموم عن طريق الفاعل (أحد) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع ليوجه الجميع إلى الفعل، ثم تتجلى براعة التأليف بين القلوب في التأليف بين الكلمات، وفي التعبير بلفظ (أخاه) الذي يذكّر بتلك الرابط التي يجب أن تجمع المؤمنين، وقد جاء جواب الشرط في صورة المضارع الذي يصور اللحظة الطاهرة عند السلام، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) التي تنادي بوقوع الشرط، وهو لقاء المسلم أخيه، وسلامه عليه بينما استخدم (إن) في الجملة التي تليها، وهي جملة التفريق إشارة إلى أن المؤمنين لا ينقطعون، وإن فرق بينهم مفرق، فقلوبهم متصلة على الدوام ثم يعودون سريعاً إلى اللقاء يجمعهم السلام، والتعبير بالشجر، والجدار، والحجر كمفرق مبالغة في نشر السلام، وإشارة إلى أن المؤمن طموح ذكي يتتبع أسباب الحسنات من كل سبيل.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب إذا دخل بيته أن يسلّم وإن لم يكن فيه أحد، وليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ... وكذا إذا دخل مسجدًا أو بيتًا لغيره ليس فيه أحد، يستحبّ أن يسلّم وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم

---

(١) برقم ٥٢٠٠. قال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٣١٨/٥: حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.

أهل البيت ورحمة الله وبركاته)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث الرسول ﷺ وتأكيده على تسليم المسلم على المسلم.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ.

رابعاً: من أهداف الدعوة الإسلامية: الحث على إشاعة المحبة والمودة بين المسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث الرسول ﷺ وتأكيده على تسليم المسلم على المسلم:

من أهم الآداب الاجتماعية التي حث عليها رسول الله ﷺ وأكد عليها، إشاعة السلام وإعادة السلام على من تكرر لقاؤه وإن قرُبَ، بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة تمنع من رؤية أحدهما الآخر لغلظ أصلها ونحوها كجدار وجبل وما شاكل ذلك[٢] فقال ﷺ: "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه" قال الإمام الطيبي: (وفيه حث على إفشاء السلام، وأنه يكرر عند كل تغير حال، ولكل جاءٍ وغادٍ)[٣]. فإن تكرار السلام مطلوب من المؤمن على المؤمن، ولو قرب العهد بين السلامين، تدعيماً للأخوة بينهما، وحث أفراد المجتمع على تبادل تحية الإسلام لما في ذلك من توثيق عُرى التفاهم والتعارف والتآلف، وإقامة المجتمع على أسس من المودة والوئام[٤].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٨/٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٤/١٥-٣٥٦.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٣٤٨، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٥.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٨/٩، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢١١.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٨٦.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء في الحديث ترغيب النبي ﷺ وتأكيده على إشاعة السلام وتكراره بين المسلمين، فقال "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه..." والترغيب من أساليب الدعوة البالغة التأثير، إذ أن النفوس قد فطرت على الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة، أو ربحاً أو شيئاً مما تحبه وتهواه، والترغيب هو أحد ركني الموعظة الحسنة[(١)]، وهو أحد الدافعين الأساسيين إلى الاستقامة والرشاد، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(٢)]. أي خائفين طامعين، أي خوفاً من غضبه وطمعاً في رضاه وثوابه[(٣)].

إن أسلوب الترغيب في الإسلام يُوجِد لدى المسلم وازعاً نفسياً، يسمو به إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية، التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق بل تساير شهواته ونزواته، وتنمي بذور الأنانية الموجودة داخل نفسه مما يكون سبباً في اعتلاله ومرضه[(٤)].

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ:

إن من الآداب التي يجب على المدعو الحرص عليها، الاستجابة المطلقة لأوامر رسول الله ﷺ، وقد جاء في الحديث أمر من تلك الأوامر في قوله ﷺ "إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه" وذلك من نعم الله على المسلم، إن الإسلام سن السلام وتكراره كلما غاب الإنسان عن أخيه، فالسلام عبادة وأجر، وكلما ازددنا منه ازددنا عبادة لله، وازداد أجرنا وثوابًا عند الله[(٥)] إضافة إلى ما في ذلك من تأدب المسلم، وتنفيذ أمر ربه بالاستجابة لأوامر

---

(١) انظر: فقه الدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٦٣٥/١.

(٢) سورة السجدة، آية:١٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢١/٨.

(٤) نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ط/٢، دار الفكر، بيروت: بدون تاريخ ص ١٥٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١١٥٠/٢.

رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾[١] ففي الاستجابة لأوامره ﷺ صلاح للإنسان، وفيها النجاة والتقاة والحياة[٢]. فقد دعانا رسول الله ﷺ للدين الحق، وحثنا على مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾[٣] فلنأخذ ما آتانا الرسول ﷺ بقوة وعزم ونشاط وجد، فالخير فيه وسعادة الدارين معه[٤].

رابعاً- من أهداف الدعوة الإسلامية: الحث على إشاعة المحبة والمودة بين المسلمين:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية إشاعة المودة والمحبة في المجتمع الإسلامي، وقد أثنى القرآن على المجتمع الإسلامي الذي تظهر فيه علامات المحبة والوئام فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٥].

إن النبي ﷺ ليعلق كمال الإيمان على محبة المسلم لأخيه المسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[٦] فلما نفى النبي ﷺ الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، دلَّ على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا ينفى إلا بانتفاء بعض واجباته، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد، وذلك واجب كما قال النبي ﷺ ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا))[٧] فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره، أحب أن يكون لأخيه

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤/٤، ٣٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٤) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٠/٩/١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٩.

(٦) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٧) أخرجه مسلم ١ (٥٣).

نظيرها من غير أن تزول عنه [١].

إن محبة الناس مع التودد إليهم، تحقق الكمال الإنساني لمن يسعى إليه، كما أنها دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام[٢] لذا حرص النبي ﷺ على الحث والتمسك بأسباب المحبة كالسلام كما جاء في الحديث "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه".

إن إفشاء السلام يحمل في طياته تدعيم أواصر بنيان الأمة، وازدهار الحضارة المعنوية والمادية في تلك الأمة. إن المنهاج الذي اتخذه الرسول ﷺ ليحقق السلام الاجتماعي في الأمة الإسلامية يعتبر منهاجاً فريداً ومتميزاً، لأنه يعتمد على تشكيل وجدان الإنسان المسلم، بحيث يشيع في هذا الوجدان الأمن والسلام، ويتحول المسلم إلى طاقة فعالة إيجابية في الحياة، يدفعها الحب الأكبر لله ولرسوله وللكائنات كلها، وتعرف أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، فالله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام، وتحية المؤمنين في الدنيا والآخرة هي السلام[٣].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ٤١/١، ٤٢.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢٣٥٦/٨.

(٣) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، خديجة النبراوي ٥٠٤/١، ٥٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

سلام الأفراد بداية لسلام الأسرة وسلام الأسرة بداية لسلام المجتمع وسلام المجتمع بداية للسلام العالمي، ولهذا كان الإكثار من السلام محمدة ولو على فترة قصيرة ليكون الود والرباط القوي المحكم، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من طرق التربية: الملاحظة والمراقبة والمراجعة والتصحيح:

إن من طرق التربية الأصيلة اعتماد المعلم على طرق ووسائل متعددة ومتنوعة للتربية، ومنها ما جاء في أحد حديثي الباب، حيث لاحظ النبي ﷺ ذلك الرجل المسيء لصلاته غير المحسن لها وأمره له بإعادتها حتى إذا ما تبين له عن قدرته على الإتيان بها صحيحة، علّمه الكيفية الصحيحة لها، "كما أن النبي ﷺ تركه وأمره أن يصلي ثانياً وثالثاً مع إخلاله بها أولا ليتبين مدى معرفته بها، وهل إخلاله لجهل أو لتكاسل منه؟ وهذا أسلوب تعليمي يعتمد على التجربة والخطأ حتى لا ينسى ما يقال له" [(١)].

وذلك ما نراه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه جاء رجل فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد السلام فقال: (ارجع فصل فإنك لم تصل) فرجع فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات».

ومن هنا يترائى لنا أهمية المراقبة والملاحظة من قِبَلِ المربين والمعلمين للمتربين والمتعلمين، حتى إذا ما رأوا ولاحظوا اعوجاجاً في السلوك أو خطأ في الأفعال تسنى لهم إقامة المعوج وتصحيح الخطأ.

إن دور المعلم لا ينحصر في زاوية ضيقة وهي "سرد معلومات محددة على الطلاب، بعد حفظه لها واستظهارها"[(٢)]. وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى مراعاة وملاحظة سلوك المتربين وأفعالهم وتعديلها وتقويمها، وبذلك يترك المعلم بصمته في حياة المتعلمين وسلوكهم، "وبهذا يضيف المعلم إلى وظيفته -كناقل للمعرفة- دور الناصح الأمين والموجه المستتير" [(٣)].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٥.

(٢) المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش، ص٧٥.

(٣) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، محمد عبدالعليم مرسي، ص٣٨.

ثانياً- الإكثار من روافد المحبة والترابط الاجتماعي:

لقد جاء الإسلام آمراً بالتعاون والتآلف والترابط بين كافة شرائح المجتمع الإسلامي وأفراده، وجعل لذلك روافد عدة كالتحاب والتوادد وصلة الأرحام، والزيادة والتعارف وغير ذلك، ومما يعمل على تقوية الروابط في المجتمع: إشاعة السلام وتكراره، لدرجة أن المسلم يكرر إلقاء السلام على أخيه إن التقيا بعد فراق قد لا يتجاوز لحيظات معدودة كأن حال بينهما جدار أو شجرة أو ما شابه ذلك، كما في قوله ﷺ: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُم أخاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ». أو ذهب لحاجة ثم رجع كما في الحديث الأول من سلام الرجل على النبي ﷺ ثم ذهابه إلى الصلاة وبعد الفراغ منها وعودته أعاد السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه "... أنه جاء رجل فصلى، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل ...".

من أجل ذلك ينبغي على المربي أن يغرس في نفوس الناشئة حب الآخرين وتقوية هذا الحب والتآخي بمظاهره ودلائله كإشاعة السلام وغيرها، والإكثار منها، وهذا لا يقتصر على مجرد السلام، وإنما ينبغي التعويد والمداومة على فعل الخير والمعروف والسلوكيات الطيبة والإكثار منها حتى تكون عادة للمتربي وممتزجة بشخصيته لا تنفك عنها.

هذا ما ينبغي غرسه في نفوس الناشئة وسلوكهم، أن يسلم المسلم على أخيه المسلم ويبادره بالسلام، ويداوم على السلام لفظاً ومعنى، معنىً بإشعاره بالسلام والأمان والاطمئنان، ولفظاً بأن يكثر منه ويعيده إذا فُرِّق بينهما ولو بجدار أو حجر.

إن هذا ما ينبغي، فماذا أصاب الناس في عالم اليوم!!.

"إن كثيراً من الناس اليوم يقابل بعضهم بعضاً في الأماكن العامة كالأسواق والطرقات فلا يسلم بعضهم على بعض بحجة أنه لا يعرف بعضهم بعضاً، وإذا سلم عليهم مسلِّم وهم لا يعرفونه لحظوه بأعينهم وأكثروا الالتفات والنظر إليه، ولسان حالهم وربما لسان مقالهم يردد: هل هذا يعرفنا؟ من هذا الذي سلم علينا؟ وإذا لقي أحد

الأشخاص من يعرفه فلم يسلم عليه وعاتبه في ذلك قال: لأني لم أعرفك، فيا سبحان الله"[1]. تُرى ماذا دهى الناس اليوم؟!.

رابعًا- التعلم عن طريق المحاولة والخطأ:

ورد في حديث المسيء صلاته ما يعرف الآن في التربية الحديثة بالتعلم عن طريق المحاولة والخطأ، فقد قام النبي ﷺ بتعليم الصحابي الصلاة الصحيحة من خلال إعادة الصحابي نفسه للصلاة، فقد بيّن له النبي ﷺ أنه قد أساء الصلاة وأمره بالرجوع إلى الصلاة ثلاث مرات كانت كفيلة بتعلم الصحابي ومعرفته خطأه ومن ثم قيامه بإصلاحه وتأدية الصلاة على الوجه الصحيح.



(١) التحية في الإسلام، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، ص١٠١، مرجع سابق.

١٣٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١].

الحديث رقم (٨٦٢)

٨٦٢- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ[١] بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أهْلِ بَيْتِكَ)) رواه الترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

نداء المحبة (يا بني) في بداية الحديث أسلوب تأليف لقلب المخاطب يأخذه بكل جوارحه نحو المتكلم حتى يتم ما يريد ثم تلاه أسلوب شرط يربط الدخول بالسلام، ، وإضافة الأهل لكاف المخاطب يشعره بمسؤوليته تجاههم ثم أتبعه بجملة ترغب في الفعل (يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ) ومن الملاحظ في الحديث أنه لم يستخدم من حروف الجر سوى (على) وقد تكرر ثلاث مرات وفي هذا دليل على استعلاء السلام، ونزوله من أعلى إلى أدنى ليكون عليهم كالظلة التي تظل الجميع، والسلام اسم الله تعالى ومن الله ينبعث كل سلام.

---

(١) لفظ الترمذي: (يكون).

(٢) برقم ٢٦٩٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر في النتائج ٦٨/١): كذا في كثير من النسخ المعتمدة منها بخط الحافظ أبي عليّ الصدفي، ووقع بخط الكروخيّ: حسنٌ صحيحٌ، وعليه اعتمد النووي في الأذكار. وفيه نظرٌ، فإن علي بن زيد وإن كان صدوقًا، لكنه سيّئ الحفظ، وأطلق عليه جماعة الضعف بسببها، وقال العقيلي في الضعفاء الكبير ١٠٦/٢: وهذا المتن لا يعرفُ له طريقٌ عن أنس يثبتُ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٩٥.

فقه الحديث

في الحديث: السلام إذا دخل بيته: يستحب إذا دخل بيته أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد، وليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وكذا إذا دخل مسجداً أو بيتاً لغيره، ليس فيه أحد[(١)] يستحب أن يسلم وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على السلام عند دخول البيت.

ثالثاً: من مهام الداعية: بيان الحكمة من قيام المدعوين بالتسليم على أهلهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

النداء من الأساليب التي يلفت بها انتباه المدعو من أجل إرشاده وتوجيهه إلى ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ لأنس رضي الله عنه "يابني".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على السلام عند دخول البيت:

تعتبر الأسرة هي أول نواة المجتمع، عليها يقوم بنيانه وتماسكه، لذلك كان الاهتمام بعلاقة الإنسان داخل أسرته من أهم ما يميز المجتمع الإسلامي، لذلك سعى التشريع الإسلامي إلى تقوية هذه الروابط الأسرية بشتى الطرق، وكان من ذلك إلقاء السلام على الأهل والأقارب عند دخول البيت، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ لأنس رضي الله عنه: "إذا دخلت على أهلك، فسلم" وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[(٣)].

---

(١) كذا في المطبوع من الموسوعة الفقهية، والغالب على الظن أن العبارة صوابها: أو بيتاً لغيره ليس فيه أحد.

انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٢٥٤-٢٥٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٧١.

(٣) سورة النور، آية: ٦١.

قال ابن كثير: (قال ابن جريج: حدثنا أبو الزبير، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: "إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة...، قال ابن جريج: قلت لعطاء: أواجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم؟ قال: لا، ولا أوثر وجوبه على أحد، ولكن هو أحب إلي، وما أدعه إلا ناسياً)"[1].

قال السعدي: (أي: "فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين، كأنهم شخص واحد، من توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم. فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق، بين بيت وبيت)[2].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم عظم فضل من دخل بيته بسلام فقال: ((ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش كُفي وإن مات دخل الجنة: من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله))[3].

ثالثاً- من آداب المدعو: بيان الحكمة من قيام المدعوين بالتسليم على أهلهم:

إن قيام الداعية ببيان الحكمة من تسليم المدعو على أهله عند دخول بيته، يكون دافعاً وحافزاً للحفاظ والمداومة على السلام، وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث من قوله: "...، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك"، (أي: " أن هذا السلام يكون زيادة بركة وكثرة خير ورحمة)[4]. وفي ذلك قال تعالى: ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[5].

قال القرطبي: (ووصفها بالبركة، لأن فيها الدعاء واستجلاب مودَّة المسلم عليه، ووصفها أيضاً بالطيب، لأن سامعها يستطيبها)[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٩٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٣٢).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٥٠.

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٣٥٦، ٣٥٧.

قال السعدي: (أي: سلامكم بقولكم "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"....، إذ تدخلون البيوت "تحية من عند الله" أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم مباركة، لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة، والبركة، والنماء، والزيادة "طيبة" لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، وصحبة، وجلب مودة)[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب لغة: "هو طلب الشيء، والحرص عليه، والطمع فيه"[٢]. وفي الاصطلاح: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه"[٣]، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ، في السلام على الأهل عند الدخول عليهم، وذلك في قوله ﷺ: ((إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك)).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١/١١٨٩.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يظن بعض الناس أن إفشاء السلام يكون مع الغرباء لا الأقرباء، فإذا بالرسول ﷺ يأمر بإلقاء السلام على الأقرباء وأفراد الأسرة بخاصة لتقوية المودة والروابط وتوطيد العلاقة ومما يلحظ في الباب من آداب تربوية ما يلي:

أولاً- دور المربي وواجباته تجاه التربية الاجتماعية:

إن في وصية رسول الله ﷺ في حديث الباب لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه ما يبرز لنا دور المربي وما يجب عليه تجاه التربية الاجتماعية وتوجيه المتربين والمتعلمين خاصة الناشئة منهم، فنجد الرسول ﷺ يوصي أنساً بأحد الآداب الاجتماعية وهو سلامه على أهل بيته إذا دخل عليهم، فقال له: «يا بنيّ إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

"إنه من المعلوم أن المجتمع الإنساني يتكون من مجموع الأفراد وتكوين المجتمع الصحيح ينطلق من إعداد الفرد إعداداً سليماً، ومن هنا كان وجوب قيام المعلم بدوره بواجب التربية الاجتماعية تجاه الناشئ والتي تتمثل بتلقينه الآداب الاجتماعية العامة والخاصة وتنشئته على مبدأ احترام غيره ومراعاة حقوقهم وتهيئته للاندماج في مجتمعه ومعايشته على أساس سليم والأخذ بكل الأسباب المؤدية إلى تحقيق ذلك، ومن ذلك حثه على التزام الآداب الاجتماعية، ومن أهمها أدب الطعام والشراب وأدب المجلس، وأدب الحديث وأدب المزاح وأدب التهنئة وأدب عيادة المريض وأدب التعزية وأدب العطاس والتثاؤب"(١)، وكذلك أدب السلام والاستئذان الذي وردت الإشارة إليه في حديث الباب.

إن التربية الإسلامية لما وضعت هذه الآداب الاجتماعية، وأوجبت الالتزام بها لم يكن المراد من ذلك التضييق على الناس أو إلحاق العنت بهم، وإنما كان "المنهج الإسلامي في التربية في ذلك يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الحقوق والآداب الواجبة

---

(١) انظر: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص١٢١، ١٢٨.

للأفراد والأسر"[1]، هذه الحقوق والواجبات والآداب إذا ما طبقت عملياً فإن لها الآثار التربوية الحميدة والتي تحقق للمجتمع الترابط والاحترام والتآلف الاجتماعي.

ثانياً- تعليم الولد آداب الاستئذان والسلام:

إن للبيوت آداباً يجب على الآباء والمربين أن يعلموها لأبنائهم وطلابهم ويتابعوهم عند تنفيذها، ومن تلك الآداب أدب الاستئذان والسلام على أهل البيت، وكما جاء في حديث الباب من تأديب النبي ﷺ لأنس رضي الله عنه بأدب السلام في قوله ﷺ: «يا بنيّ إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك». فإن في ذلك الخير والبركة وإدخال الأنس والاطمئنان على البيت وأهله.

لذا ينبغي على المربين أن يعلموا الأولاد والناشئة آداب الاستئذان والسلام ويدربوهم عليها، وقد كان ذلك منهج النبي ﷺ في تأديب أصحابه وتدريبهم -خاصة الناشئة منهم- على التخلق بالأخلاق الكريمة والتجَمُّل بالآداب النبيلة، ومن ذلك ما أخرجه أحمد بسنده أن كلدة بن الحنبل أخبر أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس والنبيّ ﷺ بأعلى الوادي قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبيّ ﷺ: «ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخل»[2].

"لذا فإن خير ما ينبغي أن يداوم عليه الطلاب والطالبات إتيانهم بتحية الإسلام "السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ" فيقولوها مع والديهم وأقاربهم وأساتذتهم وأصدقائهم ومع كل مسلم عرفوه أو لم يعرفوه"[3]، وعند دخولهم منازلهم وغشيانهم مجالس العلماء وما شاكل ذلك.



---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٤٠.

(٢) أخرجه أحمد، ٤١٤/٣، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، انظر: الموسوعة الحديثية، ١٥٤٢٥، ١٥٢/٢٤.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٤.

١٣٦- باب السلام على الصبيان

الحديث رقم (٨٦٣)

٨٦٣- عن أنس رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ رسول الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يحكي صورة من صور التواصل مع النبي ﷺ بتتبع سننه وتنفيذ توجيهاته، فيما قل، وكثر، وهذا هو عنوان المحبة الحقيقة للرسول ﷺ وليس مجرد الدعوات، وأنس رضي الله عنه خدم الرسول طويلا، وكان من أكثر الصحابة ملازمة له، ورواية عنه، وهذا الموقف يدل على دقة متابعته للرسول ﷺ، وسلام الرسول ﷺ علي الصبيان تواضع منه، ثم إن له بُعد نفسي؛ لأنه يعطيهم ثقة بأنفسهم، ويغرس فيهم الإحساس بالرجولة المبكرة؛ لأنه كان يرى فيهم جيل الفتوحات، وحملة دعوته إلى ربوع الأرض، وأسلوب الحديث خبري مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً للخبر، والفاء تدل على تعقيب السلام للمرور دون مهلة تضيِّع الغرض، وقوله (يفعله) أي المرور، وإلقاء السلام على الصبيان.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨/١٤، وتقدم برقم ٦٠٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يغرس الإسلام مبدأ الثقة في النفس بطرق شتى، منها: إلقاء السلام على الصبْية، لأن إلقاء السلام يشعر الصبي أنه صار رجلاً، ويربيه في نفس الوقت على هذا الخلق وينفي من صدره الخوف ويدرأ الرهبة ويبشره بالرجولة ولهذا وجب:

أولاً- بناء شخصية الطفل الاجتماعية:

إن التسليم على الأطفال له أثر تربوي عظيم في بناء شخصية الطفل وإنضاجها لدفعه للانخراط في المجتمع الذي يعيش فيه، إذ أن "الحياة الاجتماعية طبع وفطرة جعلها الله تعالى في خلقة الإنسان حتى تقوم الحياة، والطفل أحد أركان المجتمع فهو طفل اليوم ورجل المستقبل، فإذا لم يألف الناس ويعود على الآداب العامة، وإذا لم يحسن الحياة بين الناس فمستقبله ضياع"[(١)].

لذلك كان البناء الاجتماعي أحد الأركان التربوية المهمة في بناء شخصية الطفل واستواء عودها.

وإذا روعيت أساليب التربية الإسلامية "تمكن المجتمع من تكوين الرجال القادرين على تحمل المسؤولية وحفظ النظام وتوفير السلامة والأمن للجميع.

إن التربية الإسلامية رفعت من شأن المسلم وربَّته على الحفاظ على كرامته وشرفه والاعتزاز بالنفس ومشاركته الإيجابية في المجتمع -حتى ولو كان طفلاً صغيراً- فإن المجتمع لا ينبغي له الاستهانة به.

وعلى العموم فكل ما فيه تحقيقه لآدمية الإنسان وعلو شأنه ونضج شخصيته واكتمالها حرصت التربية الإسلامية على تنميته وصقله، بغية إخراج جيل يعمل بما يعلم، وهذا ما يصبو إليه - أي منهج تربوي في الدنيا.

وإذا أردنا لتربيتنا أن تعود لفحولتها، فتنتج جيلاً مسلماً قادراً على مواجهة التحديات بأشكالها المختلفة، فيه فُتُوَّة وعزة وطهر واستقامة، علينا أن نعيد للقرآن

---

(١) انظر: بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٦٥.

والسنة مكانتهما في حياتنا"[١]، وأن نعين ناشئتنا وشبابنا على أن يطبق تعاليم الإسلام في حياته وأخلاقه ومعاملاته وجميع سلوكياته.

ثانياً- من أساليب التربية: القدوة:

ونرى ذلك واضحاً في اقتداء أنس بن مالك رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم في التسليم على الصبيان، فعنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله".

إن في استخدام المعلم أسلوب القدوة في تعليمه الأثر البالغ في نفوس الناشئة إذ أن "الطفل لابد له من قدوة حسنة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع.

والتلميذ في المدرسة لابد له من قدوة حسنة يراها في كل معلم من معلميه ليقتنع حقاً بما يتعلمه وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه"[٢].

إن القدوة تعتبر من أهم أساليب التربية الإسلامية حيث تساهم بشكل فعال في بناء شخصية الطفل المسلم من جميع جوانب التربية الإسلامية مثل الجانب الإيماني والصحي والخلقي والاجتماعي والعقلي والنفسي، ولا تقتصر أهمية القدوة في التربية على جميع مراحل الطفولة فقط، بل تستمر في جميع مراحل النمو التي يمر بها الفرد المسلم"[٣].

إن المعلم لكي يكون قدوة لابد أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربى به حيث يربى على هديه وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمعه مربياً ومعلماً في كل سلوك وتصرف شخصي، فكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب الصبيان ويسلم عليهم، وصور الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم عديدة مبثوثة في طيات السنة النبوية المشرفة وذلك ما يؤكد لنا قيمة القدوة في تكوين قيم الإنسان وتحقيق الأهداف المرجوة من التربية الإسلامية"[٤].

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٨٦، ٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٥٧.

(٣) انظر: أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب، ص١٣٥.

(٤) انظر: في التربية الإسلامية، د. عبدالغني عبود ص١٦٢.

ثالثاً- الممارسة العملية:

من أساليب التربية التدريب العملي والممارسة العملية وذلك له أكبر الأثر في إنجاح العملية التربوية، يتضح ذلك من حديث الباب، حيث استخدمه النبي ﷺ مع تلميذه وخادمه أنس بن مالك، وسَارَ أنسٌ رضي الله عنه على منهج رسول الله ﷺ في نقل هذه السنة بالطريقة العملية، فلم يكتف بمجرد النقل أو الحكاية وإنما حرص على الممارسة العملية فعنه "أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال كان رسول الله ﷺ يفعله".

"إن التربية الإسلامية" تهدف إلى بناء مهارات وقدرات عدة، ومن ثَمَّ فليس التناول النظري وحده كافياً، بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية لا تقل الفرصة المتاحة لها عن الفرص المتاحة للتناول المعرفي، إضافة إلى ذلك أن الممارسة العملية تزيد الإنسان شوقاً إلى الأعمال والقيم التي يراد غرسها في النفوس كما أن الممارسة العملية أيضاً تزيل الرهبة، والتردد الذي يوجد عند معظم الناس، كما أنها تنمي لديهم المهارات والقدرات"[1]، إضافة إلى أن الممارسة والتجارب العملية تكسب المتربين خاصة الأطفال منهم معرفة وعلماً، فعندما يبدأ الطفل بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه، ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة، وتتفتح آفاق معرفته وتتوسع مدارك ذهنه وعقله[2].



---

(١) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤.

١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

الحديث رقم (٨٦٤)

٨٦٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: (كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ) [(١)] - وفي رواية: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ- تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إلَيْنَا. رواه البخاري[(٢)].

قوله: "تُكَرْكِرُ" أي: تَطْحَن.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

السلق: بقلة لها ورق طوال وأصل ذاهب في الأرض، ورقها غض طريٌّ يؤكل مطبوخاً[(٣)].

تكركر: تطحن[(٤)].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا) رجوع إلى الماضي يقضي المنطق العقلي بأن ما سيليه من أخبار محققة الوقوع سابقة لوقت الحديث، وليست مصاحبة، والتعبير في الرواية الأولى (كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ) يشير إلى أنها لم تربطها بأحدهم قرابة، وأنها كانت تطعمهم على سبيل الإكرام، والهدية، والرواية الثانية (كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ) توحي بخصوصية أكثر يدل على ذلك تقديم الخبر (لنا) على الاسم (عجوز) والتعبير بالعجوز هنا يشير إلى

(١) هذه الرواية عند البخاري برقم ٩٣٨.

(٢) برقم ٦٢٤٨.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ق).

(٤) رياض الصالحين ٣٤٩.

خصوصية في تحديد الزمن بعكس الرواية السابقة التي لم يحدد فيها لفظ (امرأة) سوى النوع، وقوله: (تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ) السلق نوع معروف من البقل، والعبارة كناية عن الطبخ، وقولها: (وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ) كناية عن الطحن، ويصور الفعل (تكركر) بوزنه، وصوته جزءاً من دلالته، وهي صوت الرحى في أثناء الطحن، وقوله (فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا) طوت الواو العاطفة أحداثاً معتادة بعد انتهاء الصلاة كالتسبيح دبر الصلوات، والسلام على الإخوان، وتفقد أحوالهم، والسؤال على من تخلف لمرض، أو لغيره حتى يعان إن كان في حاجة إلى ذلك، وهذه الأمور من فوائد الجماعة في الصلاة، وقد طوتها الواو، وقامت دليلاً عليها.

فقه الحديث

السلام على النساء: سلام المرأة على المرأة يسن كسلام الرجل على الرجل، وردّ السلام من المرأة على مثلها كالرد من الرجل على سلام الرجل.

وأما سلام الرجل على المرأة، فإن كانت تلك المرأة زوجه أو أمه أو من المحارم فسلامه عليها سنة، ورد السلام منها واجب، بل يسن أن يسلم الرجل على أهل بيته ومحارمه، وإن كانت تلك المرأة أجنبية فإن كانت عجوزاً أو امرأة لا تُشتهى فالسلام عليها سنة، وردّ السلام منها على من سلّم عليها لفظاً واجب.

وأما إن كانت تلك المرأة شابة يخشى الافتتان بها أو يخشى افتتانها هي أيضاً بمن سلّم عليها، فالسلام وجواب السلام منها، حكمه الكراهة عند المالكية والشافعية والحنابلة، وذكر الحنفية أن الرجل يرد على سلام المرأة في نفسه إن سلمت هي عليه، وترد هي أيضاً في نفسها إن سلم هو عليها. وصرح الشافعية بحرمة ردها عليه.

وأما سلام الرجل على جماعة النساء فجائز، وكذا سلام الرجال على المرأة الواحدة عند أمن الفتنة[1].

(١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٦/٥، وروح المعاني ٩٩/٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩٦/٦-٤٩، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ١١٠/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٢٩/١٠-٢٣٠، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٧٤/١-٣٧٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٦/٢٥-١٦٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التسليم على النساء عند الأمان من الفتنة.

ثانياً: من آداب الداعية: الحرص على إفشاء السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الجمعة والانصراف بعدها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التسليم على النساء عند الأمان من الفتنة:

لقد سعى الإسلام إلى حماية المجتمع من كل فتنة تضر به، وعمل على منع وسد كل سبب يؤدي إلى ذلك، وفيما يتعلق بالسلام على النساء من غير المحارم، فقد وضع الإسلام الضوابط والحدود التي يجب مراعاتها، (فمن بعض أهل العلم من منع ذلك مطلقاً ومنهم من أجازه بقيد أمن الفتنة، وبعضهم فصَّل ذلك فقال: إن كانت شابة جميلة لم يجز، وإن كانت عجوزاً جاز...، قال صالح: سألت أبي: يسلم على المرأة؟ فقال: أما الكبيرة، فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق)[1]، وهذا ما صوبه ابن القيم في قوله: (إنه يسلم على العجوز وذوات المحارم دون غيرهن)[2].

وقد بين ابن حجر: (في باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال، أن ذلك يجوز عند آمن الفتنة)[3].

وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قول سهل بن سعد رضي الله عنه: كانت فينا امرأة - وفي رواية: كانت لنا عجوز- ...، نسلم عليها، وخير دليل على ذلك قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا))[4].

قال ابن حجر: (قال الحليمي: كان النبي صلى الله عليه وسلم للعصمة مأموناً من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة فليسلم وإلا فالصمت أسلم)[5].

---

(١) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٥١/١، ٣٥٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٢/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/١١.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٢٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٣٦).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/١١.

لما ورد عن النبي ﷺ في تحذيره من فتنة النساء وذلك بقوله: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)[1].

ثانياً- من آداب الداعية: الحرص على إفشاء السلام:

إن إفشاء السلام من آكد الواجبات التي بها تتوطد أوامر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامي، لذلك حرص الإسلام على ترسيخه بين أفراد الأمة بأسرها، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول: "...، نسلم عليها" وفي بيان الحرص على إفشاء السلام، قال ﷺ: ((يَا أَيُهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ))[2]. وقال ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَينَكُمْ»))[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الجمعة والانصراف بعدها:

مما لا شك فيه (أن لصلاة الجمعة ومحافظة المسلمين عليها في الأمصار والأقطار فضلاً كبيرًا، في سلامة هذا الدين، وسلامة الشريعة الإسلامية، والأوضاع الدينية، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه، وبعدها عن تحريف المنحرفين وعبث العابثين، فضلاً عن أن ذلك أدعى للائتلاف والاتحاد وجمع شمل المسلمين، والتعاون على البر والتقوى)[4]. وقد أفاد الحديث على الحث على أدائها وذلك من قول الراوي: فإذا صلينا الجمعة، وانصرفنا" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك، قال ابن رجب الحنبلي: (المقصود من هذا الحديث ههنا: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يجلسون بعد صلاة الجمعة في المسجد إلى العصر، وإنما كانوا يخرجون من المسجد ينتشرون في الأرض فمنهم من كان ينصرف لتجارة، ومنهم من كان يزور أصحابه وإخوانه، وكانوا يجتمعون على ضيافة هذه المرأة، وقد ذهب بعضهم إلى أن الأمر

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٩).

(٣) أخرجه مسلم ٥٤.

(٤) انظر: الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) أبو الحسن الندوي، ص٦١.

بالانتشار بعد الصلاة للاستحباب، وأخذ البعض بظاهر الآية، وذهب الأكثرون إلى أنه ليس بأمر حقيقة، وإنما هو إذن وإباحة، حيث كان بعد النهي عن البيع، فهو إطلاق من محظور، فيفيد الإباحة خاصة)[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها)[٣] وقال في قوله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة" أي فرغ منها، "فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله. وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين"[٤].

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي ٥/٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١٢٠.

(٤) المرجع السابق ٨/١٢٢.

الحديث رقم (٨٦٥)

٨٦٥- وعن أُم هَانِىءٍ فاخِتَةَ بنتِ أَبي طالب رضي الله عنها، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ[1] وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمْتُ... وَذَكَرَتِ الحديث. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم هانئ: هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمية، ابنة عم النبي ﷺ وشقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. اختلف في اسمها فقيل: فاختة. وقيل: فاطمة. وقيل: هند. والأول أشهر.

تزوجت هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي.

تأخر إسلامها إلى فتح مكة، وقد هرب زوجها إلى نجران ففرق الإسلام بينهما، فخطبها النبي ﷺ ولكنها اعتذرت، فقبل النبي ﷺ اعتذارها وأثنى عليها وأبان فضلها، وكان سبب اعتذارها شفقتها على النبي ﷺ وخوفاً من أن تضيف إليه عبئاً إلى أعبائه الجسام.

قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال. فقال رسول الله ﷺ: خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده[3] [ماله المضاف إليه].

وفي رواية ابن سعد عن الشعبي أنها قالت: يا رسول الله، لأنت أحب إلى من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج[4].

---

(١) لفظ مسلم: (ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح).

(٢) برقم ٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠١ – ٢٥٢٧.

(٤) قال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي: مرسل سنده صحيح.

وفي يوم فتح مكة دخل النبي ﷺ منزلها فصلى عندها ثماني ركعات ضحى[1].

وكان النبي ﷺ يهش لمقدمها ويرحب بمجيئها، فقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمتْ. فقال: من هذه؟ قالت: أنا أم هانئ. الحديث. وفيه ((زعم ابن أمي -تعني علياً- أنه قاتل رجلاً قد أجرتُه. فقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ))[2].

بلغ مسندها من الأحاديث ٤٦، متفق على واحدٍ منها وقد عاشت بعد أخيها عليٌّ مدة، عاشت إلى بعد سنة خمسين[3].

الشرح الأدبي

قول أم هانيء رضي الله عنها (أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ) ذكرت الظرف (يوم) وأضافته للفتح؛ لأنه تضمَّن حدثاً عظيماً، وهو فتح مكة، وقولها (وهو يغتسل) يشير إلى أنها أتته بعد تمام الفتح، واستتباب الأمر، لأن الاغتسال دليل على الاستراحة من عناء سابق، وقولها (وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ) صورة من بر البنت بأبيها، وروح المحبة، والتعاون، كما يعكس ضيق المكان؛ لأنه لو كان فيه متسع ما اغتسل في هذا المكان، ولاستتر بغيره، وقولها: (فسلمت) خبر أريد بها لازم فائدته، وهو جواز التسليم على ما هو معلوم عند الفقهاء.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٨٠، ٣٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٧، ومسلم ٨٢-٣٣٦.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٧/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٦٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٩٢/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٤١، والسير ٣١١/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٦٠٣/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٧٠٢/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٢٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢١٨٤/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الحرص على التستر.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أم هانئ رضي الله عنها: ((أتيت النبي ﷺ يوم فتح))، وقد كان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2].

قال ابن كثير: (والمراد بالفتح ها هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمضي سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر الإسلام ولله الحمد والمنة)[3]، أخرج البخاري من حديث طويل عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه ((وكانت العرب تلوَّمُ بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم...))[4] وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٢) سورة النصر.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٣/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

ما ذكره ابن إسحاق من قوله: (فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة)[١]، (يخبره الخبر، وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله أنشده إياها)[٢].

(فقال رسول الله ﷺ: ((نصرت يا عمرو بن سالم))، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)[٣]، (وخرج رسول الله ﷺ إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين، بعد أن استخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن عتبه بن خلف الغفاري)[٤]، فكان الفتح الأعظم، ودخل رسول الله ﷺ مكة، (حتى أقبل إلى الحجر، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ (بسية القوس)[٥]، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل))، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلى عليه، حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو)[٦].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ:

ويستفاد ذلك مما ورد في الحديث من قول أم هاني رضي الله عنها " أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب"، وفي بيان عظم مكانتها رضي الله عنها، عند

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٣٤/٤.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٠٩/٦.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٣٥/٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ٤٠/٤.

(٥) السية بكسر السين وتخفيف الياء المفتوحة المنعطف من طرفي القوس، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٥١.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٨٠، جزء من حديث مطول.

النبي ﷺ "قال المسور ابن مخرمة: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَلاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. إِلاَّ أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ. فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي. يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا))[1].

قال النووي: (أما "البضعة" فبفتح الباء لا يجوز غيره وهي: قطعة اللحم وكذلك المضغة بضم الميم، وأما "يريبني" بفتح الياء، قال إبراهيم الحربي: الريب ما رابك من شيء خفت عقباه ...، قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي، وهذا بخلاف غيره قالوا: وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ: لست أحرم حلالاً، ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين: أحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة، والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة ... إلخ)[2].

ومن الشواهد على منزلة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "إن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت، فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت"[3]، وفي ذلك بيان على عظم مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً- من واجبات الداعية: الحرص على التستر:

إن الحرص على التستر من دلائل كمال الحياء، وحسن المروءة، وقد ظهر ذلك جلياً في الحديث من قول أم هانئ رضي الله عنها: "...، أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب"، وقد أمر النبي ﷺ بالحرص على التستر، ((فعن يعلي رضي الله عنه أن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧١٤، ومسلم ٢٤٤٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

رسول الله ﷺ رَأَى رَجُلاً يَغْتَسِلُ بِالبَرَازِ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ اللّهَ عز وجل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»(١).

وعن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ عَوْرَاتُنَا. مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: ((احْفَظْ عَوْرَتَكَ. إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُرِيَنَّهَا أَحَداً، فَلاَ يُرِيَنَّهَا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً؟ قَالَ: «فَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ))(٢). وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، قال: ((حَمَلْتُ حَجَراً ثَقِيلاً فَبَيْنَا أَمْشِي فَسَقَطَ عَنِّي ثَوْبِي، فقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «خُذْ عَلَيْكَ ثَوْبَكَ وَلا تَمْشُوا عُرَاةً))(٣).

فعلى الداعية أن يحرص على التستر.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

لقد أكد الحديث على أهمية إفشاء السلام، وذلك من قول أم هانيء رضي الله عنها: "فسلمت"، وقد أمر النبي ﷺ بذلك وحث عليه، فقال ﷺ: ((لرجل سأله أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ فقَالَ لَه: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٤). قال أبو العباس القرطبي: (وجمع له بين الإطعام والإفشاء لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية، والألفة الإسلامية، كما قال ﷺ: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))(٥). وفيه دليل على أن السلام لا يُقْصَر على مَنْ يُعْرَف، بل على المسلمين كافة، لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام: «السلام شعار لملتنا وأمان لأهل ذمتنا»(٦))(٧). ثم بين ﷺ أنه -أي إفشاء السلام- سبب لدخول الجنة،

---

(١) أخرجه النسائي ٤٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠١٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٩١).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٠١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٥١٨، وقال الهيثمي في المجمع ٣٣/٨ رواه الطبراني من شيخه بكر بن سهل الدمياطي، ضعفه النسائي وقال غيره مقارب الحديث.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢١/١.

فقال: ((يَا أيُّهَا النـاسُ، أفشوا السـلامَ وأطعِمـوا الطعـامَ، وصِلوا الأرحـامَ وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ))[١]. (وأفشوا السلام) أي: "أظهروه وأكثروه على من تعرفونه، وعلى من لا تعرفونه"[٢].

(١) أخرجه الترمذي، ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٩).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٩٣٣.

الحديث رقم (٨٦٦)

٨٦٦- وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها، قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ في نِسوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أَبُو داود والترمذيُّ، وقال: (حديث حسن)، وهذا لفظ أَبي داود[1].

ولفظ الترمذيِّ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ فِي المَسْجِدِ يَوْماً، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتَّسْلِيمِ.

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات، وغرض الخبر المسوق هو لازم فائدته، وهو جواز السلام على النسوة دون مصافحة على ما هو مفصل في الجانب الفقهي، والتعبير بـ (على) فيه إشارة إلى علو المكان المفهوم من استعلاء (على)، ومقام الرسول ﷺ، واتصال (نا) به يشير إلى أنهم جماعة، ويؤكد ذلك صراحة قولها: (في نسوة)، فالهاء التي في آخر نسوة ليست علامة تأنيث بل هي هاء فِعلة جمع تكسير، مثل صبية، وغلمة.

المضامين الدعوية[3]

(١) برقم ٥٢٠٤.

(٢) برقم ٢٦٩٧.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٥٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حثّ الإسلام على تقوية أواصر المودة والمحبة بين الناس من خلال عدد من الأمور والتي من جملتها إفشاء السلام، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- تقوية الجوانب الاجتماعية:

إن من أهداف التربية الإسلامية والرئيسة تقوية الجوانب الاجتماعية وتوطيد العلاقات بين أفراد المجتمع والترابط الاجتماعي بين أفراده وسائر شرائحه، ومن مظاهره وأسبابه ما جاء في أحاديث الباب ومنها:

أ-إطعام الطعام وإكرام الناس: وذلك ما نستوحيه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وحكايته عن تلك العجوز التي كانت تقدم الطعام للناس بعد فراغهم من صلاة الجمعة، فعنه أنه قال كانت فينا امرأة، وفي رواية: «كانت لنا عجوز تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه لنا».

ب-إشاعة السلام: وذلك ما نستشفه من إلقاء السلام من قبل أم هانئ على رسول الله ﷺ ورده عليها، وكذلك سلامه ﷺ على تلك الجماعة من النساء، كما قالت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: "مر علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا".

إن التربية على تنمية الجوانب الاجتماعية والإكثار من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية للمجتمع، على مستوى الجماعات وكذلك الأفراد.

إن من أهداف التربية الإسلامية "تربية المجتمع -الناشئة والأطفال منهم-" تربية اجتماعية على هدي السنة النبوية يقصد بها أن يكون الفرد والصغير متكيفاً مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار أو مع الأصدقاء، ومَنْ هم في سنه، وليكون فعالاً إيجابياً بعيداً كل البعد عن الانطواء والخجل المقيت يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري ويخالط ويعاشر، وتعويده الالتزام والآداب الاجتماعية والإتيان بها كالسلام الذي هو التحية الإسلامية بين المسلمين، فإن المتربي خاصة الطفل يتعرض للقاء الناس

على اختلاف مستوياتهم فهو يحتاج ليتعرف على مفتاح الكلام معهم، فالسلام مفتاح الكلام"[١].

إن انخراط الإنسان في مجتمعه وقيامه بالدور الاجتماعي والإيجابي من سمات الإنسان الصالح وأهداف التربية الإسلامية، فالإنسان الصالح هو الذي يتسم بما يلي:

أ-أن يكون عبداً ربانياً تقياً دائم الصلة بالله في كل فكر أو عمل أو شعور.

ب-أن يكون نشاطه كله حركة موحدة الاتجاه إلى الله تعالى.

ج-أن يكون شمولياً متكاملاً حراً مسئولاً متوازناً.

د-أن يكون اجتماعياً، إيجابياً يتصف بالتوازن والواقعية[٢].

إن رعاية الجوانب الاجتماعية والتمسك بآدابها وإبراز مظاهرها من "ضرورات الأمن والاستقرار والتعاون بين أفراد المجتمع بمختلف فئاته سواء على مستوى الأسرة أو الجماعة أو القرية أو المدينة أو المجتمع ككل"[٣].

ثانياً- دقة التعبير وتكامل الصورة:

إن مما ينبغي على المربين مراعاته تعويد المتربين وتنشئتهم على الدقة في التعبير ونقل الصورة كاملة حتى إذا ما نقلوا معلومة أو ساقوا خبراً أو كتبوا شيئاً ما، كانت الصورة كاملة غير منقوصة عند المتلقي، وذلك له أكبر الأثر في الارتفاع بالمستوى الثقافي والتعليمي والتربوي وسائر المجالات.

ويمكن لنا استخلاص مثل هذه الفوائد من نقل أم هانئ رضي الله عنها لحال النبي ﷺ حين ألقت عليه السلام، فلم تكتف ببيان إلقائها السلام ورده عليها، وإنما ذكرت كثيراً من الأحوال والملابسات التي تجعل الصورة متكاملة لدى المتلقي، كأنها ماثلة مجسدة نصب عينيه، فذكرت التاريخ "عام الفتح"، وذكرت الحال "فوجدته يغتسل"

---

(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ص١٤٩-١٥٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية، عمر الشيباني ص٩٢، ٩٣.

(٣) انظر: عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ص١٦.

وذكرت من كان موجوداً عنده، "فاطمة ابنته" وما كانت تقوم به "تستره بثوب" وإلقاء أم هانئ السلام"فسلمت..." كل ذلك بألفاظ معدودة بسيطة لا تستعصي على الفهم ولا تورث الملل والسآمة.

لذا ينبغي على المعلم والمتربي اتباع عدة أمور في تعليمه وتوجيهه للمتعلمين ولمن يقوم على تربيتهم، ومن أبرزها ما يلي:

أ-أن يكون الكلام مفيداً ولا يكون مجرد ألفاظ وكلمات لا غرض لها ولا معنى، كما يجب أن يكون خالياً من الألفاظ غير المفهومة.

ب-أن تكون الفكرة المراد تبليغها واضحة ومفهومة عند المتربين حتى يصل إلى المطلوب، "فإن من الشطحات أن تكون الفكرة لها ظواهر رائعة، وفيها عبارات هائلة وليس ورائها طائل، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقلية أو تشويش في خيال، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على مقصده لقلة دربته أو لعدم معرفته بأحوال المتربين، فإن المربي إذا كان موصلاً جيداً كان ذلك فتحاً لتربيته وكسباً لفكرته وسراجاً منيراً لرسالته مؤيداً عمله بفاعلية ونجاح كما يجب"[1].

ثالثاً- خصائص التربية الإسلامية: التوازن والاعتدال:

إن من خصائص التربية الإسلامية أنها تقوم على التوازن والاعتدال بعيدة عن الغلو فلا إفراط فيها ولا تفريط، ومن دلائل ذلك في أحاديث الباب جواز التسليم على المرأة الأجنبية إن أمن الفتنة، وذكرت لنا الأحاديث دلائل عملية على ذلك منها ما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: "كانت فينا امرأة تأخذ من أصول السلق فإذا صلينا وانصرفنا نسلم عليها" وكذلك حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: «مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا»، فالإسلام يمنع التبرج والاختلاط ونحوهما، مما يؤدي إلى مساوئ الأخلاق وأراذل الأفعال، ولكن في نفس الوقت لا يمنع من مظاهر

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الأهداف، د. توفيق الواعي، ص٢٦٢-٢٦٤.

التعامل كالبيع والشراء والسلام ونحوها شريطة أمن الفتنة والانزلاق في مهاوي الرذيلة.

إن التربية الإسلامية تربية تنشد الاعتدال والتوازن، وذلك في كل شيء فهي: "تربية متوازنة في بنائها لجوانب شخصية الفرد والمجتمع، فأعطت التربية الإسلامية للفرد قيمة إنسانية وأعطته الحرية في ممارسة حقوقه الطبيعية، ولكن في إطار الأخلاق الفاضلة دون الإخلال بواجباته تجاه الآخرين في الأسرة، وفي المجتمع الذي يعيش فيه بل وتجاه الآخرين في الأمة الإسلامية، وفي المجتمع الإنساني بكامله"[1].

رابعاً- مراعاة المشاعر وجبر الخواطر:

إن مما ينبغي أن يحرص عليه القائمون على التربية مراعاة مشاعر الآخرين وتوقيرهم وجبر خواطرهم، وذلك من أسباب زيادة الألفة والمحبة، ونلاحظ ذلك في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي نقل لنا ما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم من أكل ما تقدمه إليهم تلك المرأة الكريمة من طعام جبراً لخاطرها دون النظر إلى حاجاتهم إلى هذا الطعام أولاً، فعنه أنه قال: "كانت فينا امرأة..تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه إلينا".

لذا فمما ينبغي على المتربي جبر خاطر من يُسْدي إليه معروفاً أو يقدم له هدية أن يقبلها، لكن إذا كان هناك ما يمنع قبولها فإن من حسن الخلق أن يبين له سبب الرد تطييباً لقلب مهديها وجبراً لخاطره.

إن التربية على رعاية المشاعر من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية والتي تتجه في أصلها، ومن خلال طرقها ووسائلها إلى "زرع بذور التعاضد والتماسك والتضامن وتقوية الصلات والروابط بين أفراد المجتمع وتنمية التحابب والمودة في النفوس، وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة وعدم التهاون فيها، وتعزيز اتجاه حب التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢٢٠.

أفراحهم وأتراحهم والوقوف معهم ما أمكن"[١].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-القصة: كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت فينا امرأة -وفي رواية: كانت لنا عجوز- تأخذ من أصُول السِّلْق فتطرحه في القدر، وتكركر من شعير فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه إلينا.

والقصة تستخدم لغرس القيم الفاضلة في نفوس المتعلمين ونزع القيم السلبية، فضلاً عن أنها تجذب المتعلمين وتشد انتباههم. ويمكن للمعلم أن يستخدمها تمهيدًا لدرسه ونحو ذلك.

ب-الممارسة العملية: كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: مرّ علينا النبي صلى الله عليه وسلم فسلم علينا.

والممارسة العملية من الأساليب التي تتميز بطول بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٦١، ٦٢.

١٣٨- باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم

واستحباب السلام عَلَى أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار

الحديث رقم (٨٦٧)

٨٦٧- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تَبْدَأُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ينظم جانباً من علاقة المسلم بغير المسلمين، والخبر مؤكد في كلام الراوي استشعاراً لمقام من يحدث عنه، واستشعاراً لأهمية الخبر، وتنبيهاً على ذلك، وقول الرسول ﷺ بدأ بأسلوب النهي العام، والذي اتخذ حكم العموم من اتصال الفعل المنهي عنه بواو الجماعة، وعلى ذلك، فهو خطاب للصحابة، ومن بعدهم من الأمة، وتكرار حرف (لا) للتأكيد على استقلال كل طائفة بحكم النهي تأكيداً له،، وأسلوب الشرط (فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ) يربط لقاءهم باضطرارهم إلى أضيقه يطرد في كل زمان، ومكان، وتلك إحدى ثمرات استخدام أسلوب الشرط الذي يعطي المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان، ولفظ (أحد) المضاف لضمير الجمع (هم) يعطي معنى العموم ليشمل كل واحد منهم، وتنكير (طريق) يفيد التعميم ليشمل كل طريق.

---

(١) برقم ١٣/٢١٦٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠١٩.

فقه الحديث

السلام على أهل الذمة وغيرهم من الكفار: ذهب الحنفية إلى أن السلام على أهل الذمة مكروه؛ لما فيه من تعظيمهم، ولا بأس أن يسلم على الذمي إن كانت له عنده حاجة، لأن السلام حينئذٍ لأجل الحاجة لا لتعظيمه. ويجوز أن يقول: السلام على من اتبع الهدى. وذهب المالكية أيضاً إلى أن ابتداء اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال بالسلام مكروه، لأن السلام تحية، والكافر ليس من أهلها.

ويحرم عند الشافعية بداءة الذمي بالسلام، وله أن يحييه بغير السلام، بأن يقول: هداك الله، وأنعم الله صباحك إن كانت له عنده حاجة. وإلا فلا يبتدئه بشيء من الإكرام أصلاً، لأن ذلك بسط له وإيناس وإظهار ودّ.

وقال النووي في الأذكار: (اختلف أصحابنا في أهل الذمة، فقطع الأكثرون بأنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام، وقال آخرون ليس هو بحرام بل هو مكروه. وبداءة أهل الذمة بالسلام لا تجوز أيضاً عند الحنابلة، كما لا يجوز أن نحييهم بتحية أخرى غير السلام)[1].

وإذا مرّ واحد على جماعة فيهم - مسلمون ولو واحدًا - وكفار، فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم، لحديث أسامة بن زيد، حديث الباب[2].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٥-١٦٩ ومراجعها ومصادرها.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٦٤/٥-٢٦٥، والاختيار ١٦٥/٤، وروح المعاني ١٠٠/٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٢٥/٢-٤٢٦ ط/٣، وحاشية العدوي على الخرشي ١١٠/٣ ط/ بولاق، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٤٩/٨، وتحفة المحتاج ٢٢٦/٩، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٠/١٠-٢٣١، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٣٦/٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٩/٣، والكافي ٢٥٩/٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٥-١٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من أصناف المدعوين: اليهود والنصارى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إظهار عزة الإسلام.

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي:

والنهى من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على إرشاد وتوجيه المدعوين إلى اجتناب ما هو محظور عليهم، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من نهيه ﷺ عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام، وذلك في قوله ﷺ "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام" لما في ذلك من إظهار عزة الإسلام والمسلمين.

ثانياً- من أصناف المدعوين: اليهود والنصارى:

(إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وترغيبهم في الدخول فيه، من أوجب الواجبات ومن أسباب خيرية هذه الأمة، ومن أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، و قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2]، وقد شرع الإسلام لغير المسلمين الإقامة في بلاد الإسلام بعقد الذمة أو الأمان)[3]، وشمل ذلك اليهود والنصارى، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قوله ﷺ: "لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام".

ومما لا شك فيه (أن استوطان اليهود والنصارى، ومجيئهم إلى البلاد الإسلامية، يتيح فرصة كبرى لدعوتهم إلى الإسلام، فيجب أن تتضافر الجهود في استثمارهم

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د.عبدالله اللحيدان، ص٥.

بعرض الإسلام عليهم، ودعوتهم إليه، على هدي من قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[2])[3].

وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله تعالى تخاطب أهل الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4].

قال ابن كثير: أي: "قل" يا "محمد": ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: من الدين "حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ"، أي حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر بإتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته"[5].

ورغم أن أهل الكتاب أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ونسبوا إليه ما لا ينبغي لجلالته وعظمته، فنسبوا إليه الولد، وزعموا أن الله فقير، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ورغم نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، ومخالفتهم تعاليم الرسل، وابتداعهم في الدين، وتحريفهم وتبديلهم فيه، رغم ذلك كله، فإن القرآن الكريم جاء يدعو أهل الكتاب أحياناً بأسلوب سهل رقيق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[6].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان، ٦.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٤/٥.

(٦) سورة المائدة، آية: ٦٥ .

فبالرغم مما اقترفه أهل الكتاب من أفعال، وما افترته ألسنتهم من أقوال، مما ذكره القرآن الكريم، فإن الله تعالى فتح لهم أبواب التوبة، ويسر لهم التكفير عن سيئاتهم وخطاياهم، إن آمنوا بالله تعالى وأخلصوا له العبادة والتوحيد، بأن يدخلهم جنات النعيم.

إن خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قام على الترغيب والترهيب، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة، وإن رحمته وسعت كل شيء، وعفوه يشمل كل من تاب وأناب وآمن به سبحانه[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

وقد توعد الله الكافرين بجهنم وبئس المصير، وإن الله تعالى لم يغلق في وجوههم أبواب رحمته إن تابوا وأنابوا إليه سبحانه، لأن الإسلام يجب ما قبله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3].

إننا لو نظرنا إلى خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب، فإننا نجد معالمه في تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم، وتحذيرهم من يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا

---

(١) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٢- ١٢٣.

(٢) سورة طه، آية: ٨٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٣٦-٣٨.

تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[1].

قال الشوكاني: "كرر ذلك سبحانه توكيداً للحجة عليهم - أي كرر قوله سبحانه: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" وتحذيراً لهم من ترك اتباع محمد ﷺ، ثم قرنه بالوعيد[2]، وهو قوله: "واتقوا يوماً".

ثم إن في خطاب القرآن الكريم لهم بـ "يا بني إسرائيل" تهييجاً لهم وتذكيراً بنبيهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، قال الإمام ابن كثير: "وتقدير الكلام يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل نبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك"[3].

وفي مقابل هذا الترغيب لأهل الكتاب، جاءت آيات عديدة تخاطبهم في سياق الترهيب... تؤنبهم على عدم إسلامهم، وتوبخهم كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[5].

كما جاءت آيات عديدة تهددهم، وتنذرهم عقوبة الله إن هم أعرضوا عن الإيمان بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ[6]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٤٧ - ٤٨.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٨١/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٤/١.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٨ - ٩٩.

(٦) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ١٠٠ - ١٠١.

نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾[١].

إن المتأمل في خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، يدرك أنه اتسم -أي الخطاب- بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

حيث خاطب العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة.

لقد اشتمل خطاب القرآن الكريم على ألطف الأساليب في جداله مع المخالفين، واختار العبارات الرقيقة، لأن ذلك أدعى إلى الأنس بالخطاب، وعدم إثارة العصبية[٢].

إن من معالم المنهج القرآني الذي رسمه القرآن للدعوة إلى الله، الجدال بالتي هي أحسن، والأصل في الجدال أن يكون من المخالفين، ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون (حسنة) ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي (أحسن) لأن الموعظة -غالباً- تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون -عادة- مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن، على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان: طريقة حسنة وحيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، كان الداعية مأموراً أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود[٣].

ومن ذلك قوله تعالى في جدال المشركين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٤].

قال ابن كثير: "هذا من باب اللّف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم، ونحن على الهدى، أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدلّ على بطلان ما أنتم عليه من الشرك

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٧.

(٢) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٤-١٢٥.

(٣) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ٤٠ - ٤١.

(٤) سورة سبأ، آية: ٢٤.

بالله، ولهذا قال: "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"، قال قتادة: قد قال ذلك أصحاب محمد ﷺ للمشركين، والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد[١]".

وقال السعدي: "أي إحدى الطائفتين منا ومنكم على الهدى مستعلية عليه، أو في ضلال مبين منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه. وقال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢] أي: كل منا ومنكم له عمله، أنتم لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق، وسلوك طريق الإنصاف ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعاً لكم من اتباع الحق.."[٣].

وكان من مقتضى المقابلة أن يقول: "ولا نسأل عما تجرمون" ولكن لم يشأ أن يجابههم بنسبة الإجرام إليهم، إيناساً وتقريباً لهم، وتأليفاً لقلوبهم.

ومن الجدال بالتي هي أحسن: التركيز على نقاط الوفاق، لا نقاط الاختلاف لأن ذلك يؤدي إلى التلاقي النسبي في الأصول المشتركة، وإيجاد أرضية للحوار، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٤]، فهو هنا يركز على العقائد التي تقرب المسلمين منهم وهي: أن المسلمين يؤمنون بكل ما أنزل الله من كتاب، كما يؤمنون بكل من بعث الله من رسول، وكذلك يؤمن الجميع بإله واحد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٨٦/١١.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٧٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

ومن هذه النقطة ينطلق اللقاء لمواجهة الملاحدة والجاحدين الذين لا يؤمنون إلا بالمادة وحدها، ولا يعتقدون أن للكون إلهاً، ولا أن في الإنسان روحاً، ولا أن وراء الدنيا آخرة.

إن القرآن الكريم علمنا ألا نخاطب الناس - وإن كانوا كفاراً - باسم الكفر، فخطاب الناس - غير المؤمنين - في القرآن، إما أن يكون بهذا النداء: "يا أيها الناس"، أو "يا بني آدم"، أو "يا عبادي" أو "يا أهل الكتاب" أو "يا بني إسرائيل".

ولم يأت في القرآن خطاب بعنوان الكفر، إلا في آيتين إحداهما: خطاب لهم يوم القيامة[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

والأخرى في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[3].

فكان هذا خطاباً للمشركين الوثنيين الذين كانوا يساومون الرسول الكريم ﷺ على أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة.

فأرادت السورة قطع هذه المحاولات بأسلوب صارم، وبخطاب حاسم، فأمر الرسول ﷺ أن يخاطبهم بهذه الصورة القوية، بما فيها من تكرار وتوكيد، ومع هذا ختمت السورة بهذه الآية التي تفتح باب السماحة مع الآخر، حين قالت: "لكم دينكم ولي دين".

إن الله تعالى أمر عباده بالقول الحسن مع من يخاطبونه، ومن القول الحسن ألا يجابه الكافر، بأن يقال: "أيها الكافر"، فقد أمر الله رسوله بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[4][5].

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ٤٤ - ٤٥.

(٢) سورة التحريم، آية: ٧.

(٣) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٥) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي ٤٤ - ٤٥.

وقيل المعني: "قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم، وهم يعبدون الأصنام، يقولوا التي هي أحسن من كلمة التوحيد، والإقرار بالنبوة، وقيل المعنى: وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد، أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن، كما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١]، وقال الحسن: هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله! يرحمك الله! وهذا قبل أن يؤمروا بالجهاد"[٢].

إنه بالرغم من صلف وعناد المشركين، فإن القرآن الكريم قد خاطبهم باللين والحكمة والإرشاد إلى مناهج الصواب، وذكرهم بأخبار الأمم الماضية، وحذرهم من نتائج كفرهم، وعواقب استمرارهم على الشرك بالله، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام:

مما أكد عليه نص الحديث هو عدم ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وذلك في قوله ﷺ: ((لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ))، ولكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فهل يبذل لهم السلام؟، نجد أن العلماء قد اختلفوا في ذلك.

قال القاضي عياض: (وقوله: «لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ»: هذه سنة، بها أخذ عامة السلف والفقهاء ...، وذهب آخرون إلى جواز ذلك ابتداءً...، واحتج من قال هذا بقوله ﷺ: «أَفْشُوا السَّلاَمَ»[٤]، وذهب آخرون إلى جوازه ابتداءً للضرورة أو لحاجة تعن له إليه، أو لذمام - وهو الحق والحرمة والعهد- ، وقال الأوزاعي: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون)[٥].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٧/١٠/٥.

(٣) راجع بتوسع، خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٦-١٣١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٢/٧.

قال النووي: (فمذهبنا تحريم ابتدائهم به، ووجوب رده عليهم بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط. ودليلنا في الابتداء قوله ﷺ: «لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ» وفي الرد قوله ﷺ: «فقولوا وعليكم»[1])[2].

وقال ابن حجر: قالت: طائفة يجوز ابتداؤهم بالسلام، فأخرج الطبري من طريق ابن عيينه قال: يجوز ابتداء الكافر بالسلام لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[3]. وقول إبراهيم لأبيه ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾[4].

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عون ابن عبدالله بن محمد بن كعب أنه سأل عمر بن عبدالعزيز عن ابتداء أهل الذمة بالسلام، فقال: نرد عليهم ولا نبدؤهم. قال عون فقلت له: فكيف تقول أنت ؟ قال: ما أرى بأساً أن نبدأهم. قلت لم؟ قال لقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾[5].

وقال البيهقي بعد أن ساق حديث أبي أمامة، أنه كان يسلم على كل من لقيه، فسئل عن ذلك فقال: (إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا)[6].. هذا رأى أبي أمامة، وحديث أبي هريرة في النهى عن ابتدائهم أولى، وأجاب عياض عن الآية وكذا عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه بأن القصد بذلك المتاركة والمباعدة وليس القصد فيهما التحية. وقد صرح بعض السلف بأن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٦.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) سورة مريم، آية: ٤٧.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٨٩.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، ٧٥١٨، وقال الهيثمي في المجمع ٣٣/٨، رواه الطبراني عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي ضعفه النسائي، وقال غيره مقارب الحديث.

(٧) سورة الزخرف، آية: ٨٩.

نسخت بآية القتال وقال الطبري: لا مخالفة بين حديث أسامة في سلام النبي ﷺ على الكفار حيث كانوا مع المسلمين - ويقصد بذلك قول أسامة رضي الله عنه "إن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج -وذلك قبل وقعة بدر- حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبدالله بن رواحة. فلما غَشَيَت المجلسَ عَجَاجَةُ الدابة، خَمَّرَ عبدالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن ... إلخ"[(١)].

وبين حديث أبي هريرة في النهى عن السلام على الكفار، لأن حديث أبي هريرة عام، وحديث أسامة خاص، فيختص من حديث أبي هريرة ما إذا كان الابتداء لغير سبب ولا حاجة من حق صحبة أو مجاورة أو مكافأة أو نحو ذلك، والمراد منع ابتدائهم بالسلام المشروع، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه، كأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فهو جائز كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره "سلام على من اتبع الهدى"[(٢)].

وعلى ذلك فيسلم على غير المسلم عند الحاجة، كما لو كان فيه تأليف له على الإسلام، قال ابن القيم: "فإن كان في كنيته، وتمكينه من اللباس وترك (الغيار)[(٣)] والسلام عليه أيضاً، ونحو ذلك، تأليف له ورجاء إسلامه وإسلام غيره، كان فعله أولى كما يعطيه من مال الله لتألفه على الإسلام، فتألفه بذلك أولى ...، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأصحابه في تأليفهم الناس على الإسلام بكل طريق تبين له حقيقة الأمر، وعلم أن كثيراً من هذه الأحكام التي ذكرناها من الغيار وغيره، تختلف باختلاف

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٤، ومسلم ١٧٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١١.

(٣) وهو علامة أهل الذمة، وهو كالزنار للمجوس، والزنار بضم الزاي وتشديد النون، ج زنانير؛ حزام خاص يشده النصراني على وسطه. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٠٩ - ٣٠٤.

الزمان والمكان، والعجز والقدرة، والمصلحة والمفسدة، ولهذا لم يغيرهم النبي ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه، وغيرهم عمر رضي الله عنه والنبي ﷺ قال: لأسقف نجران: أسلم يا أبا الحارث، تأليفاً له واستدعاء لإسلامه، لا تعظيماً له وتوقيراً"[١].

فالأمر يدور مع المصلحة الراجحة، فتحيتهم لا تحرم عند الحاجة والمصلحة...، ولابد مع هذا أن يكون الترغيب في الإسلام، والدعوة إلى الدخول فيه، هو الباعث على تحيتهم[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إظهار عزة الإسلام:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "فإذا ألقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"، قال القاضي: (والمراد بذلك -والله أعلم- ألا يُظْهر برهم بالتنحي لهم عن منهج الطريق وسبيله ويؤثرهم به، وينضم هو إلى ضيقه وجوانبه، بل يسلكه المسلم حتى يضطر هو إلى حواشي الطريق وضيقه، ولم يرد عليه السلام - والله أعلم- إذا كان الطريق واسعاً لحملهم، أن يضيق عليهم ذلك فضلاً ويمنعهم منه حتى يضطروا إلى غيره)[٣].

قال النووي: "أي: لا يترك للذمي صدر الطريق، بل يضطر إلى أضيقه إذا كان المسلمون يطرقون، فإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج، قالوا: وليكن التضييق بحيث لا يقع في وهده ولا يصدمه جدار"[٤]. وقال ابن حجر: معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراماً، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى في المعنى، وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حافته حتى يضيق عليهم، لأن ذلك أذى لهم، وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب"[٥]. وقد قال تعالى:

---

(١) أحكام أهل الذمة، ابن القيم الجوزية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ١٨٨/٢.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلامي، عبدالله اللحيدان، ١٦٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٣/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٨.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[١].

قال ابن كثير: "هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززاً عل خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[٢]، وفي صفة النبي ﷺ أنه "الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه"[٣]. فلا ينبغي للمسلم أن يعز الكافر، بل عليه أن يكون عزيزًا هو عليه، مظهرًا لعزة الإسلام، ومن يدين به، مشعرًا للكافر بذله وهوانه لديه، وأن عزته بالله ودين الله، وأن إسلامه سبب قوته وعزته.

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٣٦.

الحديث رقم (٨٦٨)

٨٦٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على جملة واحدة صدرت في ثوب الشرط الذي يربط مقدمة بنتيجة، وهي تسليم أهل الكتاب، وقول المسلم، وعليكم من باب الحذر من كيدهم قولاً ينبهنا إلى الحذر من فعلهم من باب أولى، وتقديم الجار، والمجرور (عليكم) يفيد الاختصاص أي إذا اختصوكم بالسلام، و إضافة الأهل للكتاب إضافة اختصاص تشمل اليهود، والنصارى، وقوله: (وعليكم) مبني على الحذف تقديره، وعليكم مثل الذي قلتم، اتقاءً لشرهم، وفيه تنبيه بليغ ضمناً بضرورة التنبه من خداعهم، وكيدهم، فإذا كان الرسول ﷺ حذرنا من مكرهم في القول فيجب علينا أن نحتاط منهم قولاً، وفعلاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يقال في الرد على تسليم أهل الكتاب.

رابعاً: من آداب الدعاة والمدعوين: تأليف قلوب غير المسلمين برد السلام عليهم على النحو المبين.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٨، ومسلم ٢١٦٣/٦ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٠.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

الشرط من الأساليب الدعوية المهمة التي يكون بها لفت انتباه المدعوين، واستحضار أذهانهم لمعرفة جواب الشرط، وهذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لكيفية رد السلام على أهل الكتاب، وذلك في قوله ﷺ: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم"، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط، وذلك في قوله ﷺ "إذا" وعلى فعل الشرط في قوله "سلم" وعلى جواب الشرط في قوله "فقولوا وعليكم".

ثانياً- من أصناف المدعوين: أهل الكتاب:

(لقد شاء الله تعالى أن تكون رسالة نبينا محمد ﷺ للناس كافة، وتأكد ذلك بالكتاب والسنة والإجماع وغير ذلك من الأدلة، والتي من جملتها ما ورد في القرآن الكريم من خطابه لغير المسلمين الذين تعددت أصنافهم)[١].

وكان من أصنافهم، أهل الكتاب، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب"، وقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب في آيات كثيرة باعتبارهم من أصناف المدعوين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤].

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ص٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(وقد بين لنا القرآن الكريم مبادئ التعامل وأساليب القول والدعوة إلى الله تعالى، وقد جاء المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى مُلخصاً ومُركزاً في قوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، وقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[2].

وجاء الخطاب القرآني لغير المسلمين جامعاً بين المنقول والمعقول والمحسوس، المنقول من خلال ما أخبر به القرآن الكريم عن أهل الكتاب، وموقفهم من الإسلام ونبي الإسلام، ومواقفهم السابقة مع أنبيائهم، وبيّن لهم كثيراً مما أخفوا وسجل عليهم المواقف، فأقام عليهم الحجة والبرهان، مما قطع بأحقية الإسلام بالإيمان به، ورسوله ﷺ بالاتباع، إلا أن الحسد والكبر كان من بواعث إنكارهم ونكوصهم.

لقد جاء خطاب القرآن جامعاً أيضاً بين المعقول والمحسوس، من خلال تلك الأدلة والبراهين العقلية، التي تستقيم في منطق العقلاء ذوي الفطرة النقية السليمة، وما يستشعرونه بحواسهم من آيات كونية وإنسانية، يستشعرون عظمتها في حياتهم، فلم يكن خطاب القرآن لغير المسلمين خطاباً تجريدياً فلسفياً عقيماً، بل كان مبنياً على حقائق في هذا الكون، وهذه الأنفس، لقد كان خطاب القرآن هادئاً هادفاً، موضوعياً جامعاً لا مفرقاً، مؤنساً لا موحشاً، جامعاً بين الترغيب والترهيب، فيه مقومات العالمية، يحترم الآخر أياً كانت عقيدته لا ينفره، يقربه ولا يبعده ومن سمات ذلك "يا أيها الناس" "يا بني آدم" "ياعبادي" "يا أهل الكتاب" إنه خطاب يريد أن يستل العداوات، ويختصر المسافات، ويصل إلى كلمة سواء، يبشر بالمغفرة إذا انتهى عما يخالف أصول الإسلام وفروعه.

إن خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، هو المعيار الذي يجب أن نعاير على أساسه الخطاب الديني المعاصر، وليس على ما يملي البعض؟!!

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨ .

فما أحوج خطابنا المعاصر إلى استلهام المعالم والأسس من الخطاب القرآني، وذلك استشعره من خلال معايشتي لما يدور على الساحة اليوم من تضارب وتنافر وإفراط وتفريط، وتشديد وتشدد وغير ذلك من الأطياف المتعددة التي لا تنم عن منهجية علمية صحيحة مستمدة من القرآن الكريم، وإنما تعطى فيها مساحة للهوى.

وإن لغة الحماسة والعاطفة التي هي من لوازم خطابنا الموجه للمسلمين، لا تتناسب مطلقاً مع غير المسلمين، لأنه مازال كثير من الدعاة لديه إصرار أنه طالما يدعو إلى الله ويؤيد كلامه بالأدلة من الكتاب والسنة والآثار، فلابد للآخر - غير المسلم - أن يقتنع ويسلم، لأنه ليس له حجة في الإنكار أو عدم الانصياع لما يسمع أو يقرأ.

ونسي هؤلاء الدعاة أن هناك حلقات مفتقدة بينهم وبين هؤلاء من غير المسلمين، من حيث البيئة والثقافة واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والعقائد، وغير ذلك مما ينبغي الوقوف عليه قبل أن يوجه إليهم الخطاب، وإذا كان هؤلاء يعطون للعقل مساحة كبيرة في التفكير، فإن الإسلام قد سبقهم إلى ذلك، وأشاد بالعقل وجعله مناطاً للتكليف، وقد استخدم الخطاب القرآني عدداً من المناهج العقلية والحسية والعاطفية، وراعى في استعمالاته لتلك المناهج مناسبتها للمخاطبين)[1].

مما يستوجب على الداعية أن يراعي ذلك في دعوته لأهل الكتاب.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يقال في الرد على تسليم أهل الكتاب:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ " ... فقولوا: وعليكم".

(ورد السلام على غير المسلمين واجب، لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[2]، [3].

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ٤-٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٦.

وقد فصل ابن القيم القول في هذه المسألة فقال: (إذا تحقق أنه قال السام عليكم أو شك فيما قال، يرد بـ "عليكم"، أما إذا تحقق أن الذي قال سلام عليكم لاشك فيه فهل له أن يقول وعليك السلام أو يقتصر على قوله وعليك؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة، أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان، فقد قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[(١)]. فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ أمر بالاقتصار على قول الراد وعليكم، بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وإذا زال هذا السبب، وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة الله، فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه)[(٢)].

رابعاً- من آداب الدعاة والمدعوين: تأليف قلوب غير المسلمين برد السلام عليهم على النحو المبين:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في رد السلام على غير المسلمين، (ولقد كان من الحكمة في بقاء غير المسلمين في ديار المسلمين، ترغيبهم في الإسلام بما يرونه من تعامل أهله وسلوكهم، والعامة لهم نصيب كبير في هذا المجال، كما يكون عليهم تبعات الالتزام بمبادئ الإسلام"[(٣)].

"وقد كان الرفق واللين سمة بارزة في دعوة النبي ﷺ والرفق في موضعه قوة للداعية ولدعوته، وبه انجذب كثير من الناس إلى دين الله، وبالغلظة والعنف -في غير موضعها- انجفل كثير من الناس عن دين الله، وإذا كان المشركون يقفون من الدعوة مواقف متعددة، ينوعون فيها هجومهم على الدعوة، فإن النبي ﷺ لم يترك موقفاً من تلك المواقف إلا ويغرس في نفوس أصحابه ما يناسب ذلك الموقف، والرفق له نصيبه من

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) أحكام أهل الذمة ١٥٧.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله إبراهيم اللحيدان، ط/١، الوطنية، الرياض: ١٤٢٠هـ، ص٦٩.

ذلك، "روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنَّ اليهودَ أتوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السامُ عليك. قال: وعليكم. فقالت عائشة: السامُ عليكم ولعنَكمُ اللّهُ وغَضِبَ عليكم. فقال رسولَ اللّه ﷺ: مَهلاً يا عائشة، عليكِ بالرفق، وإياكِ والعُنف والفُحش))[1]، لقد أثمرت سماحة النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين مما حمل المنصفين منهم على قبول الإسلام.

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٠، ومسلم ٣١٦٥.

الحديث رقم (٨٦٩)

٨٦٩- وعن أُسَامَةَ رضي الله عنه : أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ -عَبَدَةِ الأَوْثَانِ- واليَهُودِ... فَسَلَّمَ عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٠).

غريب الألفاظ:

أخلاط: مجتمعون مختلطون[٢].

الأوثان: الأصنام، ومفردها: وَثَن[٣].

الشرح الأدبي

أورد أسامة رضي الله عنه المعنى في ثوب الخبر المؤكد ب (إن) مع تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، لدفع ما يمكن أن يطرأ على الخبر من شك في خبر تسليم الرسول ﷺ على المختلطين بالمشركين، واليهود لوجود النهي عن بدء غير المسلمين بالسلام، وغرض خبر أسامة رضي الله عنه إفادة لازم الخبر، وهو نقل فعل النبي ﷺ الذي يشير إلى جواز ذلك، وقوله مجلس، هو مكان جلوس القوم، والتعبير بأخلاط يشير إلى عدم التميز في المجلس حتى يخص المسلمين، ويترك غيرهم، وقوله (فسلم عليهم النبي ﷺ) تقديم الجار، والمجرور يفيد الاختصاص أي: سلم على من في المجلس كلهم دون مجلس غيرهم، وإعادة لفظ النبي مع إمكان التعبير بضميره فيه مزيد تقرير، وتوكيد على صدور الفعل منه ﷺ كما أكده استخدام الفعل في صورة الماضي المتحقق الوقوع.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٦٣، ومسلم واللفظ له ١١٦/١٧٩٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ط).

(٣) المرجع السابق في (و ث ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: المسلمين وغير المسلمين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تسليم النبي ﷺ على المجلس الذي ضم المسلمين والمشركين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من أصناف المدعوين: المسلمين وغير المسلمين:

من الملاحظ في نص الحديث، أن النبي ﷺ ألقى السلام على أهل المجلس جميعاً بمن فيهم المسلمون وغيرهم من المشركين عبدة الأوثان واليهود، ولم يخص ﷺ المسلمين بالسلام دون غيرهم، فكان في هذا دعوة لأهل المجلس جميعاً، فيزداد المسلم إسلاماً والمؤمن إيماناً، ويكون ذلك دافعاً لغير المسلم أن يفكر في الإسلام ومحاسنه، في أنه دين شعاره السلام والعمل على إفشائه، مما يسلم به المرء ويأمن فيه على نفسه وأهله وماله، وفي ذلك دعوة لغير المسلمين ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

وقد كان من أهم دعائم نجاح دعوة المسلمين وغيرهم إلى الإسلام هي: (أن يمعن الداعية بدعوته إلى صميم حياة الناس، إذ ليس كل من تكلم داعية، وليس كل من غدا وراح، وذهب وجاء، ناجحاً في دعوته؛ إن النجاح كل النجاح أن تدخل دعوتك في صميم حياة الناس، وان تسكبها في قلوبهم وأعصابهم، أما أن تبقى على هامش الحياة فلا؛ إن النجاح في الدعوة أن تجعلها مسألة حيوية حارة، يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم، مع أصدقائهم وأهليهم... تأمل هذا جيداً، فليس النجاح حفلة تقام أو خطبة تقال، أو رحلة تشق فيها كثيراً من القرى والأمصار... النجاح أن تكون الدعوة هي مسألة الساعة في حياة الناس: يلقي الرجل أخاه فلا يحدثه إلا عنها، ويزور الصديق

---

(١) سورة ق، آية: ٣٧.

صديقه، فتكون أقرب المسائل إلى حديثهما، ويسمر السامرون فيدور جدلهم حولها كما هو شأن الناس فيما يشغلهم من المسائل العامة كل وقت.

هذا معنى اشتغال العقول والقلوب بالدعوة، وليس ضرورياً أن يتناولها الجميع في استحسان وإعجاب وتأييد، وإنما المهم أن يتحدثوا عنها في اهتمام وكفى؛ فإذا رأيت منهم الخصوم والموالين، هؤلاء يعارضون ويحتدون في معارضتهم، والآخرون يؤيدون ويتحمسون في تأييدهم، فذلك من صميم النجاح.

وقد آمنت القلة من أهل مكة برسول الله ﷺ، وكفرت الكثرة العظمى، ولكن الدعوة كانت هي المسألة الحاضرة في المجتمع المكي كله، تشغل أذهان المؤمنين وغير المؤمنين على السواء؛ وكان الداعية الأكبر صلوات الله عليه لا يكف عن الدعوة ساعة من نهار، وكان المتحدثون لا يكفون عن الخوض في حديثها ساخطين أو راضين؛ وكان الأذى لا يفتأ ينصب على المؤمنين، أذى اللسان، واليد، والسوط، والنار، والحراب؛ وكان الإغراء يبذل بسخاء لمن يرتد منهم عن دينه: إغراء بالمال، أو السلطان أو زواج الجميلات الشريفات أو غير ذلك، وكان الآباء والأمهات يستعطفون أبناءهم، ويتوسلون إليهم بكل وسيلة ليرجعوا عن شأنهم الجديد، وكان الجدال والشقاق والخصام يدخل البيوت، فيفرق بين القلوب ويباعد بين الأحبة.

كان ذلك كله وكان هو النجاح بعينه؛ لقد جد الداعية صلوات الله عليه، وعمل ونصب، حتى أدخل دعوته في صميم الحياة، ولم يبقها خافتة على الهامش الخامل، وَحَسْبُ دعوة الحق نجاحاً أن تنفذ إلى "لب حياة الناس" حياتهم العاطفية والعقلية، نفوذ عداء أو نفوذ ولاء... ولا نقول هذا، لتقف من الآن للناس موقف العداء، لتحملهم على معارضتك فيكون هذا آية نجاحك، فلابد من الحكمة والموعظة الحسنة... لا تجعل أحداً يخاصمك لعيب في أسلوبك الخاص، وطريقة معاملتك، بل دع الذين يخاصمونك، يخاصمونك في جوهر الدعوة نفسها، فإنهم حينئذ لا يخاصمون إلا الحق، والحق لا يبغي أكثر من الدخول في قلوب أوليائه وأعدائه، فإن هؤلاء الأعداء لا يعادونه إلا بعد أن يعرفوه، ولا يرفضونه إلا لأنه يحرمهم جاهاً أو متعة استباحوها، أو لنحو ذلك من

الأهواء والاعتبارات الطارئة على الناس ... لا يرفضونه إلا لداع وقتي، فإذا تغيرت الظروف وزالت هذه الدواعي الوقتية، لم يبق في القلب إلا شيء واحد، هو الحق الساكن في منزلة العداء، فيتحول حينئذ في غير كلفة إلى منزلة الولاء)[1].

فعلى الداعية في دعوته للمسلمين وغيرهم، أن يلتمس أسباب نجاح دعوته على النحو السالف ذكره، لما في ذلك من عظيم الفائدة وكمال الأجر.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسليم النبي ﷺ على المجلس الذي ضم المسلمين والمشركين:

إن الإسلام لا يعرف العنصرية بجميع أشكالها، ولا يعرف التحزب والتشيع، فهو دين الرحمة، وتشريع الحكيم الخبير، الذي يوائم واقع الأمم والشعوب حتى قيام الساعة توافقاً مع عالمية الإسلام، لذلك فالشرع يحتم على المسلمين التعامل بسلام مع جميع الأديان، طالما أن هؤلاء الناس لم يقاتلونا في ديننا، ولم يخرجونا من أرضنا ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2].

ولذلك فقد حرص الرسول ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام للناس كافة، وهذا ما حققه الرسول ﷺ وظهر جلياً في نص الحديث من قول أسامة رضي الله عنه، إن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين -عبدة الأوثان واليهود- فسلم عليهم النبي ﷺ.

(وتسليم النبي ﷺ عليهم ووقوفه ثم نزوله كما جاء في أصل الحديث. ودعاؤهم إلى الله -سبحانه- وتلاوته عليهم القرآن كل ذلك استئلافاً لهم، وطمعاً في إسلامهم، وتبليغاً لما أمره الله تعالى به من ذلك)[3].

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٢٥٤-٢٥٦.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ١٧٢/٦.

وفي ذلك عظيم الفائدة في (تحقيق السلام الاجتماعي، الذي هو وبحق القاعدة الأساسية لبناء الفكر الإسلامي، في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهو المناخ العام الذي يمكن أن تمارس في ظله السلطات السياسية وجودها أساساً، فبدون السلام الاجتماعي سيكون هناك جماعات إرهابية، وقلاقل سياسية، وتفرقة عنصرية، وتيارات معادية ... مما لا يسمح بالاستقرار السياسي والاقتصادي، ولا بقيام كيان الدولة ككيان له أهميته، أو له وزنه بين الدول الأخرى)[١].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الدعوة إلى الله تعالى، هي أكرم الأعمال، وأشرف الغايات وأنبل المقاصد، وقد بين الحق تعالى ذلك في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، وقد أوجب الله تعالى تبليغها، وأرسل هذه الأمة المحمدية لبيانها والإخبار عنها، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣]، وأسلوب الإخبار من أهم الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته، وقد أفاد الإخبار في الحديث، استحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وغيرهم، لما في ذلك من استئلافهم وطمعاً في إسلامهم، (فضلاً عن تحقيق السلام الاجتماعي، الذي يساعد على قدرة الأمة الإسلامية على الانفتاح على العالمية بخطى رشيدة، وعقول مستنيرة بضوابط إيمانية)[٤].

---

(١) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ٤/١-٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) انظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ٥٠٦/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: كان اليهود ولا يزالون ينظرون إلى العرب نظرة ازدراء، واستحلوامنهم محارمهم، وذكر القرآن قولهم: "ليس علينا في الأميين سبيل" فلما جاء الإسلام وهاجر الرسول ﷺ، وأمر بإظهار العزة، نهى أصحابه عن بدء اليهود والنصارى بالسلام، وإذا سُلّم عليهم كان الرد عليهم لأن أهل الكتاب كانوا يلحنون في الكلام، ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على العزة وقوة الشخصية:

إن مما ينبغي للمعلم غرسه في نفوس المتربين العزة وعدم الخضوع إلا لله تعالى، لأن النبي ﷺ أراد أن يربي المسلمين على الكرامة والعزة، واستشعار القوة التي لا تتأتى من فراغ، ولكن من خلال الإيمان القوي الراسخ الذي يجمع بين الدنيا والآخرة، ويجعل المسلم يشعر بالشموخ والعزة لإيمانه بالله، ولأخذه بأسباب التقدم من السعي في الحياة والتماس أسباب التفوق والرفعة، وليس الانزواء في دروب الحياة، والخنوع والتواكل والرضى بالعيش الدون قانعاً بالقليل، يعيش على هامش الحياة كحال كثير من المسلمين اليوم، مما جعلهم مغيبين مهمشين في هذه الحياة.

إن من مظاهر دعم التربية الإسلامية لعزة المسلم ما جاء في أحاديث الباب من عدم مبادأة اليهود والنصارى بالسلام، كما في قوله ﷺ: «لاَ تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ. فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»، إذ أن للإسلام عزته وعلو شأنه وعلى الغير احترامها فإن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ومنه استمد المسلمون واستحقوا العزة وعلو المقام.

فينبغي للمربي أن يحرص على تأكيد هذه المعاني عند المتربين، فما ذَلّ من دخل الإسلام وخضع لرب العباد وما عَزَّ من تكبر وتجبر وأعرض عن العلي الكبير، فإن العزة للمؤمنين وهي عزة ثابتة راسخة لأنها مستمدة من عزة الله وعزة الرسول والإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

إن بث مثل هذه المبادئ وغرسها في نفوس المتربين تورثهم الشجاعة والثقة بالنفس وعلو الهمة والتطلع إلى كل ما هو أرقى وأسمى.

ثانياً- تعلم الأحكام الفقهية:

تعلم بعض الأحكام الفقهية يعد من الأمور التي تعني بها التربية الإسلامية نظراً للآثار المحمودة والإيجابية لهذا النوع من التربية، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما جاء في مجال النهي عن مُبادأة اليهود والنصارى بالسلام في قوله ﷺ: « لاَ تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ ...» وجواز التسليم على أهل مجلس فيه أخلاط من المسلمين وغيرهم كما في حديث أسامة أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فسلم عليهم النبي ﷺ.

"ولتعلم الفقه وتدريسه أهداف عدة لعل من أهمها ما يلي:

أ-تزويد الطلاب بالمعلومات الصحيحة عن العبادات والمعاملات والأخلاق التي هي موضوعات الفقه، أي إكسابهم المعرفة الصحيحة عن هذه الموضوعات.

ب-تصحيح ما لا يكون صحيحاً من معرفة الطلاب حول عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم.

ج-العمل بناءً على تلك المعرفة الصحيحة، وتطبيقها في مواقف الحياة المناسبة، فليست المعرفة في حد ذاتها هدفاً يتوقف عنده الطالب وإنما الهدف تحول هذه المعرفة إلى عمل وسلوك.

د-أن يحقق الطالب الأهداف الثلاثة السابقة في غيره، أي أن يعمل هذا الطالب على تزويد غيره ممن يتصل بهم أو يتصلون به بالمعرفة الدينية الصحيحة، وعلى تصحيح ما قد يكون خاطئاً لديهم من ذلك، وعلى أن يساعدهم على أن يعملوا بمقتضى هذه المعرفة.

هـ-دراسة الطلاب للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوعات الدراسة الفقهية وفهمها، وهنا يتحقق الربط المنشود بين فرع الفقه والفروع الأخرى من فروع التربية الإسلامية كالعقيدة والتفسير والحديث.

و-أن يعاون المعلم طلابه في أن يدركوا أهداف التشريع الإسلامي والمصالح الفردية والاجتماعية الدنيوية والدينية التي يسعى هذا التشريع إلى تحقيقها وأن ينتقلوا من ذلك إلى إدراك أفضلية التشريع الإسلامي على غيره من التشريعات الوضعية[1].

ثالثاً- التربية على أخذ الحيطة والحذر:

إن من المضامين التربوية والتي جاءت في طيات أحاديث الباب تعويد المتربين على الحيطة وأخذ الحذر، وذلك في الأمور عامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[2]، ومع المخالفين خاصة كما في حديث أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ». " ففي ذلك إرشاد إلى رد السلام على أهل الكتاب، وذلك بالقول «وعليكم» لما في تحيتهم من أذى للمسلمين فيرد عليهم، فإن أهل الكتاب منهم ماكرون يعبثون بالسلام كما فعل اليهود مع الرسول ﷺ ولذلك اكتفى الرسول ﷺ في الرد عليهم بقوله «وعليكم» ووجه المسلمين إلى ذلك"[3].

إن من أهم ما ينبغي غرسه في النفوس وتربى عليه أخذ الحيطة فإن "من سعادة العبد أخذ الحيطة واستعمال الأسباب"[4].

رابعاً- الإيجابية، وعدم الانغلاق:

من أهداف التربية الإسلامية تكوين الشخصية المستقيمة الإيجابية المتوازنة التي تؤثر وتتأثر بما ينفعها ويزيد من نضجها وقربها من الكمال.

---

(١) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. إبراهيم محمد الشافعي، ص٢٥٧-٢٦١، وآداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٨. بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١٤٢/٢.

(٤) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ص٢٦٩.

ومما يعضد ذلك ما جاء في حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فسلم عليهم النبي ﷺ: فتراءى لنا في الحديث، اجتماع المسلمين بغيرهم وسلام النبي ﷺ ولم يتراءى لنا أن النبي عزل المسلمين عن غيرهم ونهاهم عن مخالطة غيرهم أو لعن أو دعا إلى الانغلاق والانعزال والتقوقع.

إنه من المعلوم أن الإسلام نظم علاقة المسلمين بغيرهم وأن غير المسلمين ما داموا مسالمين للمسلمين لا يناصبوهم العداء ولا يعينون أحداً عليهم فلا مانع من معاملتهم والاستفادة منهم والتعايش السلمي معهم، لأن الرسول ﷺ أراد أن يتعايش مع اليهود في المدينة عند قدومه إليها وكتب ميثاقاً بذلك إلا أن اليهود كعادتهم نقضوا العهود والمواثيق، فكان ما كان من إجلائهم عن المدينة، وإن المسلمين تعايشوا مع النصارى على مر التاريخ، وكان منهم الوزراء والموظفون في الدواوين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

"إن من خصائص التربية الإسلامية الإيجابية، فلا ينطوي المتربي على نفسه ويعتزل المجتمع بل يتفاعل مع أفراده ويؤثر فيه ويصلح ويدعو للخير، وتأتي هذه الإيجابية للتربية الإسلامية من إيجابية الإسلام نفسه، فهو دين إيجابي مؤثر ليس من طبيعته الانكماش والسلبية، وهو يكره العزلة وحجر النفس عن دنيا البشر وعن واقع الحياة في حركتها وفعاليتها ومشكلاتها، بل يدعو للتفاعل مع المجتمع والإصلاح فيه"[2].



(١) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٢) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص١٦١، ١٦٢.

١٣٩- باب استحباب السلام إِذَا قام من المجلس وفارق جلساءه أوْ جليسه

الحديث رقم (٨٧٠)

٨٧٠- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا انْتَهى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ينقل صورة من صور نشر السلام الذي يوحي بعموم الأمن، وشيوع المحبة، والحديث قائم على أسلوب الشرط الذي يعطي الخبر عموماً مشروطاً بتحقق فعل الشرط كما دل على تعميم الخبر باتصال لفظ (أحد) بكاف الخطاب، وميم الجمع، وقوله: (انتهى..) أي: بلغ المجلس، وهو الفعل المستلزم للجواب، وهو التسليم، والجملة الثانية تضمنت شرطاً آخر يربط إرادة القيام بالتسليم، والتعبير بالإرادة يشير إلى أن يبادر بالتسليم قبل القيام، وجملة (فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ) تعليلية تتضمن ترغيباً في الفعل، ونفي الأحقية بتسليط النفي على أفعل التفضيل يشير إلى لزوم التسليم في نهاية المجلس كلزومه في أوله، والطباق بين الأولى، والآخرة يؤكد هذا المعنى، وما أجمل أن يبدأ اللقاء بالسلام، ويختمه بالسلام، فيجعله الله سلاماً عليهم جميعاً في الدنيا، والآخرة.

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له ٥٢٠٨، والترمذي ٢٧٠٦. وقال المؤلف في الأذكار ص ٢٩٠: سنده جيد. وقال الحافظ ابن حجر في هداية الرواة ١٣٤/٢: سنده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٣.

فقه الحديث

السلام عند مفارقة المجلس: إذا كان جالساً مع قوم ثم قام ليفارقهم فالسنة أن يسلم عليهم[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المجلس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية إفشاء السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام عند الجلوس في المجلس وعند القيام منه.

أولاً- من ميادين الدعوة: المجلس:

قد ورد ذكر المجلس في الحديث من قوله ﷺ "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس"، "والمجلس من الميادين الدعوية التي يكمن فيها الحوار والإقناع وتبادل الأفكار ودحض الحجج والبراهين، فضلاً عن الاتصال المباشر مع المدعوين، فهو من الميادين الدعوية المهمة في الدعوة إلى الله"[2]. فحري بالدعاة أن يوجهوا الناس إلى استثمار مجالسهم في الدعوة إلى الله تعالى، وأن يحرصوا على الأسلوب الحسن، والرفق مع مراعاة ظروف الناس وأحوالهم.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية إفشاء السلام:

إن تعزيز علاقة المسلم بأخيه تعني تدعيم وتعزيز أواصر المجتمع الإسلامي، ومن أجل ذلك حرص النبي ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام وإفشائه في مجالسهم، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم... إلخ".

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٢٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ٩.

(والسلام مبدأ إسلامي، بل هو من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوسنا فأصبحت جزءً من كياننا، وعقيدة من عقائدنا، وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وأنهم أهل السلم، ومحبو السلام)[١].

لقد عظم النبي ﷺ شأن السلام وإفشائه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٢].

وقال عمار رضي الله عنه: "ثلاثة من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الاقتار"[٣].

قال ابن القيم: (وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد)[٤].

(وقد ثبت في هدى النبي ﷺ في السلام وهو القدوة والأسوة، أنه كان يبدأ بالسلام من لقيه. وإذا سلم عليه أحد، رد عليه مثل تحيته أو أفضل منها على الفور من غير تأخر إلا لعذر مثل حالة الصلاة وحالة قضاء الحاجة، وكان يسمع المسلم رده عليه)[٥].

وكان من هديه ﷺ أن يسلم ثلاثاً كما في "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً)[٦].

---

(١) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ٢٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، ٢٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٠/٢.

(٥) المرجع السابق ٤١٩/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٩٤، ٩٥.

قال ابن القيم: (ولعل هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد، أو هديه في إسماع السلام الثاني والثالث، إن ظن أن الأول لم يحصل به الإسماع)[(١)].

وكان هديه ﷺ في ابتداء السلام أن يقول: "السلام عليكم ورحمة الله"، وكان يكره أن يقول المبتدئ: عليك السلام، (قال أبو جُري الهجيمي: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يارسول الله، فقال: "لا تقل عليك السلام"، فإن عليك السلام تحية الموتى)[(٢)].

وكان ﷺ إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن، أو الأيسر، فيقول: "السلام عليكم، السلام عليكم"[(٣)].

وكان ﷺ يسلم بنفسه على من يواجهه، ويُحَمِّلُ السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه، (فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يارسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: "ائْتِ فلاناً، فإنه قد كان تجهز، فمرض، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام، يقول أعطني الذي تجهزت به، قال: يافلانة أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبس عنه شيئً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فَيُبَارَك لكِ فيه)[(٤)].

(وكان ﷺ يتحملّ السلام لمن يُبَلِّغُه إليه، كما تحمل السلام من الله عز وجل على صِدِّيقة النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما قال له جبريل: "هذه خديجة قد أتتك بطعام، فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة"[(٥)])[(٦)].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٨/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤١).

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٩٧.

(٦) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٦/٢-٤٢٠.

وفي ذلك بيان عظيم على الهدي النبي ﷺ في إفشاء السلام في كل أحواله، مما يدل على أهمية بذل وإفشاء السلام، وضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام عند الجلوس في المجلس وعند القيام منه:

شرع الإسلام التحية عند اللقاء، وعند المفارقة كمظهر من مظاهر المدنية الصحيحة؛ إذ أن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب، وتقوي الصلات، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان[1].

وهذا ما نص عليه الحديث وحث على القيام به، حيث قال رسول الله ﷺ: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة" وفي بيان ذلك قال الطيبي: "كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى"[2]، وقال ابن عثيمين: "وهذا من كمال الشريعة أنها جعلت المبتدي والمنتهي على حد سواء...،

ولهذا إذا دخل الإنسان المسجد -النبوي- سلم على النبي ﷺ وإذا خرج سلم عليه أيضاً، وإذا دخل مكة لعمرة أو حج، بدأ بالطواف، وإذا فارق مكة وخرج ختم بالطواف، لأن الطواف تحية مكة لمن دخل بحج أو عمرة، وكذلك وداع مكة لمن أتى بحج أو عمرة ثم سافر، فالشريعة - كما نعلم جميعاً - من لدن حكيم خبير، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]، فتجدها كلها متناسقة متصاحبة، ليس فيها تناقض ولا تفريط، حتى إن الرسول ﷺ نهى أن يمشي الرجل بنعل واحد - ولو لإصلاح الأخرى- لماذا لأنك إذا خصصت إحدى قدميك بالنعل؛

---

(١) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٥٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٢/٩.

(٣) سورة هود، آية: ١.

صار ذلك جوراً وعدم عدل، فهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل في كل شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]،[2].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٥٦/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حرص الإسلام على توثيق عرى المودة والمحبة بين المسلمين من خلال التزامهم بعدد من الآداب الإسلامية، والتي من جملتها إفشاء السلام، ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على رعاية آداب المجالس:

جاء في حديث الباب التوجيه إلى أدب من آداب المجالس، وهو إلقاء السلام عند حضورها، وكذلك القيام منها، كما جاء في صريح الحديث: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فلَيْسَتِ الأولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ». فللمجالس آداب لابد من رعايتها والاعتناء بها، وورود هذه الآداب في القرآن والسنة دليل على أهميتها، كما أنه لا ينبغي الاقتصار في تعليم آداب المجلس ونحوها على مجرد التلقين بل لابد أن يتعدى ذلك إلى الممارسة العملية، فمهما قام المربي بتوجيه مَنْ يربيه وتعليمه آداب المجالس، فإنه بحاجة إلى المشاركة الإيجابية، وتعلم آداب الاستماع والاستيعاب والكلام، إن وُجِدَ له مُبررٌ وكان موضوعياً، ومن ثَمَّ فإن الفرد بحاجة إلى أن يُوضع أمام التجربة العملية، فلن يكفي البناء المعرفي المجرد.

لذا كان الصغار والشباب يحضرون مجالس النبي ﷺ بل ويقتربون منه، ولم يُعد ذلك سوء أدب أو مدعاة له.

ومما يُعينُ على التربية على آداب المجالس تدارسها والتعرف عليها والاعتناء بالمجالس التي يجلسها الطالب ولو مع زملائه وأقرانه، فتراعي فيها آداب المجالس ليكون ذلك سلوكاً وسمتاً لهم لا يحتاجون إلى تَكَلُّفِهِ.

وربما أدت الخلطة وزوال الكلفة بينهم إلى الإخلال ببعض هذه الآداب، فلابد حينئذ من تصحيح ذلك، والتأكيد على أن الأدب لا ينبغي أن يتجاوز بحجة ذلك[١].

---

(١) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٦١، ١٦٢.

ثانياً- التربية بالإقناع العقلي:

من الأساليب التربوية والتعليمية الرئيسة التربية بالإقناع العقلي، وقد استخدمه النبي ﷺ في حديث الباب في بيان أهمية السلام عند القيام من المجلس وأنه لا يقل عن السلام عند الدخول، فقال ﷺ: "فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة"، إذ أن التسليمة الأولى عند ابتداء اللقاء إخبار عن سلامتهم من شره، وكل الشرور عند الحضور، وكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره، وكل الشرور عند غيبته عنهم، ولعل سلامتهم منه، وهو معهم أهون من سلامتهم منه وهو بعيد عنهم، فالثانية أَوْلَى من الأولى"[1]، ولعل الإنسان إذا رأى ذلك وعرضه على عقله يتبين له أهمية السلام عند المفارقة كأهميته عند اللقاء.

إن الإقناع هو أسلوب من أساليب التربية الإسلامية بل والتربية بصفة عامة، ويقصد به استخدام المنطق العقلي، وتقديم الأدلة والبراهين على الدعوة وعدم اللجوء إلى المغالطة، وعدم الاعتماد على الهوى أو ما شابه ذلك.

فما أحرى بالآباء والمعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات، وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها، وأن يوجهونهم للتفكير السليم، ومن الملاحظ أن البعض لا يقيمون وزناً لتفكير أبنائهم أو مَنْ يعلمونهم وكأنهم لا عقول لهم أو كأن تفكيرهم دائماً عاجزٌ قاصرٌ ضعيفٌ، فيجب الاهتمام بتنمية عقول الأبناء وتعويدهم على التفكير السليم"[2].

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٩، وبهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم الهلالي ٢/١٤٣.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص١٢٦، ١٢٧.

١٤٠- باب الاستئذان وآدابه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُم الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[النور: ٥٩].

الحديث رقم (٨٧١)

٨٧١- عن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإنْ أُذِنَ لَكَ وَإلاَّ فَارْجِعْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول تقرير بعض الآداب الاجتماعية التي تشير إلى رعاية الإسلام لجميع جوانب الحياة الإنسانية، وهو أدب الاستئذان الذي يحترم خصوصيات الناس، وعدم هتك سترهم، لأنه يوغر الصدور، ويشعل العدواة، والبغضاء بين الناس، والحديث يقرر ضرورة الاستئذان، ويبيِّن كيفيته في إيجاز شديد، ووضوح تام، وقوله (الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ)، فيه إيجاز أي ثلاث مرات وقوله: (فَإنْ أُذِنَ لَكَ وَإلاَّ فَارْجِعْ) أسلوب شرط يعطي الحق لصاحب الدار في الإذن، أو عدمه، وهذه الجملة تضمنت أسلوبي شرط، الأول حذف منه الجواب: فَإنْ أُذِنَ لك فأدخل، والثاني: حذف منه فعل الشرط لدلالة السابق عليه تقديره وَإن لم يؤذن لك فَارْجِعْ) حيث رتب في الأولى الدخول على الإذن، وفي الثانية رتب الرجوع على عدم الإذن، والمتذوق لعبارة الرسول ﷺ في إيجازها، وكثافة معانيها يجد أن بناءها يقوم على تضمين هذه الكلمات القليلة معاني كثيرة تصل إلى كل العقول، وتؤدي المعنى في سلاسة، ويسر.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم واللفظ له ٢١٥٣/٣٤.

فقه الحديث

١-الاستئذان لدخول البيوت:

أ-المكان المراد دخوله: إن من يريد دخول بيت من البيوت، فإن ذلك البيت لا يخلو من أن يكون بيته أو بيت غيره، فإن كان بيته فإنه لا يخلو من أن يكون خالياً لا ساكن فيه غيره. أو تكون فيه زوجته وليس معها غيرها، أو معها بعض محارمه كأخته وبنته وأمه ونحو ذلك.

فإن كان البيت بيته ولا ساكن فيه غيره، فإنه يدخل بغير استئذان أحد، لأن الإذن له، واستئذان الشخص نفسه ضرب من العبث الذي تتنزه عنه الشريعة.

أما إذا كان في بيته زوجته، وليس معها غيرها، فإنه لا يجب عليه الاستئذان للدخول، لأنه يحلّ له أن ينظر إلى سائر جسدها، ولكنه يندب له الإذن بدخوله بنحو التنحنح وطرق النعل ونحو ذلك، لأنها ربما كانت على حالة لا تريد أن يراها زوجها عليها.

وإن كان في بيته أحد محارمه كأمه أو أخته أو نحو ذلك ممن لا يصلح له أن يراه عرياناً من رجل أو امرأة، فلا يحلّ له أن يدخل عليه بغير استئذان عند الحنفية والمالكية، ويكون الاستئذان عندهم في هذه الحالة واجباً لا يجوز تركه.

وأجاز الشافعية للرجل أن يدخل على محارمه الذين يسكنون معه بغير استئذان، ولكن عليه أن يشعرهم بدخوله بنحو تنحنح وطرق نعل ونحو ذلك ليستتر العريان. وإن كان البيت غير بيته وأراد الدخول إليه، فعليه الاستئذان، ولا يحل له الدخول قبل الإذن بالاتفاق، سواء أكان باب البيت مفتوحًا أو مغلقًا، وسواء أكان فيه ساكن أم لم يكن.

ب-الشخص المستأذن: إن من يريد الدخول إما أن يكون صغيراً غير مميز أو صغيراً أو كبيراً، والمراد بالتمييز هنا: القدرة على وصف العورات.

أما الكبير فإنه لا يحلّ له الدخول بغير استئذان وإذن. وأما الصغير المميز فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب أمره بالاستئذان قبل الدخول في الأوقات الثلاثة التي

هي مظنة كشف العورات، لأن العادة جرت بتخفف الناس فيها من الثياب، ولا حرج عليه في ترك الاستئذان في غير هذه الأوقات الثلاثة.

ج-صيغة الاستئذان: يكون الاستئذان -في الأصل-باللفظ، وقد ينوب عنه غيره، والصيغة المثلى للاستئذان أن يقول المستأذن: "السلام عليكم أأدخل؟" مقدماً السلام. وقال بعض المالكية ومنهم ابن رشد يبدأ بالاستئذان لا بالسلام ثم يسلم. ويقوم قرع الباب مقام الاستئذان باللفظ، سواء أكان الباب مغلقاً أم مفتوحاً. كما يقوم مقامه التنحنح. ويقوم مقام اللفظ المأثور كل ما تعارفه الناس من ألفاظ الاستئذان، غير أن المالكية نصُّوا على كراهة الاستئذان بالذكر لما فيه من جعل اسم الله آلة[١].

٢-الاستئذان ثلاثاً: إذا استأذن على إنسان متحقق أنه لم يسمع الاستئذان، فله أن يكرر الاستئذان حتى يسمعه. أما إذا استأذن عليه فظن أنه لم يسمع، فقد ذهب الجمهور إلى أن السنة ألا يكرر الاستئذان أكثر من ثلاث مرات. وقال مالك: له أن يزيد على الثلاث حتى يتحقق سماعه. وحكى النووي قولاً ثالثاً وهو أنه إن كان بلفظ السلام المشروع لم يعده، وإن كان بغيره أعاده[٢].

---

(١) لمزيد من التفصيل: انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/١٤٥-١٥٠ ومصادرها، مثل: حاشة ابن عابدين ٢/٥٣١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/١٢٥، وأحكام القرآن، الجصاص ٣/٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/١٨٦ وما بعدها، والشرح الصغير ٤/٧٦٢ ، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤/١٩٩، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧/٢٧٩.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٤/١٣٨، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢/٢٤١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/١٥٩، وغذاء الألباب ١/٣٠٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/١٥٠ ومصادرها ومراجعها.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أدب الاستئذان.

ثانياً: من آداب المدعو: الالتزام بآداب الاستئذان.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: حفظ الحرمات وستر العورات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أدب الاستئذان:

(إن الاستئذان من آداب الإسلام التي يكون بها حفظ الحرمات، وستر العورات، ورفع الحرج عن المستأذن والمستأذنِ عليه، فضلاً عن شيوع جو الأمان في المجتمع، فيأمن كلٌ عدم اقتحام بيته إلا بإذنه)[2]، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ وأمر به في نص الحديثين في قوله "الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع" وفي قوله "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

والاستئذان: (يعني طلب الإذن، والإذن: من أذن بالشيء إذناً بمعنى أباحه، وعلى هذا فإن الاستئذان هو طلب الإباحة، والفقهاء يستعملون الاستئذان بهذا المعنى، فيقولون: "الاستئذان لدخول البيوت" ويعنون به طلب إباحة دخولها للمستأذن)[3].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستئذان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[4]. قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدّب الله بها عباده

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٧١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٧٢).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٩٥/٢.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ١١٧٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٤/٣.

(٤) سورة النور، آية: ٢٧-٢٨.

المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده)[١].

وقال القاسمي: (وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾[٢] أي تستعلموا وتستكشفوا الحال. هل يراد دخولكم أم لا؟ من "الاستئناس" وهو الاستعلام. من "آنس الشيء" إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً. أو المعنى: حتى يؤذن لكم فتستأنسوا. من "الاستئناس" الذي هو خلاف الاستيحاش. لما أن المستأذن مستوحش من خفاء الحال عليه. فيكون عبر بالشيء عما هو لازم له، مجازاً أو استعارة. وجوّز أن يكون من "الإنس" والمعنى: حتى تعلموا هل فيها إنسان؟. "وتسلموا على أهلها" أي ليؤمنهم عما يوحشهم "ذلكم" أي الاستئذان والتسليم"خير لكم" أي من الدخول بغتة "لعلكم تذكرون" أي فتتعظوا وتعملوا بموجبه "فإن لم تجدوا فيها أحداً" أي من الآذنين "فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم" أي واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم. ويحتمل: فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها، ولكم فيها حاجة، فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها.

قال الزمخشري: وذلك لأن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها. ولأنه تصرف في ملك غيرك. فلابد من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب)[٣].

ومن أجل ذلك أكد النبي ﷺ على أهمية مراعاة آداب الاستئذان، فعن عطاء بن يسار ((أَنَّ رَسُولَ الله سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ الله: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٥/١٢/٧.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا. أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا))[1]. وقد ورد في آثار الصحابة رضوان الله عليهم ما يؤكد على أهمية الاستئذان.

فعن علقمة قال: ((جاء رجل إلى عبد الله قال أأستأذن على أمي فقال ما على كل أحيانها تحب أن تراها))[2] وعن مسلم بن نذير قال: ((سأل رجل حذيفة فقال أستأذن على أمي فقال إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره))، وفي رواية: ما يسؤك[3].

وعن عطاء قال: ((سألت ابن عباس فقلت أستأذن على أختي فقال: نعم فأعدت فقلت أختان في حجري وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما قال نعم أتحب أن تراهما عريانتين، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ﴾[4] قال فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾[5] قال ابن عباس: فالإذن واجب على الناس كلهم))[6].

ثانياً- من آداب المدعو: الالتزام بآداب الاستئذان:

من الملاحظ في نص الحديث الأول أن للاستئذان آداباً يجب مراعاتها وهي على النحو التالي:

أن يستأذن المرء ثلاثاً، وذلك لقوله ﷺ "الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع".

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٤٠٦٢. قال ابن عبدالبر: وهذا الحديث لا أعلم يستند من وجهٍ صحيح بهذا اللفظ، وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه، التمهيد ٢٣/٣٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٥٩، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٦٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨١٠).

(٤) سورة النور، آية: ٥٨.

(٥) سورة النور، آية: ٥٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٦٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨١١).

وفي هذا الحديث قصة ذكرها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: ((كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذْعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثاً فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعَك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثاً فلم يُؤْذَنَ لي فرَجَعت، وقال رسولُ الله ﷺ: إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع. فقال: واللّه لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمعَهُ من النبيِّ ﷺ؟ فقال أبيُّ بن كعب: واللّهِ لا يقومُ معكَ إلا أصغَرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال ذلك))[1].

قال ابن حجر: (واختلف في حكمة الثلاث، فروى ابن أبي شيبة من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأولى إعلام، والثانية مؤامرة، والثالثة عزمة، إما أن يؤذن له وإما أن يرد. قلت: ويؤخذ من صنيع أبي موسى حيث ذكر اسمه أولاً وكنيته ثانياً ونسبته ثالثاً، أن الأولى هي الأصل، والثانية إذا جوز أن يكون التبس على من استأذن عليه والثالثة إذا غلب على ظنه أنه عرفه)[2].

قال القرطبي: (وإنما خصَّ الثلاث بالذكر، لأن الغالب أن الكلام إذا كُرِّر ثلاثاً سُمع وفُهم (ولذلك كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثاً)[3]. وإذا كان الغالبُ هذا، فإذا لم يؤذن له بعد ثلاث ظهر أن رب المنزل لا يريد الإذن، أو لعله يمنعه من الجواب عذر لا يمكنه قطعه. فينبغي للمستأذن أن ينصرف، لأن الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل، وربما يضرُّه الإلحاح حتى ينقطع عما كان مشتغلاً به، كما قال النبي ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه حين استأذن عليه، فخرج مستعجلاً فقال: ((لعلَّنا أعجلناك))[4])[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٠، ومسلم ٣٤٥، ٨٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٤٧٤-٤٧٥.

ومن آداب الاستئذان الواردة في نص الحديث، الرجوع عند عدم الإذن، ولذلك لقوله ﷺ "فإن أذن لك وإلا فارجع" وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾[(١)] قال ابن كثير: (أي إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده، "فارجعوا هو أزكى لكم" أي: رجوعكم أزكى لكم وأطهر، "والله بما تعملون عليم" وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذنَ على بعض إخواني، فيقول لي: "ارجع"، فأرجع وأنا مغتبط لقوله ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾[(٢)])[(٣)].

وقال القاسمي: (وقوله تعالى: "وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا"[(٤)] أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع، سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أو لا، كالنساء والولدان، فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان. لأن هذا مما يجلب الكراهة في قلوب الناس. ولذا قال تعالى: "هو" أي الرجوع "أزكى لكم" أي أطهر مما لا يخلو عنه الإلحاح والوقوف على الأبواب، من دنس الدناءة، وأنمى لمحبتكم.

قال الزمخشري: وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة، وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس)[(٥)].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: حفظ الحرمات وستر العورات:

(لقد خصص الله تعالى الناس بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو

---

(١) سورة النور، آية: ٢٨.

(٢) سورة النور، آية: ٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١/٦.

(٤) سورة النور، آية: ٢٨.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٦/١٢/٧.

يلجوها بغير إذن أربابها، لئلا يهتكوا أستارهم، ويبلوا في أخبارهم)[١]، وما ذلك إلا لحفظ الحرمات وستر العورات، وهذا ما يستفاد من الحديث الأول في الالتزام بالاستئذان، ومن قوله ﷺ في الحديث الثاني "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

وقد روى سهل بن سعد الساعدي هذا الحديث، حيث اطّلع رجل في جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مِدْرى[٢] يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْتَظِرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))[٣]، وهذا ما أكده أنس بن مالك رضي الله عنه في ((أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ مِنْ بَعْض حُجَرِ النَّبِي ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ[٤]، أَوْ مَشَاقِصَ وَجَعَلَ يَخْتِلُهُ لِيَطْعَنَهُ))[٥].

قال محمد تقي العثماني: (يعني أن الاستئذان إنما شرع لوقاية صاحب البيت عن نظر الأجانب فلو استأذن الرجل صاحب البيت، وهو يشاهد ما في بيوتهن فإن الاستئذان لا معنى له حينئذٍ)[٦].

(فالاستئذان لابدّ منه، لأن دخول منزل الغير تصرُّف في ملكه، ولا يجوز بغير إذنه؛ لأنه يطلع منه على ما لا يجوز الاطلاع عليه من عورات البيوت، فكانت هذه المصلحة في أعلى رتبة المصالح الحاجيَّة)[٧].

وقد أخرج أبو داود عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِن مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوْ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلاَمُ

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١٣٥٨/٣.

(٢) مِدْرى: سنان من حديد. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٤/١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦ واللفظ لمسلم.

(٤) المشقص: نصل السهم إذا كان طويلاً. و"يختل" اي يطعنه وهو غافل. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٢٤٢، ومسلم ٢١٥٧.

(٦) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٢٠٦/١٠.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٧٤/٥.

عَلَيْكُم، السَّلَامُ عَلَيْكُم، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يكُنْ عَلَيْهَا يَوْمِئِذٍ سُتُورٌ))[1].

وعن هذيل قال: ((جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن، فقام على الباب، فقال النبي ﷺ: هَكَذَا عَنْكَ هنا -أَوْ هَكَذَا-، فَإِنَّمَا الاسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ))[2].

وفي ذلك بيان على أهمية الاستئذان من أجل ستر العورات وحفظ الحرمات، وهذا ما أكده السلف الصالح. فعن عكرمة، أن نفراً من أهل العراق قالوا: ((يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هذِهِ الآيَةِ الَّتي أُمِرْنَا فِيهَا بِمَا أُمِرْنَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، قَوْلُ اللَّه تَعَالَى: ﴿ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾. قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ إلى ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3]. قال: إنَّ اللَّه حَلِيمٌ رَحِيمٌ بالمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتْرَ، وكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبُيُوتِهِمْ سُتُورٌ وَلا حِجَالٌ فَرُبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فأَمَرَهُم اللَّه بالاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُم اللَّه بالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ))[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٠).

(٣) سورة النور، آية: ٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٥١٩٢، وقال الألباني حديث حسن الإسناد موقوف (صحيح سنن أبي داود ٤٣٢٤).

الحديث رقم (٨٧٢)

٨٧٢- وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أجْلِ البَصَرِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

حرص الإسلام على صيانة الإنسان في دينه، وعرضه ومال، ودمه، كما حرص على صيانته من الكلمة، والنظرة، وغيرها، وهذا الحديث يبين العلة التي من أجلها شرع الاستئذان حتى يعلم المسلم غرضه، ولا يتعداه، حتى لا يطلق بصره، في بيوت الناس فهو اعتداء على الخصوصيات، وكشف للعورات، وهو ما لا يرضاه الله لعباده فشرع الاستئذان في الدخول، لأجل أن لا يقع النظر على عورة أهل البيت، ولئلا يطلع على أحوالهم، وقد صاغ المعنى في جملة القصر الخاطفة، لقصر شرع الاستئذان على غرض منع النظر، وقد جاء القصر ب (إنما) التي تأتي في المعنى الذي لا ينكره المخاطب، ولا يجهله كأنه يقول إنه من الوضوح بحيث لا يجهله أحد كأنه تعريض بالمخاطب لتجاوزه ما لا ينبغي تجاوزه عند طلب الاستئذان بالنظر إلى من في البيت.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦/٤٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٧٣)

٨٧٣- وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أنَّهُ اسْتَأذَنَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ في بيتٍ، فَقَالَ: أألِج؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ لِخَادِمِهِ: ((**اُخْرُجْ إلَى هَذَا فَعَلِّمهُ الاسْتِئذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُل: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أأدْخُل؟**)) فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أأَدْخُل؟ فَأذِنَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ فدخلَ. رواه أبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

الصحابي الذي روى هذا الحديث لم نعثر له على ترجمة في مظانها، فلم نجده في المبهمين من الصحابة في أسد الغابة والإصابة. ولم نعثر عليه كذلك في المبهمين من الصحابة الذين روى عنهم رِبْعي بن حراش، ولم يذكره المزي فيمن روى عنه ربعي بن حراش عندما ترجم له في تهذيب الكمال (٤٥٥/٢)، وكذلك الحافظ في تهذيب التهذيب (٥٨٨/١).

وربعي بن حراش تابعي ثقة، وهو: ربعي بن حِراش بن جحش بن عمرو بن عبدالله بن بجاد العبسيُّ، أبو مريم، الكوفيُّ، قدم الشام، وسمع خطبة عمر بالجابية.

روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وهو تابعي ثقة، من خيار الناس ومن عباد الكوفة، لم يكذب كذبة قط، كان له ابنان عاصيان على الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. قال: قدعفونا عنهما بصدقك.

واختلف في سنة وفاته فقيل: مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقيل: مات سنة ١٠٠ وقيل سنة ١٠١، وقيل: سنة ١٠٤[2].

---

(١) برقم ٥١٧٧. قال البوصيري في مختصر إتحاف السادة ٢٦٣/٧: رواه مسدد، وأبوبكر بن أبي شيبة، والنسائي في عمل اليوم والليلة بسند رواته ثقات، وأبو داود في سننه عن مسدد، فذكره دون قوله: أدخل فدخلتُ، إلى آخره.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥٥/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٨٨/١-٥٨٩.

وقد أخرج الإمام أحمد هذا الحديث الذي بصدده مطولاً[١]، وفيه بعد قصة الاستئذان: ((فقلت: بم أتيتنا به؟ قال ﷺ: لم آتكم إلا بخير، أتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تدعوا اللات والعزى وأن تُصلُّوا بالليل والنهار خمس صلوات. وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من أموال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم ...)) الحديث.

ملحوظة: قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦١/٢) الحديث (٨١٩) إنه [أي الصحابي راوي هذا الحديث] يحتمل أن يكون كلدة بن الحنبل راوي الحديث المتقدم [٨١٨][٢].

قلنا: وهذا بعيد جدًّا، فإن راوي هذا الحديث من بني عامر، وكلدة جُمحي، كما أن كتب التراجم لم تذكر أن ربعي بن حراش من الرواة عن كلدة.

غريب الألفاظ:

أألج: أأدخل[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول موقفاً عملياً تعليمياً في أدب الاستئذان يقوم على الحوار يحكيه أحد طرفي الحوار مما يجعله أكثر دقة في بيان تفاصيله، وقوله: (أنَّهُ اسْتَأذَنَ) أي طلب الإذن، وهذا إجمال للحدث قصَّ تفاصيله بعده، بقوله: (أألج؟) والتعبير بالولوج فيه تعمق في المدخول فيه كما أن في مصدره دلالة على إدخال شيء فيما ليس منه، ففي التعبير به شيء من جفاء، وقول الرسول ﷺ (أخرج إلى هذا) يشير إلى أنه لم يأذن له بالدخول، وقوله: (فعلمه) يشير إلى عدم رضاه عن طريقته في الاستئذان، وقوله: (فقل

---

(١) المسند ٢٣١٢٧/٢٨.

(٢) في الأصل المطبوع: صفوان بن أمية، وهذا خطأ، فإن راوي الحديث هو كلدة بن الحنبل، لا صفوان، وهو الحديث المذكور في الرياض بعد هذا الحديث رقم ٨٧٤.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢٠٣.

له) أمر إرشاد، وتوجيه إلى ما ينبغي عند طلب الإذن من البدء بالسلام ثم طلب الدخول، ومن الملاحظ أنه استخدم (أأدخل؟) ومادة الدخول فيها ترفق، وهوادة في التقدم نحو الشيء، وقوله فسمعه الرجل فقال، يشير إلى سرعة استجابته لرسول الله ﷺ، وتتابع الفاءات في الجملة بعده دليل على أنه سار إلى الصواب الذي وجّه إليه مع دلتها على سرعة استجابة الرسول ﷺ بإدخاله، والحديث تطبيق عملي لمبدأ الاستئذان الصحيح مع ما يشير إليه من دروس تربوية، وأخلاقية.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة لمن أراد الاستئذان أن يسلّم ثم يستأذن، فيقوم عند باب البيت بحيث لا ينظر إلى من في داخله، ثم يقول السلام عليكم أأدخل؟ أو نحو هذا فإن لم يجبه أحد قال ذلك ثانيًا وثالثًا، فإن لم يجبه أحد انصرف، وذلك لحديثي الباب. وهذا الذي ذكرناه من تقديم السلام على الاستئذان هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إفشاء السلام والاستئذان.

ثالثاً: من مهام الداعية: تصحيح تصرفات المدعو وعدم السكوت على أخطائه وتعليمه ما يجهله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

إن التعليم من أعظم الوسائل التي يكون بها ارتقاء الأمة الإسلامية وعلو شأنها، وقد أعلن الإسلام منذ فجر دعوته عن أهمية التعليم وعظم شأنه، فقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٩.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٧٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٧٤).

بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لرفع الجهل عنهم وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وهذا ما ورد في الحديثين من تعليم النبي ﷺ كيفية الاستئذان، وذلك في قوله ﷺ لخادمه: ((اخْرُجْ إِلَى هذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُم أَأَدْخُلُ؟)). وهذا يدل على حرصه ﷺ على تعليم الجاهل وانتهاز الفرص لذلك[3]، وهذا ما حدث مع كلدة بن الحنبل رضي الله عنه حينما قال: أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".

قال أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيَ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله ذهبَ الرجالُ بحديثِكَ، فاجعلْ لنا من نفسكَ يوماً نأتيكَ فيه تُعلمنا مما علمكَ الله. فقال: اجتمعنَ في يومِ كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن؛ فأتاهنَّ رسولُ الله ﷺ فعلمهنَّ مما علمه الله... إلخ))[5].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ،

---

(١) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣١، ومسلم ٢٦٣٣.

التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ". وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا، فَلَمَّا قُبِضَ، قُلْنَا: السَّلاَمُ، يَعْنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ))[1].

(فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في تعليم الناس أحكام دينهم، وأن يعرفهم بحدود ربهم ولا يكتفي منهم بالعاطفة الطيبة. كما لا يكتفي بإلقاء البذرة في الأرض دون تعهدها بالتقشيب والسقي وغير ذلك، ويختلف أسلوب التربية باختلاف حال المدعو. فقد يكون كافراً يدعى إلى الإسلام أول مرة، وهذا يبدأ به من العقيدة، مع بيان فساد عقيدته السابقة، ومن ثم التدرج به في الدعوة...، وإن كان مسلماً غير مستقيم السيرة، يذكر ويوعظ وتعالج نقطة الضعف فيه)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إفشاء السلام والاستئذان:

لقد أكد الحديثان على أهمية إفشاء السلام والاستئذان كآداب إسلامية عالية عظيمة، (فالإنسان بطبيعته يألف غيره من الناس، ويحرص على مخالطتهم، وعن طريق هذه الألفة، وهذه المخالطة، يتم التعاون بين الناس على قضاء المصالح في أقرب وقت وبأقل جهد. وقد شرع الإسلام لتنظيم هذه العلاقات مناهج من شأنها أن تقوي هذه الروابط، وتشد من أزرها، وتبعد عنها، ما من شأنه أن يضعف منها، ومن هذه المناهج التي رسمها الإسلام)[3] أدب إفشاء السلام والاستئذان ويظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له، قل السلام عليكم أأدخل، وأيضاً من قوله ﷺ لكلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل".

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان، ٧٥، ٧٦.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ٢٥٣.

وقد عظم الإسلام شأن إفشاء السلام لما فيه من تأليف القلوب، وتقوية الصلات، فقال النبي ﷺ ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))(١).

(فقد أقسم النبي ﷺ في هذا الحديث بمن نفسه بيده وهو: الله سبحانه على أن إفشاء السلام سبيل التحاب، وإيثار هذه الصيغة في القسم، زيادة تأكيد لصدقه ﷺ فيما أقسم عليه، وبيان لعظمة المقسَم به وسلطانه على المقسِم)(٢).

أما الاستئذان فهو من أخلاق الإسلام الفاضلة، التي اهتم بها النبي ﷺ في بيانها اهتماماً عظيماً، لما فيه من ستر العورات وحماية الحرمات، وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الأمر وتربوا عليه، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قول الراوي: "فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((استأذن عمر على النبي ﷺ فقال: السلام على رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر))(٣).

وفي ذلك بيان على الصيغة المثلى للاستئذان أن يقول المستأذن "السلام عليكم، أأدخل؟" وهذا ما ورد في نص الحديث.

ثالثاً- من مهام الداعية: تصحيح تصرفات المدعو وعدم السكوت على أخطائه وتعليمه ما يجهله:

إن مما أكّد عليه نص الحديث، أهمية قيام الداعية بتصحيح تصرفات المدعو، وعلاج ما بها من أخطاء، مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ، وهذا ما ظهر جلياً في الحديثين من تصحيحه ﷺ لفعل الرجل الذي استأذن عليه - وهو من بني عامر- وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٨٥، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٧).

السلام عليكم، أأدخل؟" وتصحيحه ﷺ لفعل كلدة بن الحنبل رضي الله عنه حين دخل عليه دون أن يسلم ويستأذن، وذلك في قوله ﷺ "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل"، فعلى الداعية أن يتعهد المدعوين بذلك متمثلاً بالنبي ﷺ في تصحيحه لأخطاء المدعوين وتعليمهم ما جهلوا، وفي بيان ذلك، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ المسجدَ، فدخلَ رجُلٌ فصلَّى، فسلَّم عَلَى النبيِّ ﷺ فردَّ وقال: ارجِعْ فصلِّ فإنكَ لم تُصلِّ، فرَجَعَ يُصلِّي كما صلَّى، ثم جاءَ فسلَّم عَلَى النبيِّ ﷺ، فقال: ارجعْ فصلِّ فإنكَ لم تُصلِّ (ثلاثاً). فقال: والذي بَعثكَ بالحقِّ ما أُحسِنُ غيرَه، فعلِّمني: فقال: إذا قُمتَ إلى الصلاةِ فكبِّرْ، ثمَّ اقرأْ ما تَيسَّرَ معَك منَ القرآنِ، ثمَّ اركعْ حتى تطمئنَّ راكعاً، ثمَّ ارفعْ حتى تَعدِلَ قائماً، ثمَّ اسجُدْ حتى تطمئنَّ ساجداً، ثمَّ ارفعْ حتى تطمئنَّ جالساً، وافعلْ ذلكَ في صَلاتِكَ كلِّها))[1]، قال ابن حجر: (وفي الحديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن التعليم بغير تعنيف، وإيضاح المسألة)[2]. وفي ذلك بيان على ضرورة أن يقتدي الداعية بالنبي ﷺ في تصحيحه لتصرفات المدعوين وتعليمهم ما خفي عليهم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على توجيه المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه، وهذا ما استعمله النبي ﷺ في قوله لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم ..." في توجيه وحمل من دخل عليه ﷺ دون أن يسلم ويستئذن في قوله "ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟".

وأسلوب الأمر أسلوب دعوي كثير الاستخدام في القرآن والسنة، فعلى الداعية أن يستخدمه مما يفيد دعوته، ويجعل المدعوين يقبلون أمره، ولا يعرضون عنه.

---

(١) اخرجه البخاري ٧٥٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٢٧-٣٢٨.

الحديث رقم (٨٧٤)

٨٧٤- عن كِلْدَةَ بن الحَنْبل ﷺ، قَالَ: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

كِلْدَةَ بن الحنبل: هو كِلْدةُ بن الحنبل الجمحي ويقال: كلَدة بن عبدالله بن الحنبل، وهو وأخوه عبدالرحمن بن حنبل صحابيان. جاء أبوهما من اليمن إلى مكة وعاش بها.

له اتصال شديد بصفوان بن أمية فقيل: إنه أخوه لأمه. وقيل إنه ابن أخيه لأمه. وقيل غير ذلك.

كان يلازم صفوان في حلّه وترحاله، لا يفارقه في سفر ولا حضر. شهد وهو مشرك مع صفوان غزوة حنين، وحين وقعت الهزيمة بالمسلمين أول المعركة قال: بطل السحر. فزجره صفوان.

وهو الذي بعثه صفوان إلى النبي ﷺ بهدايا يوم فتح مكة، فبعثه بِلِبأ وجَدابة وضغابيس[2]، فدخل على النبي ﷺ ولم يستأذن ولم يسلم، فأمره النبي ﷺ بالرجوع والاستئذان كما في الحديث المشروح.

وقد أسلم بإسلام صفوان بن أمية وظلّ بمكة إلى أن توفي بها. وليس له إلا هذا الحديث الواحد[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٧٦، والترمذي ٢٧١٠ ولفظهما سواء، إلا أنَّ عند الترمذي زيادة: (ولم أستأذن) وليست عند أبي داود، كما أن قوله: (أأدخل) لا يوجد كذلك عند أبي داود.

(٢) اللِّبأ - بوزن عنب - اللبن أول ما يحلب عند الولادة. وجدابة -بفتح الجيم وكسرها- ما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر من أولاد الظباء ذكراً كان او انثى. والضغابيس: صغار القثاء. انظر: حاشية السندي على مسند أحمد ١٥٣/٢٤.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٦٨/٤-٤٦٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٣٢-١١٣٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٣/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧٣/٣-٤٧٤.

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه من حيث كونه تطبيقاً عملياً، وترسيخاً لمبدأ الاستئذان، ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا في الجاهلية على خلافه يقتحمون المجالس، ويتعدون علي الحريات، فقوَّم الإسلام هذا الخطأ، ووجههم قولاً، وعملاً إلى هذا الأدب العالي، وقول الرجل (أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ) يشير إلى موطن الخطأ من ناحية عدم الاستئذان التي تشير إليها الفاء التي عطف بها الدخول على الإتيان، ومن ناحية عدم التسليم التي دلت عليها أداة النفي الداخلة على الفعل المضارع في قوله (ولم أسلم)، وقول النبي ﷺ: له (ارجع) أمر تنبيه وتعليم للوقوف على موضع الخطأ تمهيداً لتصحيحه، وقوله (فقل السلام عليكم) بيان لصواب المسألة وقوله (أأدخل) تقرير لسبق السلام لطلب الإذن، وحرص الرسول ﷺ على الاستئذان، وعدم السماح بتخطيه يشير إلى أهميته في الحفاظ على أسرار بيوت المسلمين، وحفظ صدورهم مما يمكن أن يغيِّرها على إخوانهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: سبق الإسلام الحضارات الحديثة في مراعاته لحرمة البيوت وساكنيها، فلا دخول إلا بإذن مع التأكد من الأنس، والانصراف حال الاعتذار، مع النص على خيرية الرجوع في هذه الحالة، ومن الآداب التربية ما يلي:

أولاً- التربية على تعلم آداب الاستئذان:

إن أول أدب ينبغي أن يتربى عليه ويفعله الإنسان أدب دخول البيوت وأماكن الدراسة، وغير ذلك من الأماكن الخاصة بالآخرين مما يستوجب حسن الاستئذان واللطف فيه وعدم الإلحاح في الدخول.

وقد حفلت أحاديث الباب بباقة من آداب الاستئذان منها:

أ-الاستئذان ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف "وهذا تنظيم يحفظ للبيوت حرمتها، وللإنسان كرامته"[1]. كما في حديث أبي موسى الأشعري: "الاستئذان ثلاث: فإن أذن لك وإلا فارجع".

ب-السلام مع الاستئذان كما في قوله ﷺ لكلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل"، ففي ذلك بيان للاستئذان المسنون والمحافظة على الآداب وتذكير الناس بها والحفاظ على حرمات الناس من أن تُكشف، وعلى شعورهم من أن يجرح.

إن التربية الإسلامية لم تغفل الآداب التي يجب أن يسير عليها المسلمون، وجميعها آداب تَنُمُّ عن كمالٍ في الذوق وسمو في الشعور والتي منها الاستئذان والسلام، وهما اليوم من الخلال التي تعد من مميزات أهل المدينة فتراهم يحرصون عليها ولا يتسامحون فيهما، والإسلام قد سنهما لأهله منذ أجيال كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٩.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

وفي ذلك تربية على حفظ حرمات البيوت وعدم دخولها إلا بعلم من أهلها وإذن، لذا ينبغي تربية المتعلمين والناشئة على ألا يدخلوا بيوتاً ليست لهم إلا بعد أن يطلبوا الإذن من ساكنيها ويُسمح لهم بالدخول، وبعد أن يلقوا تحية السلام على ساكنيها، فإن لم يجدوا في هذه البيوت أحداً فلا يدخلوها حتى يجيء مَنْ يُسْمح لهم به، وإن لم يسمح لهم وطُلِب منهم الرجوع فليرجعوا فإن ذلك أطهر لنفوسهم والله مُطلع على أحوالهم.

هذا أحد آداب التربية الإسلامية وأهم معالمها، وهذه من الأدلة على أن التربية الإسلامية لم تغفل أية ناحية ترقي الأمة وتهذب من أخلاقها إلا وحَضَّت عليها"[١].

ثانياً- دور المعلم في زرع الفضائل في تلاميذه:

إن المعلم الناجح والمربي الحاذق هو الذي "يطبع الطفل على العبادات، وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك، وهي جميعها مستمدة من الدين نفسه علماً وعملاً وعقيدة وعبادة"[٢].

ومن تلك الفضائل ما تضمنته أحاديث الباب واحتوته من الإرشاد والتربية على مظاهر احترام الآخرين والحفاظ على حرماتهم وتقدير مشاعرها، ومن هذه المظاهر الاستئذان والتحية كما في قوله ﷺ: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

إن من أهداف التربية الإسلامية، ومن مهام المربي الفاضل، والبيت المسلم أن يغرس في نفوس المتربين والناشئة منذ طفولتهم الباكرة الإيمان الصحيح والسلوك الإسلامي الرشيد ويربيهم على حب الفضائل وبغض الرذائل، ويرشدهم إلى الخير ويباعد بينهم وبين الشر وهو الذي يمدهم بالقيم الاجتماعية التي يحترمونها ويعملون على هداها"[٣].

ولن يكتب للمربي النجاح في مهمته العظيمة هذه إلا من كان سليم التصور الإسلامي صحيح العقيدة رفيع التربية أُشْرِب أصولها وفروعها من القرآن العزيز

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٢٢٤، ٢٢٥، آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٢-٧٦.

(٢) انظر: التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، ط/٢، دار المعارف، مصر: ١٩٧٥م، ص١٣.

(٣) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٦م، ص١٨.

والسنة المطهرة"[١].

ثالثاً- الاستجابة للنقد البنّاء والتوجيه:

"من الأمور التي يجب أن يتحلى بها المتعلم أن يتقبل من معلمه النقد والتوجيه برضا ورحابة صدر، وألا يكون من النوع الذي يصر على أخطائه أو أن تأخذه العزة بالإثم"[٢].

وتلك أهم سمات طالب العلم، وقد جاء في الحديث أنموذج مضيء لأحد الصحابة رضي الله عنهم الذين أمرهم النبي ﷺ بإحسان الاستئذان والسلام فاستجاب استجابة مطلقة لتوجيه سيد المربين ﷺ، ونرى ذلك واضحًا جلياً في حديث ربعي بن حراش قال حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل"، وكذلك في استجابة كلدة بن الحنبل عندما دخل بغير تسليم فقال له النبي ﷺ: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".

إن الاستجابة العملية والمطلقة لتوجيه المعلم دليل على رغبة جادة في التعلم وتغيير السلوكيات الخاطئة والتطلع إلى السمو والارتقاء الأخلاقي، ودليل على اصطباغ المتربي بالتواضع للمعلمين والمربين، وقد ساق لنا الإمام الغزالي هذه المعاني في بيان وظائف المتعلم فقال: "أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، فلا يُنَال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣]. ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعمل فاهماً ثم لا تعينه القدرة على

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٥٤.

(٢) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص٥٥.

(٣) سورة ق، آية: ٣٧.

الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة، وليكن المتعلم لمعلمه كأرض دَمِثَة نالت مطراً غزيراً فشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله"[١].

رابعاً- التربية عن طريق تصحيح الأخطاء بالتدريب العملي:

إن التدريب العملي والتجارب العملية في تدريب المتربين وتهذيب أخلاقهم وتصحيح أخطائهم له أكبر الأثر في العملية التربوية والتعليمية، فبه يمكن للمتربي أن تتفتح آفاق معرفته وتتوسع مدارك ذهنه وعقله.

ونرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب الذي شمل التربية عن طريق التلقين والتلقي المعرفي كما اشتمل أيضاً على التربية بتصحيح الأخطاء والتدريب على ذلك عملياً كما في حديث ربعي بن حراش رضي الله عنه وكذلك حديث كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل". فإن التدريب العملي أدعى للعلم الصحيح والعمل البناء الموجه والطريقة السليمة في العملية التربوية.

إنه كثيراً ما يطلب من المتربين، خاصة الصغير منهم، القيام بأعمال لم يسبق له عملها أو شاهد مَنْ عملها، لذلك يبقى في جهل، فإذا طلب منه العمل، وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح، فإذا عوقب على خطئه هذا كان ظلماً وحيفاً.

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد -كما نرى في أحاديث الباب- لا يلبث أن يفهم المتربي بالطريقة العملية، ويُريه كيف يحسن العمل، وفي هذا تعليم للوالدين والمربين، وأي تعليم، وسار الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك يعلمون الكبار والصغار والرجال والنساء بالتدريب العملي الواقعي والمشاهدة الحسية.

فليكن هذا شعار المربين والوالدين في تعاملهم مع أطفالهم[٢].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/١/٨٤-٨٨.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤، وص١٦٧، ١٦٨.

"إن المعلم الناجح هو الذي لا يهتم بإنهاء المقرر فحسب، وإنما يتأكد من مدى استفادة الطلبة من المعلومات عملياً، ويغرس في نفوس طلبته في كل درس خُلُقاً جديداً ومهارة وخبرة وعلماً، فلا ينتقل من درس إلى آخر حتى يرى أثر درسه الأول واضحاً في نفوس طلبته، وذلك يكشف مدى نجاح المعلم في عمله كما أنه يهدف إلى تثبيت المعلومات في نفوس الطلبة بشكل جيد ويعمق مدى فهمهم لها، وذلك ما يثبتها في عقولهم ويزيد من أهميتها في نظرهم"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في المجال التربويّ والتعليمي، ما يلي:

أ-التعليل، كما في قوله ﷺ: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"، ولا شك أن تعليل الأفعال -إن اقتضى الأمر ذلك-يدفع المتعلم إلى مزيد من الامتثال ومزيد من الاستجابة، فهو قد عرف المصلحة من وراء الفعل المأمور به والمرغب فيه، وكذلك المفسدة من وراء الفعل المنهي عنه والمرهب منه. فيجعله هذا يزداد اقتناعًا ويزداد فهمًا ووعيًا لما يفعل ويعمل.

ب-التلقين: كما في حديث الصحابي من بني عامر أنّه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيتٍ فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان. فقل: قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فَأَذِن له النبي ﷺ فَدخَل.

وكما في حديث كلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ: ارجع فقل السلام عليكم أأدخل؟

ولا شكّ أن التلقين قد يستخدمه المعلم في بيان الصحيح من الأقوال والأفعال كما يستخدمه في تلقين المعارف التي تعتمد على الحفظ.



(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي خان، ص٢٣٧، ٢٣٨.

١٤١- باب بيان أنَّ السنة إِذَا قيل للمستأذن: من أنت؟

أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: (أنا) ونحوها

الحديث رقم (٨٧٥)

٨٧٥- وعن أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثُمَّ صَعَدَ بي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسَائِرِهِنَّ وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث مقتضب من حديث الإسراء فيه بيان عملي لكيفية رد المستأذن بذكر اسمه الصريح دون الضمير (أنا) الذي لا يكشف عن ماهية المستأذن، وإضافة السماء للدنيا إضافة بيان، وتخصيص، وهي الأقرب إلينا، وقوله (فاستفتح) الهمزة، والسين، والتاء لمطلق الطلب، فكل فعل اتصلت به هذه الحروف دلت على طلبه فمعناه: طلب الفتح، وقوله: (فقِيلَ: مَنْ هذَا؟) عدم ذكر الفاعل للعلم به، وهم ملائكة هذه السماء، و (من) يستفهم بها عن العاقل، واسم الإشارة يعود على المستفتح (فقال جبريل) عبر باسمه الظاهر دون الضمير (أنا) أو (نحن) وقولهم (، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ،) الاستفهام هنا عن المصاحب؛ لأنهم لا يفتحون إلا لمن أمرهم الله أن يفتحوا له (قال محمد) باسمه الظاهر أيضاً، وقوله (ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ) التعبير ب (ثم) يشير إلى فترة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٠٧، ومسلم ١٦٢/٢٥٩.

زمنية قضاها الرسول ﷺ، وصاحبه في هذه السماء طواها في الحديث، ودل عليها باستخدام هذا الحرف، ثم حكى الموقف بالتفاصيل نفسها عند كل سماء يجيب باسمه الصريح، حتى يستطيع المستأذن أن يتعرف عليه وهو بيان عملي لكيفية رد المستأذن.

فقه الحديث

ذكر المستأذن اسمه إذا قيل له: من أنت؟ أو من بالباب؟: إذا استأذن فقال له صاحب البيت: من بالباب؟ أو نحو ذلك فعليه أن يذكر اسمه فيقول: فلان أو يقول أيدخل فلان؟ أو نحو ذلك، ويكره له أن يقول: أنا، لأنه لم يحصل بقوله "أنا" فائدة ولا زيادة إيضاح بل الإبهام باق[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تكريم النبي ﷺ بالإسراء والمعراج.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل جبريل ومكانته عند الله تعالى.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تكريم النبي ﷺ بالإسراء والمعراج:

إن الإسراء هي الرحلة التي أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى، وقد كان (في تفضيله ﷺ بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة، والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى، وما رأى من آيات ربه الكبرى: ومن خصائصه ﷺ قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة، مما نبه عليه الكتاب العزيز، وشرحته صحاح الأخبار، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٤/٧، ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض، والشرح الصغير ٧٦٢/٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٩٤/١٥، وغذاء الألباب ٣١٥/١، ٣١٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٢/٣.

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٢] فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائه وخواصٌ نبينا محمد ﷺ فيه أحاديث كثيرة منتشرة)[٣]، منها ما ورد في نص الحديث قول أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء: قال رسول الله ﷺ "ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا... إلخ".

وفي بيان ما كان من الإسراء، قال ابن كثير في قوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤] (إنه تعالى يمجد نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره "الذي أسرى بعبده" يعني محمداً، صلوات الله وسلامه عليه "ليلاً" أي في جنح الليل "من المسجد الحرام" وهو مسجد مكة "إلى المسجد الأقصى" وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هناك كلهم، فأمّهم في محلهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)[٥].

(وقد أراد الله عز وجل في معجزة الإسراء والمعراج، أن يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستناداً عليه، إذ يواجهون قوى الكفار المتألبة، ويهاجمون سلطانه القديم)[٦].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١.

(٢) سورة النجم، آية: ١٨.

(٣) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٢٢٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٥.

(٦) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٣٣.

(فلقد عانى رسول الله ﷺ ألواناً كثيرة من المحن التي لاقاها من قريش، وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف. ولقد ظهر في دعائه الذي ناجى به ربّه بعد أن جلس يستريح في بستان ابني ربيعة، ما يتعرض له كل بشر من الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير، وذلك هو مظهر عبودية الإنسان لله تعالى. وظهر في التجائه ذلك شيء من معنى الشكاة إليه سبحانه وتعالى، والطمع منه في عافيته ومعونته، ولعله خشي أن يكون الذي يلاقيه إنما هو بسبب غضب من الله عليه لأمر ما. ولذلك كان من جملة دعائه قوله: (إن لم يكن بك غضب علي فلا أُبالي)[١].

فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريماً من الله تعالى له، وتجديداً لعزيمته وثباته، ثم جاءت دليلاً على أن هذا الذي يلاقيه عليه الصلاة والسلام من قومه ليس بسبب أن الله قد تخلّى عنه، أو أنه قد غضب عليه، وإنما هي سنّة الله مع محبيه ومحبوبيه. وهي سنّة الدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن.

وقد كان في الاقتران الزمني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى. وفيه دلالة واضحة أيضاً على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبدالله عليهما الصلاة والسلام، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذي ابتعثهم الله عز وجل به.

وفيه دلالة على مدى ما ينبغي أن يوجد لدى المسلمين في كل عصر ووقت، من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة، وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وكأن الحكمة الإلهية تهيب بمسلمي هذا العصر أن لا يهنوا ولا يجبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض المقدسة، وأن يطهروها من رجسهم، ويعيدوها إلى أصحابها المؤمنين[٢].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٦٨/٢.

(٢) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ١٦٦-١٦٧.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل جبريل ومكانته عند الله تعالى:

لقد فضل الله بعض النبيين على بعض، وفضل جبريل على الملائكة، فهو أمين الوحي تنزّل به على رسل الله عليهم السلام ولقد ورد ذكر جبريل عليه السلام ومكانته في هذا الحديث من قوله ﷺ "ثم صعد بي جبريل إلى السماء" وفي بيان فضل جبريل ومكانته عند الله، قال ابن حجر: (فأما جبريل فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس وبأنه الروح الأمين وبأنه الرسول الكريم ذي قوة مكين مطاع أمين)[1]، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[2].

قال ابن كثير: (يعني: إن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم، أي:ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام...، وفي قوله "عند ذي العرش مكين" أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة، ...، وفي قوله "مطاع ثم" أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، وقوله "أمين": صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكى عبده ورسوله البشري محمد ﷺ بقوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[3])[4]، وفي ذلك بيان لفضل جبريل عليه السلام ومكانته عند الله تعالى.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ظهر أسلوب السؤال والجواب في الحديث من سؤال أهل السماء لجبريل عندما استفتح عليهم فقالوا له: من هذا؟ فقال:جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد... إلخ" حيث أفاد السؤال والجواب أن يسمي المستأذن نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية حتى يتسنى للمستأذن عليه معرفة شخصه. والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٣٥٤.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٩-٢١.

(٣) سورة التكوير، آية: ٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٣٣٨-٣٣٩.

المهمة، مما يحسن تطبيقه في التعليم، أو التأليف، أو الخطابة، أو المحاضرات والندوات، لأنه أدعى إلى شد انتباه الحاضرين، وترسيخ المعلومات وعدم نسيانها. فضلاً عن (وضع المدعوين في حالة استعداد فكريّ ونفسيٍّ لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1].

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ٢/٥٩.

الحديث رقم (٨٧٦)

٨٧٦- وعن أَبي ذرٍّ ﷺ، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رسول الله ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظلِّ القمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) فقلتُ: أَبُو ذَرٍّ. الحديث متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ظلّ القمر: في المكان الذي ليس للقمر فيه ضوء ليخفي شخصه[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر طريقة رد المستأذن يرويه أبو ذر ﷺ صاحب الموقف، وقوله (خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي) فيه جناس بين ليلة، وليالي يؤكد ظرف الحدث، وقوله (من اليالي) إبهام لليلة، وقوله (فَإِذَا رسول الله ﷺ) يشير إلى أنه لم يتوقع رؤيته، وأنها كانت مفاجأة له، وقوله: (يَمْشِي وَحْدَه) يشير إلى أنه ظن أن الرسول ﷺ يريد أن يبقى منفرداً، وقوله (فَجَعَلْتُ أمْشِي) يوحي بالتخفي، ويؤكده قوله: (فِي ظلِّ القمَرِ) أي المكان الذي ليس فيه ضوء القمر ليخفي شخصه، واستمر يمشي لاحتمال أن يطرأ للنبي ﷺ حاجة فيكون قريباً منه قوله (فالتفت فرآني) الفاء تشير إلى سرعة تتابع الحدثين الالتفات، والرؤية، والفعل التفت يوحي بالمفاجأة (فَقَالَ: (مَنْ هَذَا؟) استفهام قد يكون على حقيقته كأنه رأى شخصه، ولم يتميز له، وقد يكون للإيناس والتلطف، وذكر أبي ذر ﷺ لاسمه الظاهر يرجح الأول، ويبين كيفية الرد على المستفهم عن الاسم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٣، ومسلم ٩٤/٣٣ بعد الحديث رقم ٩٩١ ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التفكر في آيات الله.

ثالثاً: من صفات الداعية: اليقظة والحذر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه:

لقد نال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين شرف لقاء النبي ﷺ فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه، وكان من ذلك حرصهم رضي الله عنهم على متابعته ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من فعل أبي ذر رضي الله عنه عندما رأى النبي ﷺ يمشي وحده فقال: فجعلت أمشي في ظل القمر، قال ابن حجر: (وإنما استمر يمشي لاحتمال أن يطرأ للنبي ﷺ حاجة فيكون قريباً منه)[1]، وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في متابعة النبي ﷺ والخوف عليه من أن يصيبه مكروه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا، فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي... إلخ))[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١١.

(٢) أخرجه مسلم ٣١.

قال النووي: (وقوله "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر، وإما بغيره)[١].

وعندما (سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك- زيد بن الدَّثنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه، وقد كان أسيراً عندهم: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي! فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً)[٢].

(وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولوظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير)[٣].

وقال ابن هشام: (قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة، أخبريني خبرك. فقالت: خرجت أول النهار وأن أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إلي. قالت: فرأيت على

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥/٥٠٥-٥٠٦.

(٣) المرجع السابق ٥/٨٣.

عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دُلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا. فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناسٌ ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان)[1].

(وقد تترس أبو دجانة رضي الله عنه يوم أحد دون رسول الله ﷺ بنفسه، يقع النبل على ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل)[2].

وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والذب عنه والخوف من أن يصيبه مكروه، فعلى الأمة الإسلامية أن تقتدي بصحابة رسول الله ﷺ في نصرته (وذلك بنصرة سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته، برد شبههم ودحض مفترياتهم وإظهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق، ويدخل في نصر الله ورسوله نصر الشريعة وأهلها والداعين إليها وتكثير سوادهم وإعانتهم على أمورهم، وقمع أعدائهم. ولا يتأتى هذا النصر ولا يتحقق إلا برفع علم الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم، فضلاً عن الجهاد في سبيل الله، وتطبيق شرعه المحكم في دق الأمور وجلها)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التفكر في آيات الله:

إن مما يشحذ الإيمان في القلوب، ويدعم الوجدان الديني لدى المؤمن، هو التدبر في آيات الله والتفكر في سننه وآلائه الكونية، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قول أبي ذر رضي الله عنه: "فجعلت أمشي في ظل القمر".

(والقمر هو آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته، وقد حث القرآن

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٨٣/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٩/٥.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٨٢/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤١٠/٥.

(٣) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ٨٢-٨٣.

الكريم على أن يعمل الإنسان عقله وفكره، وكل ما وهب الله له عز وجل من حواس بغية الوصول إلى كمال الإيمان به جل وعلا)[١].

فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾[٣].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٤].

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾[٥].

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾[٦].

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٧].

وقد شبه الحق تبارك وتعالى كل من لا يستخدم عقله وحواسه في التدبر والتفكر في آياته وآلائه، بالأنعام بل وأضل منهم فقال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) انظر: من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين ص ٦٦.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠١.

(٣) سورة الغاشية، الآيات: ١٧-٢٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) سورة ق، آية: ٦.

(٦) سورة سبأ، آية: ٩.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾[(١)].

ولقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في التفكر في آيات الله والتدبر في سننه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرُ قعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[(٢)] ثم قام فتوضَّأ واستنَّ فصلى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أَذَّنَ بلالٌ فصلى ركعتَين، ثم خرج فصلى الصبحَ))[(٣)].

فعلى المرء أن يمعن التدبر والتأمل في آيات الله وسننه، فيزداد إيمانه ويتأكد يقينه بربه، وفي ذلك عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- من صفات الداعية: اليقظة والحذر:

ويستفاد ذلك جلياً من قوله ﷺ "من هذا؟" فقلت: أبو ذر. وقد أمر الحق تبارك وتعالى باليقظة واتحاذ الحذر فقال: ﴿ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[(٤)] (فينبغي للداعية أن يكون حذراً فطناً، لا سيما إذا كان في مجتمع لا يأمن كيده أو بعض أفراده، فربما يكون الحذر في مثل هذه الحال واجباً، ولا يليق به التغافل والتساهل في مجتمع لا يأمن كيده لأن ذلك إلقاء بالنفس إلى التهلكة، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٥)]...، فعلى الداعية أن يكون حذراً متوقياً لما قد يحاك ضده من المكائد، وذلك دليل الكياسة والنباهة والفطنة)[(٦)].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٦٩، ومسلم ٧٦٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٦) صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، دار القاسم، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ص ٦٠.

الحديث رقم (٨٧٧)

٨٧٧- وعن أُمِّ هانىءٍ رضي الله عنها ، قالت: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: ((مَنْ هذِهِ؟)) فقلتُ: أنا أُمُّ هَانىءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم هانئ: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٦٥).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات القصد منه هو لازم هذا الخبر، وهو تقرير طريقة رد المستأذن على من سأله عن شخصه وقوله (من هذه؟) يشير السؤال إلى أنه تبين كونها امرأة، والسؤال ب (من) سؤال عن العاقل، والاستفهام عن ماهيتها، وقولها (أم هانيء) ذكرت الاسم الظاهر الذي يميزها أكمل تمييز، وهذا أحرى أن لا يوقع المخاطب في حيرة فالأمر يستلزم الوضوح حتى لا يفاجأ بمن لا يرغب فيه، وهو احترام للحرية الشخصية.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠ ، ومسلم ٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ٣.

(٢) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٦٥).

الحديث رقم (٨٧٨)

٨٧٨- وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: أتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) فَقُلْتُ: أنَا ، فَقَالَ: ((أنَا، أنَا!)) كَأنَّهُ كَرِهَهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هـذا الحـديث يقّوم خطـأ الـرد علـى المـستفهم، ويرشـد إلى الـرد الـسديد وراوي الحـديث هـوي بطـل الحـدث، وهـو صـاحب الخطـأ، وقـد نقـل الموقـف بدايـة بـالتعبير ب (أتيت) الدال على التحقق ثم الفعل المتصل بفاء التعقيب (دققت) المضعف الـذي يحكـي بتضعيفه قوة القبضة، وصوت الدق، وتعريف الباب بلام العهد للإشارة إلى الباب المعهود للرسول صلى الله عليه وسلم لأحد بيوته، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من هذا) سؤال محدد المقصود بيِّن المراد قول الراوي (فقلت أنا) عرَّف نفسه بالضمير غير معروف المرجع، لأنـه مجهـول بالـنسبة لمن في الدار، فلا يفي بغرض التعريف، ولا يجيب عن السؤال لذلك جاء قولـه (أنـا أنـا !) كررها للإنكار عليه - كما قال الطيبي - أي قولك أنا مكروه فلا تعد، والثاني تأكيد كأنه كرهها أي كلمة أنا؛ فإنه لم يستأذن بالسلام، بل بالدق، أو لأن قولـه (من هذا؟) استكشاف للإبهام، وقوله (أنا) لم يزل به الإشكال، والإبهام؛ لأنـه بيـان عند المشاهدة لا عند الغيبة، وكان حق الجواب أن يقول: جابر، أو أنا جابر.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٢٥٠، ومسلم ٢١٥٥/٣٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان إلى النبي ﷺ للاستزادة من الخير.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت إخوانه وسائر الناس.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند طلب الاستعلام عنه في الاستئذان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان إلى النبي ﷺ للاستزادة من الخير:

لقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الإتيان إلى النبي ﷺ كي يعينهم على نوائب الدهر، ويزيدهم من فضله، وهذا ما ورد في نص الحديث من قول جابر رضي الله عنه "أتيت النبي ﷺ"، (وقد بين أبو داود في روايته أنه رضي الله عنه ذهب إلى النبي ﷺ في دين أبيه)[1]، وهذا ما بينه البخاري من حديث عامر قال: ((حدثني جابر رضي الله عنه أنَّ أباهُ تُوفِّي وعليهِ دَينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إنَّ أبي تَرَكَ عليه ديناً، وليس عندي إلاّ ما يُخرِجُ نَخلهُ ولا يَبلُغُ ما يُخرجُ سنينَ ما عليه، فانطلقْ معي لكَيْ لا يُفحِشَ عليَّ الغُرماء. فمشى حولَ بيدرٍ من بَيادرِ التمرِ فدَعا، ثمَّ آخَرَ، ثمَّ جلسَ عليهِ فقال: انزِعوهُ، فأوفاهم الذي لهم، وبَقيَ مثلُ ما أعطاهم))[2].

قال ابن حجر: (وقوله "وليس عندي إلا ما يخرج نخله" يعني أنه لم يترك مالاً إلا البستان المذكور، والبيدر بفتح الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة للتمر كالجرن للحب...، وفي الحديث علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل، إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٨٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٨٦-٦٨٨.

وفي تأكيد حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان للنبي ﷺ والاستزادة من فضله وخيره، قال عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: ((إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ أبا عُبيدةَ بن الجرّاح إلى البحرَين يأتي بجزْيتها، فقَدِمَ أبو عبيدةَ بمالٍ منَ البحرَين، فسمِعَتِ الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة فوافقَت صلاةَ الفَجرَ معَ النبيِّ ﷺ، فلما صلى بهم الفَجرَ انصرفَ، فتعرَّضوا لهُ، فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ رآهم وقال: أظنُّكم قد سمعتم أنَّ أبا عبيدةَ قد جاء بشيء من البحرين، قالوا: أجل يا رسولَ اللهِ، قال: فأبشِروا وأمِّلوا ما يسرُّكم))[(١)].

ثانياً- من آداب المدعو: الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت إخوانه وسائر الناس:

إن مما يؤكد عليه نص الحديث هو تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، تحقيقاً للألفة ودفعاً لما يكون سبباً للفرقة والتنافر والتعدي على حقوق الآخرين، وهذا ما أكده نص الحديث في أهمية الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت الغير، وظهر ذلك من استئذان جابر رضي الله عنه على النبي ﷺ في الدخول، وذلك من قوله "فدققت الباب" فعلى المدعو أن يمتثل في ذلك لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(٢)] قال ابن العربي: (مد الله سبحانه وتعالى التحريم في دخول بيت ليس هو بيتك إلى غاية هي الاستئناس، وهو الاستئذان، قال ابن وهب: قال مالك: الاستئناس فيما نرى والله أعلم: الاستئذان، وكذا في قراءة أبي وابن عباس وسعيد بن جبير: "حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها")[(٣)] وقال السعدي: في قوله تعالى "ذلكم خير لكم" (أي الاستئذان المذكور "خير لكم لعلكم تذكرون" لاشتماله على عدة مصالح وهو من مكارم الأخلاق

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٢٥، ومسلم ٢٩٦١.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٣/١٣٥٨-١٣٥٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/١٨٨.

الواجبة، فإن أذن دخل المستأذن)[1].

وفي بيان آداب الاستئذان قال عبدالله بن بسر: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِنِ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوْ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُم، السَّلَامُ عَلَيْكُم، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ))[2]، وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع))[3] ومن آداب الاستئذان ألا يدق المستأذن الباب بعنف، لما في ذلك من سوء الأدب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافر))[4] قال ابن حجر: (وهذا محمول منهم على المبالغة في الأدب، وهو حسن لمن قرب محله من بابه، أما من بعد عن الباب بحيث لا يبلغه صوت القرع بالظفر، فيستحب أن يقرع بما فوق ذلك بحسبه)[5]. فعلى المدعو أن يتأدب بآداب الاستئذان استجابة لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ورد هذ الأسلوب في الحديث من سؤال النبي ﷺ لمن يستأذن عليه في قوله ﷺ "من هذا؟"، ومن إجابة المستأذن بقوله "أنا" حيث أفاد الأسلوب أهمية أن يعرف المستأذن نفسه بما يزيل الإبهام، حتى يعلم به المستأذن عليه.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند طلب الاستعلام عنه في الاستئذان:

إن من آداب الاستئذان التي أشار إليها الحديث، أن يعرف المستأذن نفسه للمستأذن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥١٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٨٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٤).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/١١.

عليه بما يزيل الإبهام عن شخصه، وهذا ما أكد عليه الحديث من كراهة النبي ﷺ لقول جابر "أنا" عند قول النبي ﷺ "من هذا"، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال الخطابي: قوله "أنا" لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعمله، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه)[1]، وقال النووي: (قال العلماء: إذا استأذن فقيل له: من أنت أو من هذا كره أن يقول أنا، لهذا الحديث، ولانه لم يحصل بقوله أنا فائدة ولا زيادة، بل الإبهام باق، بل ينبغي أن يقول فلان باسمه...، ولا بأس بقوله: أنا أبو فلان أو الشيخ فلان إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه)[2]، فينبغي أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند استئذانه على الغير.

---

(١) المرجع السابق ١١/٣٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يهدف الاستئذان في الإسلام إلى غايات شتى منها: العلم بالقادم، استعداد أو عدم استعداد من استأذن عليهم، الشعور بالإذن وعدم الإذن، فإذا سئل المستأذن عن اسمه أو أجاب بما هو غير محدد له فقد خالف المراد من مشروعية الاستئذان، ولهذا وردت أمور تربوية في أحاديث هذا الباب نذكر منها:

أولاً- القدوة:

من أظهر أساليب التربية: التربية بالقدوة، وهي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها "ولها أكبر الأثر في بناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سلم الكمال السلوكي، فالقدوة الصالحة هي من أنجح أساليب التربية ووسائلها في بناء الشخصية الإسلامية خصوصاً في مرحلة الاكتساب، وهي فترة الطفولة، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدى بها أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسِّيَر الصالحة التي يسمعها"[1].

وقد ورد أسلوب القدوة مبثوثاً في أحاديث الباب وطياته، كما في حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء، وذكر استئذان جبريل، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك..." وكذلك في حديث أم هانئ رضي الله عنها قالت: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ".

"وإذا كان للقدوة الدور الأكبر في التربية والتوجيه لمختلف فئات المجتمع، فإن هذا الدور يزداد أهمية في تربيته الناشئة وتوجيههم وتكمن الأهمية في أسباب أهمها:

أ-أن مستوى الفهم عند الأطفال قليل، ولذلك تكون رؤيتهم لما يُفْعَل أوقع في نفوسهم.

ب-أن القدوة الحسنة تقرب البعيد، وتوحي بأن المستحيل والصعب -في نظر

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٧٧.

الأطفال- قد يكون ممكناً بدليل أن غيرهم قد فعله وشاهد الأطفال ذلك بأعينهم.

ج-أن الطفل بحكم ضعفه يلجأ إلى الكبار مثل والديه وإخوته ومعلميه لحمايته، فيقلدهم من منطلق العادة، فالضعيف غالباً ما يقلد القوي في أفعاله.

د-أن الطفل يحب تقليد الأشياء التي يستحسنها.

هـ-أن الطفل يحب تقليد من يعجب بهم من الناس، سواء أكانوا أقارب أم جيران أم غير ذلك[١].

"ومن هنا كانت التوصية دائماً بأن يكون المعلم مثالاً طيباً أمام تلاميذه في هندامه، وفي حديثه، وفي حركته وفي سكناته، وفي وقوفه، وجلوسه، فهم يتشربون منه كل تصرفاته ولو بدون شعور، وكذلك الحال بالنسبة للآباء والأمهات إذ أنهم أول قدوة أمام الإنسان منذ طفولته، يتعلم منهم العادات والسلوكيات، ويقوم بتقليدهم في كثير من الأمور، فبصفة عامة يجب على المربي أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به حيث يربي على هديه، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وفعله وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ويتأسوا به في كل سلوكياته وأخلاقه"[٢].

ثانياً- الوضوح والابتعاد عن الإبهام والغموض:

إن من خصائص التربية الإسلامية وسماتها التي لا تنفك عنها، الوضوح والبعد عن أساليب الغموض واللبس والإبهام، وذلك في كل شيء كان في التلقين والبناء المعرفي أم كان ذلك في السلوك والتطبيق العملي، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من سلوك جبريل عليه السلام بذكر اسمه والإفصاح عن شخصيته لما استأذن وطُلِب منه التعريف بنفسه "فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد"، وكذلك في تعريف أبي ذر رضي الله عنه بنفسه وكذلك أم هانئ رضي الله عنها، كما نرى إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما عندما تلفظ بكلمة عامة لا تفصح عن شخصية صاحبها، فعنه رضي الله عنه قال

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٤٨/٢.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص١٢٥.

أتيت النبي ﷺ، فدَقَقت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت أنا، فقال أنا أنا. كأنه كرهها"، إذ أنه "لم يحصل بجوابه "أنا" سوى زيادة الإبهام"[١].

لذا ينبغي أن يكون الوضوح منحاه وسمته الملازمة له في التربية والتعليم، إذ أن التربية إذا لم تتضح معالمها ولم تبرز مضامينها شق على المتربي التواصل مع معلمه ومربيه وباءت العملية التربوية بالفشل.

إن التربية الإسلامية تميزت عن غيرها بالوضوح والظهور، وإنما استمدت التربية هذا الوضوح من رسالة الإسلام المتميزة "بوضوحها في أصولها وقواعدها ومصادرها وأهدافها ومناهجها ووسائلها، كما يتمثل هذا الوضوح في كل أوامرها وأحكامها"[٢].

ثالثاً- الحيطة والحذر:

إن مما ينبغي مراعاته في التربية بل في جميع مناحي الحياة أخذ الحيطة والحذر خاصة إذا ما خشي الإنسان من التهلكة أو الانجرار إلى مفسدة.

ويمكن لنا أن يترائى ذلك المضمون في أثناء أحاديث الباب حيث أرشدت إلى الاستئذان والتعريف الصريح والإفصاح عن شخصية المستأذن والإجابة إذا سُئِل عن ذلك كما هو واضح في حديث الإسراء "فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل..."، وكذلك حديث أم هانئ رضي الله عنها "فقال من هذه؟ فقالت: أنا أم هانئ" وتظهر صورة أخذ الحذر بصورة أشد في حديث أبي ذر رضي الله عنه، فقال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتَفَتَ فرآني فقال من هذا؟ فقلت: أبو ذر..." حيث كان أبو ذر رضي الله عنه يمشي في ظل القمر، وذلك مما "يجعل للإنسان تبين شخصية هذا السائر في ظل القمر فالتفت النبي ﷺ فرآه فسأله عن نفسه، وفي ذلك الإرشاد إلى التعرف على السائر والمتواجد في الأماكن المظلمة أو النائية خوفاً من أن يكون من

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٩١.

(٢) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار، ص١٩٤.

الأعداء والاحتراز من الأعداء ما أمكن"[١].

واتخاذ الحيطة والحذر إنما هو ناشئ عن حاجة الإنسان وتطلعه للأمن، فهو حاجة كل كائن إنساني، إذ أن كل إنسان يسعى إلى الطمأنينة والأمن والشعور بعدم التهديد.

إن الإحساس والشعور بالأمن له أكبر الأثر في إنجاح العملية التربوية والتعليمية، إذ أن افتقاد المتربي لإشباع حاجته من الأمن يثير عنده بعض الاضطرابات والقلق"[٢].



(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٩١.

(٢) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان، ص٩٥-٩٧.

١٤٢- باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تَعَالَى وكراهة تشميته إذا لَمْ يحمد الله تَعَالَى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

الحديث رقم (٨٧٩)

٨٧٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءبَ أحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التشويق المفضي إلى ترسيخ المعاني، حيث تقدمته لافتة قصيرة تخبر بمحبة الله لشيء، وكرهه لشيء، وهما من الأفعال التي يأتيها الإنسان، وتعلق الفعل بالله يجعل المؤمن في قمة اليقظة، وقد تصدره التوكيد بأكثر من مؤكد تنبيهاً إلى أهمية الخبر، أو لكون الخبر فيه غرابة من بعض الوجوه التي لم يعرفها المخاطبون، وبين قوله يحب، ويكره طباق يقرر المرضي عند الله، ويوضح المكروه ترغيباً للمؤمن في محبة ما يحب، ورد ما يكره، وبين العطاس، والتثاؤب ما يشبه التضاد من حيث أن أحدهما محبوب، والآخر مكروه، وأسلوب الشرط بعدها يقرر ما يجب على المؤمن تجاه هذا التصرف الفطري، عن طريق فعل الشرط، وما عطف عليه: (فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى) وجواب الشرط الذي يمثل تجاوب المؤمن مع أخيه في كل ما يعرض له، في صورة من صور الإنسانية الرقيقة (كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ

---

(١) برقم ٦٢٢٦.

مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ) بل إنه جعله حقاً لازما أن يدعو له بهذا الدعاء الحنون بل العجب أنه جعله حقاً عاماً شاملاً على كل من سمعه، وجملة: (يرحمك الله) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى لأنها دعائية، وقوله (وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ) أما تفصيلية، والمعنى في العبارة مبني على أسلوب القصر الذي يقصر التثاؤب على كونه من الشيطان، مما يقتضي الحذر عنده، ولذلك وضع له الحل عن طريق الشرط (فَإِذَا تَثَاءبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ) وقوله (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءبَ) جملة تعليلية تحذر من تلاعب الشيطان بالإنسان، وقوله: (ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ) كناية عن رضاه بما حدث لأنه نال منه ما يريد، ويحتمل أن يكون الضحك على الحقيقة، وهي صورة تجعل الإنسان يفكر ملياً عند إتيان فعل يجعل عدوه ضاحكاً بملأ فيه.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكمين هما حكم العطاس وحكم التثاؤب، فالعطاس من الله عز وجل، وأما التثاؤب فهو من الشيطان، والله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب.

أولاً: حكم تشميت العاطس: اختلف الفقهاء في حكم تشميت العاطس، فذهب الأحناف إلى أن تشميت العاطس واجب إن حمد الله تعالى، ويجب التشميت لمرة واحدة وما زاد على ذلك فمندوب، وقيل يشمت العاطس ثلاث مرات وبعد ذلك هو بالخيار[1].

وذهب المالكية، وهو المذهب عند الحنابلة، إلى أن تشميت العاطس واجب على الكفاية، بحيث إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وذلك بعد سماع حمده، أما عند الشافعية فإن التشميت سنة[2]. وإذا لم يسمع حمد العاطس فلا يشمته إلا أن يرى

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٦٩/٢، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٢٦/٥.

(٢) الشرح الصغير ٧٦٤/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٨/٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٢٦/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/١٢-٢٧.

تشميت الناس له فيشمته، ويسقط طلب تشميت العاطس بعد ثلاث مرات، ويقول له بعد ذلك عافاك الله إنك لمضنوك. ولا يسقط طلب الحمد عن العاطس ولو بعد ثلاث[1].

أما عن تشميت العاطس وقت الخطبة فقد اختلف الفقهاء في حكمه: فقد ذهب الأحناف إلى كراهة تشميت العاطس، لأن التشميت ليس بفرض فلا يترك الفرض لأجله[2]. وذهب الشافعية في الوجه الصحيح إلى تحريم تشميت العاطس وقت الخطبة، والوجه الثاني استحباب التشميت، والوجه الثالث يجوز ولايستحب. وحكى الرافعي وجهاً أنه يرد السلام ولا يشمت، لأنه سنة فلا يترك الإنصات الواجب[3]. وذهب الحنابلة في الرواية الأولى إلى وجوب التشميت فقد فعله غير واحد، ورخص في ذلك: الحسن والشعبي والنخعي والحكم وقتادة والثوري وإسحاق، لأنه واجب فوجب الإتيان به حال الخطبة. والرواية الثانية: إذا سمع الخطبة فلا يشمت وإذا لم يسمع شمت[4]. وذهب الظاهرية إلى أن تشميت العاطس بعد الحمد وأثناء الخطبة فرض، لأنه الله افترض على المسلم تشميت العاطس[5].

ومن آداب العاطس: أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه يميناً ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك[6].

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٩٩/٢. وذكر ابن دقيق العيد عن بعض الشافعية أنه قال: يكرر التشميت إذا تكرر العطاس، إلا أن يعرف أنه مزكوم فيدعو له بالشفاء، عند هذا يسقط الأمر بالتشميت عند العلم بالزكام. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢/١٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٩٢/١.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٤/٤.

(٤) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٦/٢.

(٥) المحلى بالآثار، ابن حزم ٢٦٨/٣.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/١٢-٢٨.

ثانياً: حكم التثاؤب: صرّح العلماء بكراهة التثاؤب، فمن اعتراه ذلك فليكظمه، وليرده قدر الطاقة لقوله ﷺ: "فليردّه ما استطاع"، كأن يطبق شفتيه أو نحو ذلك. فإذا لم يستطع وضع يده على فمه لقوله ﷺ "إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل" ويقوم مقام اليد كل ما يستر الفم كخرقة أو ثوب مما يحصل به المقصود، ثم يخفض صوته ولا يعوي، ويمسك عن التمطي والتلوي الذي يصاحب بعض الناس[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بحب الله تعالى للعطاس وكراهية التثاؤب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حمد الله تعالى بعدالعطاس وتشميت الناس للعاطس.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في تأكيده ﷺ على حب الله للعطاس، وكرهه تعالى للتثاؤب لكونه من الشيطان، وذلك في قوله ﷺ "إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب"، وأيضاً في قوله "فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان" والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية للتأكيد على أهمية وتقوية الأمر المدعو إليه لترسيخه في أذهان المدعوين، وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بحب الله تعالى للعطاس وكراهية التثاؤب:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "إن الله يحب العطاس" لأنه سبب خفة الدماغ وصفاء القوى الإدراكية، فيحمل صاحبه على الطاعة

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٣٣/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٥٦/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٤٥/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤١/١٠.

"ويكره التثاؤب" لأنه يمنع صاحبه عن النشاط في الطاعة، ويوجب الغفلة، ولذا يفرح به الشيطان، وهو المعنى في ضحكه...، وقال القاضي: التثاؤب بالهمز، التنفس الذي يفتح عنه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس، ويورث الغفلة والكسل وسوء الفهم، ولذا كرهه الله، وأحبه الشيطان وضحك منه)[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: إضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي أن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه. لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب، وقال ابن العربي: قد بينا أن كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته، وأن كل فعل حسن نسبه الشرع إلى الملك لأنه واسطته، قال: والتثاؤب من الامتلاء، وينشأ عنه التكاسل، وذلك بواسطة الشيطان، والعطاس من تقليل الغذاء وينشأ عنه النشاط وذلك بواسطة الملك. وقال النووي: أضيف التثاؤب إلى الشيطان لأنه يدعو إلى الشهوات، إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك، وهو التوسع في المأكل)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حمد الله تعالى بعد العطاس وتشميت الناس للعاطس:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وفي بيان ذلك قال ابن هبيرة: (إن العطاس يستدعي حمد الله سبحانه وتعالى، والحمد على أثره مشروع، ولأنه دليل على ظهور القوى ونهوضها، وعلى دفع فضلات البدن، وأبخرة الرأس)[3].

قال ابن حجر: (نقل ابن بطال عن الطبراني أن العاطس يتخير أن يقول الحمد لله، أو يزيد رب العالمين، أو على كل حال، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزي،

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٧٨/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٧/١٠.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٣/٧.

لكنه ما كان أكثر ثناء، أفضل بشرط أن يكون مأثوراً)[١].

وقال النووي: (في كتابه "الأذكار" اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه الحمد لله، ولو قال الحمد رب العالمين لكان أحسن، فلو قال الحمد لله على كل حال كان أفضل)[٢].

وقال ابن عثيمين: (والعطس يدل على الخفة والنشاط، لهذا كان محبوباً إلى الله، وكان مشروعاً للإنسان إذا عطس أن يقول الحمد لله؛ لأنها نعمة أعطيها فليحمد الله عليها، فيقول: الحمد لله إذا عطس، سواء أكان في الصلاة أو خارج الصلاة في أي مكان كان، إلا أن العلماء يقولون: إذا عطس -وهو في الخلاء- فلا يقول بلسانه "الحمد لله"، ولكن يحمد بقلبه؛ لأنهم يقولون -يرحمك الله- إن الإنسان لا يذكر الله في الخلاء، فإذا عطس الإنسان وحمد الله كان حقاً على كل من سمعه أن يقول له: "يرحمك الله" فيدعو له بالرحمة جزاء له على حمده لله عز وجل، فإنه لما حمد الله كان من جزائه أن إخوانه يدعون له بالرحمة)[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك:

يظهر ذلك جلياً في الحديث من قوله ﷺ "فإذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان"، قال ابن هبيرة: (لأن التثاؤب يوسع على الشيطان طريق ولوجه، فإنه على ما ذكر الشيخ محمد بن يحيى: أنه يدخل الشيطان إلى باطن الآدمي من مجاري النفس؛ لأنه قال: هو جسم لطيف يناسب الجو، فإذا فتح التثاؤب فكي العبد، أوسع طريق دخوله، ويصدق ذلك ما ذكر في الحديث، فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٧/١٠.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٤/٧.

وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ "فليرده" ما استطاع" أي يأخذ في أسباب رده)[1] وقال المباركفوري في بيان الحكمة من ذلك: (لأن التثاؤب يمنع صاحبه عن النشاط في الطاعة، ويوجب الغفلة، ولذا يفرح به الشيطان وهو معنى ضحكه)[2]. وقال ابن عثيمين ذلك: (...، والشيطان يحب من بني آدم أن يكون كسولاً فتوراً، أعاذنا الله وإياكم منه - ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائماً في حزم وقوة ونشاط، فإذا جاءك التثاؤب، فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة، وهذا هو الأفضل وإن لم تقدر فضع يدك على فمك)[3]، وفي ذلك بيان على ضرورة الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٧/١٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٧٨/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

الحديث رقم (٨٨٠)

٨٨٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله. فإذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه قام على أسلوب الشرط، وهو من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى؛ لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وأسلوب الحديث يعوِّل على خصيصة نفسية تقوم على التجاوب الحي الفعال بين المسلمين في تبادل للذكر، والكلام الطيب كتبادل أطايب الثمر، فقوله (إذا عطس أحدكم) ولفظ أحد المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع يشمل الجميع بالحكم، وجواب الشرط (فليقل الحمد لله)، وهذا الجزء متعلق بالعاطس، والأمر الثاني يتعلق بالسامع (وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله) وتقديم الجار والمجرور للاختصاص، والتعبير بلفظ الأخوة تذكير بهذه الصلة التي يجب أن تجمع المؤمنين، وما أجمل المفردات التي انطوى عليها الحديث! (الرحمة - الهداية - الصلاح) أمور تحقق السعادة في الدنيا، والآخرة والتعبير بصلاح البال؛ لأنه يعم صلاح حال الإنسان، وصلاح قلبه، فهو يتضمن صلاح الظاهر، والباطن.

---

(١) برقم ٦٢٢٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانياً: من آداب المدعو: حمد الله تعالى بعد العطاس.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامساً: من آداب المدعو: الاستفسار والاستيضاح عما أشكل عليه.

سادساً: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في تشميت العاطس.

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

قد ورد أسلوب الشرط في الحديثين من قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله"، وأيضاً في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تستحضر أذهان المدعوين لمعرفة فعل الشرط وجوابه الوارد في قوله ﷺ "فليقل: الحمد لله" وأيضاً قوله فحمد الله "فشمتوه"، أما الأمر فقد ورد في الحديثين من قوله ﷺ "فليقل" وأيضاً في قوله "فشمتوه" وهو من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على حمل وإرشاد المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه.

ثانياً- من آداب المدعو: حمد الله تعالى بعد العطاس:

(إن حمد الله إثر العطاس مشروع، لما فيه من ظهور القوة ونهوضها، فضلاً عن دفع فضلات البدن، وأبخرة الرأس)[2]، وهذا ما أكد نص الأحاديث الثلاثة في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله" وأيضاً في قوله ﷺ: "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه". وفي حديث أنس: تشميته ﷺ لَمَنْ حمد الله، وقال عنه: هذا حمد لله.

قال ابن حجر: (ظاهر الحديث - إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله - يقتضي وجوبه لثبوت الأمر الصريح به، ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه، وأما لفظه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨١، ٨٨٢).

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٣/٧.

فنقل ابن بطال وغيره عن طائفة أنه لا يزيد على الحمد لله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الوارد شرحه، وعن طائفة يقول الحمد الله على كل حال)[1] وذلك استناداً لقوله ﷺ ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ الْحَمدُ للَّه عَلَى كلِّ حَالٍ))[2]، وقال القاضي عياض رضي الله عنه: (اختلف العلماء في كيفية الحمد والرد، واختلفت في ذلك الآثار، فقيل: يقول الحمد لله، وقيل: الحمد لله رب العالمين، وقيل الحمد الله على كل حامل. وخيّره الطبري فيما شاء من ذلك، ولا خلاف أنه مأمور بالحمد)[3].

وقد بيّن الحليمي: (أن الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس، أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لمافيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع)[4].

وهذا ما أكدته الحقائق الطبية في بيان (أن العطاس هو زفير قوي مفاجيء، يخرج مع الهواء بقوة من الرئتين عن طريق الأنف والفم، فيجرف معه في طريقه الغبار والهوام والجراثيم، التي تسربت سابقاً إلى جهاز التنفس... فحق على المرء أن يحمد الله على العطاس)[5].

وقال ابن جمرة: (وفي الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس، يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس، ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحساناً، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه، حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٥/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٧٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٠٢).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٢/٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦١٨/١٠.

(٥) الحقائق الطبية في الإسلام، د. عبدالرزاق الكيلاني ص ١٥٥.

عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله...)[١] فيأتي حمد العاطس إقراراً منه على عظيم فضل الله وكرمه له.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى:

إن مما أكد عليه نص الأحاديث، "واجتمع عليه العلماء، هو تشميت العاطس إذا حمد الله"[٢]، وذلك في الأحاديث من قوله ﷺ: "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله" وأيضاً في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه" وتشميته ﷺ في الحديث الثالث لمن حمد الله وتركه لمن لم يحمد الله وعندما سأله من لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست فلم تشمتني فقال: "هذا حمد الله فشمته، وإنك لم تحمد الله" و(التشميتُ -بالشين والسين-: الدعاء بالخير والبركة - والمعجمة أعلاهما- يقال شمت فلاناً، وشمت عليه تشميتاً، فهو مُشَمِّت، واشتقاقُه من الشوامِت وهي القوائم؛ كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى، وقيل: معناه: "أبعدك الله عن الشماتة، وجنبك ما يشمت به عليك")[٣].

وقال ابن علان: (شمته: أي دعا له أن يجمع شمله، وقيل من الشماتة وهي فرح الشخص بما يسوء عدوه، فكأنه إذا حمدالله أدخل على الشيطان ما يسوءه، فشمت هو بالشيطان، وقال أبوبكر بن العربي: تكلم أهل اللغة في اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه وهو بديع؛ وذلك أن العاطس ينحل كل عضو في رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه، فكأنه إذا قيل له: يرحمك الله، كان معناه أعطاك رحمة يرجع بها بدنك إلى حاله قبل العطاس، ويقيم على حاله من غير تغيير، فإن كان التشميت بالمهملة فمعناه: أرجع كل عضو إلى سمته، الذي كان عليه، وإن كان بالمعجمة فمعناه: صان الله شوامته؛ أي: قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال)[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤١/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٥/١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٩١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٠٥-١١٠٦.

وقد بين القاضي عياض: (أن لفظ التشميت يكون بقول: يرحمك الله، وقيل: يقول الحمد لله، يرحمك الله. وقيل: يقول يرحمنا الله وإياكم)[(١)] وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال ((كان حَقاً على كل مسلمٍ سمعه أنْ يقولَ له يَرحمك الله))[(٢)] وقال ﷺ ((حقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ثم ذكر ﷺ من ذلك: وتشميتُ العاطِسِ))[(٣)]، وقد بين ابن دقيق العيد حكمة مشروعية التشميت في قوله: (من فوائد التشميت تحصيل المودة، والتأليف بين المسلمين، وتأديب العاطس بكسر النفس عند الكبر، والحمل على التواضع، لما في ذكر الرحمة من الإشعار بالذنب، الذي لا يعرى عنه أكثر المكلفين)[(٤)].

وقد أشار الحديث إلى عدم تشميت العاطس إن لم يحمد الله في قوله ﷺ فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه وأيضاً من قول أنس رضي الله عنه "عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، ... إلخ".

قال ابن حجر: (قال النووي: مقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت. قلت: هو منطوقه، لكن هل النهي فيه للتحريم أو للتنزيه؟ الجمهور على الثاني، قال: وأقلُّ الحمد والتشميت أن يُسمع صاحبه، ويؤخذ منه أنه إذا أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت)[(٥)].

وقال النووي: (...، وكذا لو حمد الله تعالى ولم يسمعه الإنسان لا يشمِّته، فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض، فالمختار أن يُشمته من سمعه دون غيره، وحكى ابن العربي خلافاً في تشميت الذين لم يسمعوا الحمد إذا سمعوا تشميت صاحبهم، فقيل يشمته لأنه عرف عطاسه وحمده بتشميت غيره، وقيل لا يشمته لأنه لم

---

(١) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٢/٨.

(٢) اخرجه البخاري ٦٢٢٦، ومسلم ٢٩٩٤.

(٣) اخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٦١٨/١٠.

(٥) المرجع السابق ٦٢٦/١٠.

يسمعه)[١]، وقال ابن عثيمين: (وفي هذه الأحاديث دليل على أن من عطس ولم يقل: الحمد لله فإنه لا يقال له: يرحمك الله، لأن النبي ﷺ عطس عنده رجلان: أحدهما قال له النبي ﷺ "يرحمك الله" والثاني لم يقل له ذلك، فقال الثاني: يا رسول الله عطس فلان: فقلت له "يرحمك الله، وعطست فلم تقل لي ذلك؟ قال –أي الرسول الكريم ﷺ: "هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله". وعلى هذا إذا عطس إنسان ولم يحمد الله فلا تقل له: يرحمك الله)[٢]، وقال النووي: (واعلم أنه إذا لم يحمد الله أصلاً يُستحب لمن عنده أن يذكره الحمد، هذا هو المختار، وقد روينا في معالم السنن للخطابي نحوه عن الإمام الجليل إبراهيم النخعي، وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف، والتعاون على البر والتقوى، وقال ابن العربي: لا يفعل هذا وزعم أنه جهل من فاعله. وأخطأ في زعمه، بل الصواب استحبابه لما ذكرناه)[٣].

رابعاً– من وسائل الدعوة: التعليم:

(يعد التعليم وبحق من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية، لما فيه من تمكن الداعية من المدعو وسيطرته عليه، بما يتيح للداعية الفرصة ببث روح الإسلام وأفكاره وتعاليمه وحدوده في المتعلم)[٤]، وهذا ما ظهر جلياً في الأحاديث الثلاثة من تعليمه ﷺ للصحابة حول ما يقوله المرء إذا عطس، وما يقال له عند تشميته، (ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لأنه كان يعلم أن الجهل أساس كل داء)[٥].

والدعاة إلى الله لهم في رسول الله القدوة والأسوة الحسنة، فينبغي عليهم أن يحرصوا على تعليم المدعوين، وخاصة أنهم علموا حقيقته وانشرح صدرهم له.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٦٣/٢.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٧.

(٤) وسائل الدعوة مفهومها، مشروعيتها، أنواعها، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤٤.

(٥) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان، ٧٥.

والاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير، وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء.

ذلك ما يفرضه الحق على أصحابه، ألا يجعلوه حكرًا، وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدًا عن هداه.

ليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار، وإيضاح الخفي، وشرح المبهم، فالعلم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها، لتمتلئ صدروهم بأنفاس الحقيقة الرحبة[١].

خامساً- من آداب المدعو: الاستفسار والاستيضاح عما أشكل عليه:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "فقال الذي لم يُشمِّته: عطس فلان فشمَّتَّهُ، وعطست فلم تشمتني؟ ... إلخ" قال ابن حجر: (فيه جواز السؤال عن علة الحكم وبيانها للسائل، ولا سيما إذا كان له في ذلك منفعة)[٢].

وقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على سؤال النبي ﷺ عن كل ما أشكل عليهم، وقد جاءت السنة مستفيضة بذلك، وكان منها، قول عائشة رضي الله عنها: ((سُئل رسولُ الله ﷺ عن البتع فقال: كلُّ شرابٍ أسكرَ فهو حرام))[٣]، (والبتع هو نبيذ العسل وهو شراب أهل اليمن)[٤].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالسؤال والاستفسار عما أشكل على المرء، فقال ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥] قال السعدي: (فهذه الآية وإن كان سببها

(١) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦٠٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٢، ومسلم ٢٠٠١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧.

خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنه عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعليم، والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم، والإجابة عما علموا، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل، وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)[1]، وقد حض النبي ﷺ على ذلك فقال ((ألاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[2] فعلى المدعو أن يسأل ويستوضح ما أشكل عليه، حتى يكون على بينة من أمر دينه.

سادساً- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في تشميت العاطس:

هذا ما يجب على المدعو القيام به، لأن الحق تبارك وتعالى أمر بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3] وقال السعدي في ذلك: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهي عنه)[4]، فعلى المدعو أن يستجيب لتوجيهات النبي ﷺ في تشميت العاطس.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٨٨١)

٨٨١- وعن أَبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقولُ: ((إِذَا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فشمتوه: من التشميت: وهو الدعاء للعاطس بالخير كأن يقول له: يرحمك الله[٢].

الشرح الأدبي

المعنى في هذا الحديث متصل بسابقه مؤكد لجزء كبير من معناه، ويضيف مع الأمر بتشميت العاطس شرط حمد الله، وفعل الشرط هنا في الماضي الدال على التحقق مع قيده (عَطَسَ أحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهَ) وجواب الشرط فعل الأمر (فشمتوه) الذي يقتضي الفور، واللزوم، كما أن فعل الشرط للمفرد، وجوابه للجماعة، وفي هذا إشارة إلى تجاوب الجماعة مع الفرد تجاوباً في الصغيرة يشير إلى تمام الاستعداد للتجاوب في الكبيرة مما يحقق التماسك، والتكافل للأمة، ثم عرض الصورة المقابلة لصورة الاحتشاد، والالتفاف حول هذا المؤمن الذي أدى ما عليه من حق لله بذكره، وإتباع لسنة نبيه ﷺ وهي صورة المقصر الذي ترك ذكر الله، وأهمل سنة رسوله عند العطس فأهملته الأمة بنهي الرسول ﷺ (فَإنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ) نهياً عاماً يجعله في الحدث وحده.

المضامين الدعوية[٣]

(١) برقم ٢٩٩٢/٥٤.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٨٢)

٨٨٢- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: ((هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ الله)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شَمَّتَ: دعا له بالخير والبركة بقوله: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث بيان عملي لمعنى الحمد عند العطس، وتشميت العاطس إذا حمد الله يقوم على الحوار الذي يقرر المعنى بطريقة عملية تعطيه وضوحاً في الذهن، وثباتاً مع الزمن، وقد بدأ الحوار إثر حدث اشترك فيه رجلان، وافترق تصرف الرسول ﷺ في التجاوب معهما، وهو موقف يثير علامة استفهام في نفس الرجل فخرجت استفهامة تبحث عما يذهب قلقها، وحيرتها (عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟) وهو استفهام يحمل تعجباً، وحيرة عن سبب إهماله، فجاءت إجابة الرسول ﷺ لتشفي نفسه من الحيرة التي تشتعل فيها، وتبين تقصيره، والسبب الذي حرمه تشميت الرسول ﷺ له، ودعاء الرسول ﷺ له بالرحمة، وهو لا محالة مستجاب، (هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ الله) واستخدام الإشارة للمدح بتمييزه بفعل الحمد، وذكر لفظ الجلالة في الجملتين لتربية المهابة في وجدان المخاطب.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٥، ومسلم ٥٣/٢٩٩١.

(٢) النهاية والوسيط في (ش م ت).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨٠، ٨٨١).

الحديث رقم (٨٨٣)

٨٨٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ -أَوْ غَضَّ- بِهَا صَوْتَهُ. شك الراويُّ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الكينونة الماضي رجوع إلى الزمن الجميل عند الجيل الراشد مع معلم الزمان ﷺ ليصور مشهداً من حياته، وصورة من تصرفاته تقتدي بها الأمة في القليل، والكثير في كل زمان، ومكان، وفعله عند العطس صورة من الأدب العالي الذي يراعي مشاعر من حوله، وقد صدر المعنى في صورة الشرط المرتبط بالجواب الذي يدل على أنها صارت عادة عنده، ومن ثم أصبحت سنة لأمته، وتردد الراوي بين اليد أو الثوب، وبين الخفض، أو الغض يشير إلى تحريهم، ودقتهم في إثبات ما تيقن لديهم، ونقل الشك فيما ترددوا فيه خوفاً من أن يقعوا في الكذب على رسول الله بنسبة ما لم يقل إليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هديه ﷺ في العطاس والاقتداء به في ذلك.

ثانياً: من اساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هديه ﷺ في العطاس:

لقد بيّن نص الحديث هدي النبي ﷺ في العطاس وذلك من قول الراوي: (كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض - أو غض - بها صوته)،

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له ٥٠٢٩، والترمذي ٢٧٤٥ والراوي الذي شكّ، هو يحيى. قال ابن حجر في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٢/١٠: إسناده جيدٌ.

وفي بيان ذلك قال المباركفوري: (كان ﷺ إذا عطس "غض" أي خفض "بها" أي: العطسة "صوته" والمعنى لم يرفعه بصيحة)[١]، وقال ابن حجر: "ومن آداب العاطس أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه - يميناً ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك - قال ابن العربي: الحكمة من خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه إزعاجاً للأعضاء، وفي تغطية الوجه أن لو بدر منه شيء آذى جليسه، ولو لوى عنقه صيانة لجليسه لم يأمن من الالتواء، وقد شاهدنا من وقع له ذلك"[٢].

وقال ابن عثيمين مؤكداً وموضحاً لذلك: "إنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه على وجهه، قال أهل العلم: وفي ذلك حكمتان: الحكمة الأولى: أنه قد يخرج مع العطاس أمراض تنتشر على من حوله، والحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقذر منه النفوس، فإذا غطى وجهه صار ذلك خيراً، ولكن لا تفعل ما يفعله بعض الناس بأن تضع يدك على أنفك، فهذا خطأ؛ لأن هذا يحد من خروج الريح التي تخرج من الفم عند العطاس، وربما يكون في ذلك ضرر عليك"[٣].

ثانياً- من اساليب الدعوة: الإخبار:

هذا ما يظهر جلياً في الحديث من إخبار الراوي بهديه ﷺ في العطاس، حيث أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث أهمية التأسي بالنبي ﷺ في مراعاة آداب العطاس، من وضع اليد أو الثوب على الفم، فضلاً عن خفض الصوت في ذلك، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، بما يحقق عظيم الأثر في تربية النفوس وتهذيبها.

وقد رغّب الحق تعالى في الدعوة إليه والتبليغ عنه فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦١٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٦٢ - ١١٦٣.

إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، قال ابن كثير: "أي: دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدٍ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير، وهو في نفسه مهتدٍ"[2].

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٧.

الحديث رقم (٨٨٤)

٨٨٤- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رسول اللهِ ﷺ ، يَرْجُونَ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله، فَيَقُولُ: ((يَهْدِيكم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

يتعاطسون: يظهرون العطاس بالإتيان بصوت يشبهه أو يتسببون له بنحو كشف الرأس[2].

الشرح الأدبي

اليهود أهل مكر ن وخداع يتوارثونه جيلاً بعد جيل يخادعون الله، ورسوله، وهو خادعهم، لا يتخلون عن المكر، والخداع حتى مع أنبياء الله الذي لا يشكُّون في نبوتهم، وينزل عليهم الوحي، فهم جهلاء قساة القلوب إذا استطاعوا، وأهل جبن، وخور، واستكانة إذا مُلكوا، وهم أهل بخل، وحرص إذا َملكوا، وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويدل عليه تعبير الراوي بقوله (يَتَعَاطَسُونَ) أي يدعون العطس، وليس بهم، ووزن الفعل على (التفاعل) الذي يدل على التكلف، والتعمل لإتيان فعل العطس خداعاً للرسول ليدعوا لهم إيماناً منهم في قرارة أنفسهم انه رسول مستجاب الدعوة يدل على ذلك قول الراوي (يَرْجُونَ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله)، ومع ذلك لا يؤمنون بهم كبراً، وعناداً بل ويحاولون خداعه، وهم يعلمون أن الوحي ينزل عليهم فتأمل ذلك التناقض تدرك جانباً من شخصية اليهودي المضطربة المتقلبة في ألوان الشر،

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٣٨، والترمذي واللفظ له ٢٧٣٩. وقال الحاكم ٢٦٨/٤: هذا حديثٌ متصل الإسناد.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٠.

والرسول ﷺ يعلم ما تنطوي عليهم نفوسم المريضة فيعاملهم بأدبه العالي، وبما يعكس مرادهم فيقول (يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ) دعوة بصلاح عقائدهم من الضلال، والغي، وقلوبهم من النفاق، والحقد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الدعاء لغير المسلمين بالهداية وإصلاح الحال.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: هداية الناس إلى الإسلام.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

لقد اتسمت الدعوة الإسلامية بالعالمية، وشملت الرسالة المحمدية الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٣)، فهذه الآيات وغيرها تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وقد كان ممن شملتهم هذه الدعوة العالمية، اليهود، وهذا ما أكد عليه الحديث من أن اليهود كانوا يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم: (يرحمكم الله)، فكان ﷺ يقول لهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، "واليهود ممن أطلق عليهم القرآن الكريم عبارة: أهل الكتاب)، وهي لغة لا تعنى أنهم أصحاب علم بالكتاب وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو التوراة" (٤).

"والتوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، وكان في الأصل دين التوحيد الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الكواكب وأرواح الموتى والملوك

---

(١) سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٩.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٩.

والحيوان، وكان يأمر بالإحسان إلى الناس ومحاربة التفرقة العنصرية، فضلاً عن دعوته إلى تهذيب الأخلاق ولزوم الطهارة، إلا أن اليهود غيروا شرع الله، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وأخفوا كثيراً من أحكام الله، فصوروا الله في جسم، ووصفوه بصفات النقص والضعف والكذب، وكفروا بأنبيائهم، يكذبون فريقاً منهم ويقتلون فريقاً، يهتمون بالفتوحات، لما فيها من الغنائم واستغلال خيرات الأرض، واستعباد الشعوب وتسخيرهم، وقد اعتبروا أنفسهم شعب الله في الأرض، واعتبروا أموال غير اليهودي حلالاً لليهود، واستحلوا بذلك الربا، واحتكروا التجارة وخدمات الأرض لأنفسهم، واعتقدوا أنه يستحيل على الله أن ينزل وحياً على غيرهم، وأن دينهم هذا هو الجدير بالخلود، وأن الأديان الأخرى جميعاً اتخذها أهلها وسيلة لنيل الرئاسة، فعاثوا في الأرض فساداً"[1].

لذا شملهم الخطاب القرآني في الدعوة إلى الله إيقافاً لهم عن غيهم، وراحة للعباد من طغيانهم، ونجاة لهم من ظلمهم فقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[4].

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، آدم عبدالله الألوري، دون رقم طبعة، مكتبة الحياة، بيروت ص ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٥.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾[1].

"وقد كان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكم المناهج وأقوى الحجج في حوار أهل الكتاب، ولم يكتفي هذا المنهج بنقد معتقدات أهل الكتاب من اليهود، بل أعطى الحجج والبرهان على دعواه، بدلائل عقلية منطقية، لا يجد العقل مناصاً دون التسليم بها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[4]"[5].

وليس أدل على ذلك من قول أنس رضي الله عنه: أنَّ عبدَ اللّهِ بن سَلامٍ بَلغهُ مَقْدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فأتاهُ يَسألهُ عن أشياءَ فقال: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعلمهنَّ إلاّ نبيّ: ما أولُ أشراطِ الساعة، وما أولُ طعامٍ يأكلهُ أهلُ الجنةِ، وما بالُ الولدِ يَنزِعُ إلى أبيهِ أو إلى أُمهِ؟ قال: ((أخبرَني به جِبريلُ آنِفاً)). قال ابنُ سَلام: ذاك عدوُّ اليهود منَ الملائكة. قال: ((أما أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرِقِ إلى المغربِ. وأما أولُ طعامٍ يأكلهُ أهل الجنةِ فزيادةُ كبدِ الحوت. وأما الوَلدُ فإذا سبقَ ماءُ الرجُل ماءَ المرأة نزعَ الولدَ، وإذا سَبقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نَزَعتِ الولد)). قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه وأنكَ رسولُ اللّه. قال: يا رسولَ اللّه، إنَّ اليهودَ قوم بُهت، فاسألهم عنّي قبلَ أن يَعلموا

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٩.

(٢) سورة الصف، آية: ٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٥) انظر: الحوار مع أهل الكتاب، د. خالد عبدالله القاسم ص ١٨٣، وانظر: اليهود في القرآن، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٦٤، وانظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي ص ١٨ – ٢٠.

بإسلامي. فجاءتِ اليهودُ؛ فقال النبيُّ ﷺ: ((أيُّ رجُلٍ عبدُ اللّهِ بن سلامٍ فيكم؟)) قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وأفضلُنا وابن أفضلِنا. فقال النبيُّ ﷺ: ((أرأيتم إن أسلم عبدُ اللّهِ بن سلام؟)) قالوا: أعاذَهُ اللّهِ من ذلك، فأعادَ عليهم فقالوا مثل ذلك. فخرجَ إليهم عبدُ اللّهِ فقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّه وأن محمداً رسولُ اللّه. قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقّصوه. قال: هذا كنتُ أخافُ يا رسولَ اللّه[1].

فعلى الداعية إلى الله أن يدعو على بصيرة بمنهج الدعوة الإسلامية في دعوة أهل الكتاب من اليهود إلى دين الحق.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الدعاء لغير المسلمين بالهداية وإصلاح الحال:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قول النبي ﷺ لليهود عند عطاسهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، أي: ولا يقول لهم يرحمكم الله؛ لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق للإيمان"[2]، "والدعاء لغير المسلمين من صور البر لهم لا سيما إذا فعلوا بالمسلم معروفاً.. ومكافأتهم على المعروف بالدعاء أو بغيره. إذا خلت من المحاذير الشرعية، وقد ذكر البخاري في كتابه الجهاد باباً: في الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، وساق فيه حديث الطفيل بن عمر عندما سأل النبي ﷺ أن يدعو على قبيلة دوس فقال ﷺ: ((اللهمَّ اهدِ دَوساً وأْتِ بهم))[3][4].

وقال ابن حجر: "قوله يتألفهم من فقه المصنف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين، وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم.. والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم[5]، وفي ذلك بيان

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٣٨.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي ص ٢١٥٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٣٧.

(٤) دعوة غير المسلمين للإسلام، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٧٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٦/٦.

لأهمية الدعاء لغير المسلمين كوسيلة من وسائل الدعوة وذلك على النحو الذي فصلناه.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: هداية الناس إلى الإسلام:

"إن الحرص على هداية الناس إلى الإسلام من أجلّ العبادات، وأعظم القربات إلى إرضاء رب العباد، وكيف لا!! وهو هدف الدعوة السامي، الذي من أجله بعث الله هذه الأمة، وذلك لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[(١)(٢)]، وقد أشار الحديث إلى حرص النبي ﷺ على هداية غير المسلمين إلى الإسلام، وذلك في قوله ﷺ لليهود الذين كانوا يتعاطسون عنده: (يهديكم الله ويصلح بالكم). "وهداية غير المسلمين إلى الإسلام لن تكون إلا بتأليفهم على الإسلام وذلك بالإحسان إليهم، وإن من أعظم جوانب الإحسان إليهم دعوتهم إلى هذا الدين، وتعريفهم به، ومن حقهم على المسلمين، أن يروا الإسلام في واقع المسلمن أفراداً وجماعات في المعاملة والسلوك وفي الأقوال والأفعال..."[(٣)].

"هذا وقد بيّن القرآن الكريم منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله، الموجهة لعموم المدعوين في ثلاث آيات تحدد الخطوط الرئيسة للمنهج النبوي وهي كما يلي[(٤)]:

١/ الدعوة بمكارم الأخلاق: قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[(٥)].

٢/ الدعوة على بصيرة: قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) انظر: إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ١١.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٧٨.

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية من بين الأمس إلى اليوم، آدم الآلوري ص ١٤٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

٣/ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

"وكل مسلم مأمور بالدعوة إلى دينه بصورة ما، وبطريقة ما...، كل ما في الأمر أن صورة الدعوة تختلف من شخص إلى آخر، حسب الاستطاعة والإمكان، فهناك من يدعو إلى الله بتأليف كتاب أو كتب، أو إلقاء محاضرة في جامعة أو مركز ثقافي أو غير ذلك، أو القاء خطبة جمعة، أو درس ديني، أو يدعو إلى الله بكلمة طيبة، أو صحبة جميلة أو أسوة حسنة، أو شفاعة حسنة، أو قضاء دين أو حاجة أو غير ذلك، مما يبعث على تأليف القلب وترغيب الناس في الإسلام"[2].

(١) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٢) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين د. محيي الدين عفيفي ص ١١٣ - ١١٤.

الحديث رقم (٨٨٥)

٨٨٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا تَثَاءبَ أحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صياغة المعنى في أسلوب الشرط يجعله كالعادة للمؤمن يلتزمه أبداً والحديث يربط التثؤب بمسك اليد على الفم، والتعبير بالمسك يوحي بالقوة في رد التثؤب، ومنع الصوت المصاحب له، تؤكد ذلك باء الاستعانة في قوله (بيده) واستخدام حرف الجر الدال على الاستعلاء الدال على القوة في قوله: (على فيه) وقوله (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ) جملة تعليلية تحمل ترهيباً من ترك هذه السنة التي تغلق منفذ الشيطان إلى الإنسان، والفعل المضارع (يدخل) يصور الشيطان حال فتح الإنسان فمه يحاول أن يندس فيه، وهذه صورة منفرة من ترك هذه الخصلة التي تحميه من الشيطان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لما يفعله المتثائب.

ثانياً: من أهداف الدعوة: تعليم العلم الشرعي.

ثالثا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ عند التثاؤب والاقتداء به.

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لما يفعله المتثائب:

هذا ما أشار إليه الحديث من وضع المتثائب يده على فيه عند التثاؤب، وفي ذلك قال القاضي عياض: "أمر النبي ﷺ بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد على الفم؛ لئلا يبلغ الشيطان العدو أمله في المسلم بكل ما يسوءه ويكره منه، من تشويه صورته،

---

(١) برقم (٥٧/٢٩٩٥).

ودخوله في فمه، وضحكه منه، وتفله فيه. ولهذا - والله أعلم - أمر المتثائب بالتفل لطرح ما عسى أن يكون ألقاه الشيطان في فيه، أو لما لمسه من ريقه إن كان دخل"[١]،

وقال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (فإن الشيطان يدخل)، فيحتمل أن يراد به الدخول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكراً لله تعالى، والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر، فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه؛ لأن من شأن من دخل في شيء أن يكون متمكناً منه. وأما الأمر بوضع اليد على الفم فيتناول ما إذا انفتح بالتثاؤب فيغطى بالكف ونحوه، وما إذا كان منطبقاً حفظاً له عن الانفتاح بسبب ذلك. وفي معنى وضع اليد على الفم، وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها، ولا فرق في هذا الأمر بين المصلي وغيره، بل يتأكد في حال الصلاة.. ويستثنى ذلك من النهي عن وضع المصلي يده على فمه. ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصلاة أن يمسك عن القراءة حتى يذهب عنه لئلا يتغير نظم قراءته"[٢].

وقد أكد ابن عثيمين ذلك فقال: "فإذا جاءك التثاؤب فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة، وهذا هو الأفضل، وذلك لقوله ﷺ: ((فإذا تثاءبَ أحدُكم فليرُدَّهُ ما استطاع))[٣]، وإن لم تقدر فضع يدك على فمك"[٤].

ثانياً- من أهداف الدعوة: تعليم العلم الشرعي:

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من الحديث هي: تعليم العلم الشرعي، ومما لا شك فيه أن تعليم العلم الشرعي ومعرفته "من أفضل العلوم وأهمها، لأن الناس بمعرفته يُرشَدون،وبجهله يضلُّون، إذ لا يصح أداء عبادةٍ جهل فاعلها صفات أدائها، ولم يعلم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٤/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٨/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٢٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

شروط أجزائها[1]، فالمسلم - بغض النظر عن موقعه في سلم الثقافة - يحتاج إلى قدر ضروري من العلوم الشرعية، يعرف بها ما يستقيم به دينه، ويسلم فيه اعتقاده، وتصح به عبادته[2].

فشرائع الإسلام واجبة على كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، وذلك لا يكون إلا بتعليم العلم الشرعي والتفقه في دين الله[3]، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الاجتهاد في ذلك، بل وأثنى على أهله، فعن حميد بن عبدالرحمن قال: سمعت معاوية رضي الله عنه خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين. وإنَّما أَنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي. ولنْ تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائِمةً على أَمْرِ اللّهِ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خالَفَهُم حتى يأتيَ أَمرُ اللّه))[4].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَلِ الغَيثِ الكثِيرِ أصابَ أرضاً، فكانَ منها نَقيَّةٌ قَبلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثِيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[5].

فتعليم العلم الشرعي الصحيح هو سبيل العمل والاستقامة، والجهل عدو الإسلام الأكبر.. وإن أي انحراف في السلوك عن صراط الله المستقيم وراءه الجهل بدين الله تعالى، أو الأمية الفكرية أو التربوية، وهي أشد وأخطر من أمية القراءة والكتابة، لأنها خفية لا يكتشفها أكثر الناس ولا يحسون بها، بل قد تقترن مع دعوى العلم

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤٤.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ٨٠.

(٣) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن القيم ص ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

والمعرفة، والتبجح وادعاء السبق والنبوغ[١].

(ولما كانت الدول المعاصرة اليوم تضع حداً أدنى للتعليم الإلزامي لا بد أن يصل إليه كافة مواطنيها، وهو السبيل لتوحيد الأطر المرجعية، وتكوين قدر مشترك من الثقافة لأبناء هذه الدول، فنحن أولى وأحرى أن نقدم لأبنائنا الحد الأدنى من العلم الشرعي والثقافة الشرعية، ليكون قدراً مشتركاً بين جيل الصحوة، وهذا القدر الضروري لن يُحوِّل جيل الصحوة إلى طلبة علم متخصصين، بل هو يسعى إلى محو الأمية الشرعية بينهم)[٢].

ولذا يجدر بالداعية أن يعمل على نشر تعليم العلم الشرعي بين الناس، ومن صور ذلك بيان الآداب الشرعية التي من جملتها ما يفعله المتثائب عند التثاؤب.

ثالثًا- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ عند التثاؤب والاقتداء به:

هذا ما يستفاد من نص الحديث لأن اتباعه ﷺ ينبغي أن يكون شاملاً، لا يقتصر على جانب دون جانب[٣]، وفي ذلك قال ابن القيم: "نَدينُ الله بكل ما صحّ عن رسول الله ﷺ، ولا نجعل بعضه علينا، فنقرّ ما لنا على ظاهره، ونتأول ما علينا على خلاف ظاهره، بل الكلُّ لنا لا نفرق بين شيء من سننه، بل نتلقاها كلها بالقبول، ونتقابلها بالسمع والطاعة، ونتبعها أين توجهت ركائبها ونتنزل معها أين نزلت مضاربها، فليس الشأن في الأخذ ببعض سنن رسول الله ﷺ وترك بعضها، بل الشأن في الأخذ بجملتها وتنزيل كل شيء منها منزلته، ووضعه بموضعه، والله المستعان وعليه التكلان"[٤]. فعلى المدعو الاستجابة لأوامر النبي ﷺ جلها ودقها لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٥٢.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ٨١.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٩١.

(٤) نقلاً عن: دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بتعليم الآداب الإسلامية والسلوكيات الحسنة:

إن غرس الآداب في نفوس المتربين وتعويدهم عليها له "أهمية عظمى في البناء الأخلاقي، ولقد اهتمت التربية الإسلامية بغرس الآداب وتعليمها الناشئة حتى تصبح طبيعة وسجية من سجاياهم.

إن البعض قد يغفل عن أهمية الآداب ويعدها من الأمور البسيطة يمكن التساهل فيها أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهيئ ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على والده، كواجب حق الطعام والشراب"[1]. والمجالس والعوارض التي تعرض للإنسان من عطاس وتثاؤب التي تحدثت عنها أحاديث الباب مبينة الآداب والألفاظ التي ينبغي أن تُراعى وتُقال ممن عَرَض له هذا الأمر من عطاس وتثاؤب، وكذلك مَنْ حضره وسمعه والتي منها:

أ-إذا تثاءب الإنسان فليرده ما استطاع وليمسك بيده على فيه، كما دل على ذلك قوله ﷺ: "فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان.

ب-إذا عطس المسلم ينبغي عليه أن يحمد الله "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله...".

ج-إذا عطس المسلم فحمد الله فينبغي على مَنْ سمعه أن يُشَمِّته كما في قوله: "وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله"، فيرد عليه العاطس داعياً له بالهداية تقديراً لمشاعره الطيبة الكريمة، وبذلك تكون تحيات متداولة وجزاءً من جنس العمل، دعوة بالرحمة يقابلها ويكافأ عليه بالدعوة بالهداية وإصلاح البال "فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم".

د-مراعاة مشاعر الآخرين والعمل على عدم إيذائهم بآثار العطاس من إزعاج صوت

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٢٥٣، ٢٥٤.

أو خروج بصاق أو ما شاكل ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده -أو ثوبه- على فيه وخفض -أو غض- بها صوته".

إن تشميت العاطس وتبادل الدعوات بين العاطس والمشمت له "أدب تربوي نبوي اجتماعي يَنُمُّ عن خلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة" (١).

ثانياً- التنوع في أساليب التربية:

إن من العوامل التي تساعد في إنجاح العملية التربوية والتعليمية وتجنبها الملل والسآمة التنوع في استخدام الأساليب التربوية، مما يجري في عروقها التجدد والنشاط، إذ الرتابة والثبات يورث السآمة والنفور، وإذا ما نظرنا إلى مجموع أحاديث الباب وهي جميعها وردت في بيان آداب العطاس والتثاؤب نجد أن النبي ﷺ نوّع في أساليب التربية وجدد فيها ومن أبرزها:

أ-التلقين والتوجيه المباشر: وذلك ما نلحظه في أحاديث أبي هريرة وأبي موسى الأشعري وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم -على اختلاف رواياتها- فقال ﷺ: إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان".

وهذا الأسلوب التلقائي الذي يعتمد على المباشرة وعلى التلقين، وهذا الخطاب المباشر والتلقين للمعرفة، له أكبر الأثر عند المتربين خاصة الناشئة منهم والأطفال، فهو يعتمد على مخاطبة العقل وتبيين الحقائق وترتيب المعلومات، وذلك ما يجعل المتربي أشد قبولاً وأكثر استعداداً للتلقي"(٢).

---

(١) انظر: الآداب النبوية التربوية، صالح بن علي، مكتبة أبها، بدون ذكر للطبعة وتاريخها، ص٥٨.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٩٧.

ب-التدريب والممارسة العملية: ونلحظ ذلك في حديثي أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ففي حديث أنس تشميت النبي ﷺ العملي لمن عطس في حضرته فحمد، وإحجامه وامتناعه عن تشميت العاطس الآخر الذي لم يحمد الله تعالى، فعنه قال عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ. فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلاَنٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ: «إِنَّ هَـٰذَا حَمِدَ اللّهَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللّهَ». وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ينقل لنا فيه حالَ النبي ﷺ: "إذا عطس، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده -أو ثوبه- على فيه وخفض - أو غض- بها صوته".

ففي هذين الحديثين نجد مطابقةَ فعل النبي ﷺ لقوله، وهو في ذاته أسلوب تربوي رفيع يعتمد على التدريب والممارسة العملية، " وهذا الأسلوب العملي يعد من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، لذا ينبغي الالتفات لهذا الأسلوب بأن نتعلم ونمارس ما نتعلم، وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي [١] التطبيقي.

ومما سبق يتبين لنا تنويع النبي ﷺ وانتقاله بين الأساليب التربوية من أسلوب توجيهي مباشر وأسلوب عملي تدريبي، وفي ذلك سبب لإنجاح العملية التربوية وعموم نفعها فمن لم يُجْدِ معه أسلوب انتفع بالآخر.

ثالثاً- من صفات المربي والمعلم: الذكاء وسرعة البديهة والفراسة والكياسة:

إن العملية التربوية والتعليمية عملية عقلية أولاً وأخيراً لذا يجب أن تتوفر في المعلم السمات العقلية والكفاءات الذهنية ليتمكن من القيام بعمله خير قيام[٢]، ومن أرفع تلك الصفات: التميز بالذكاء، وقوة الإدراك، وسرعة البديهة، والفراسة، والكياسة،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧-١٨٠.

(٢) انظر: المرشد النفيس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٤٠.

ونرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب خاصة فيما كان يجيب به النبي ﷺ اليهود حينما كانوا يتعاطسون عنده رجاء الانتفاع بالدعاء لهم بالرحمة، لكن لذكائه ﷺ ولعلمه ولتفطنه لما يريدون كان لا يشبع رغبتهم ولا يحقق رجاءهم، وإنما كان يدعو لهم بالهداية، وذلك من دلائل فطنته ﷺ مع ما كان يتمتع به من ذوق عالٍ وأدب رفيع، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون أن يقال لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم".

"إن المعلم القدير هو الذي يتمتع بحضور البديهة، وصحة القريحة، وسرعة الخاطر والتفكير اللماح، وأن يحسن التصرف في كل الأمور مما يمكنه من اتخاذ القرار المناسب في المآزق والمشكلات الطارئة والمواقف المفاجئة والأمور الآنية.

إن تمتع المعلم بالفراسة وقوة الملاحظة يجعله يتوسم قدرات الطلبة وطاقاتهم العقلية، ويعرف أحوالهم ويقرأ أفكارهم ويسبر أغوارهم ويعرف مكنون أسرارهم فيعرف الصادقين من الكاذبين ويعرف الذين فهموا الدرس من أولئك الذين لم يفهموه ويفرق بين المؤدبين والمشاغبين، ويفرق بين الحق والباطل ويميز بين الغث والسمين.

كما يجب على المعلم أن يكون ذا حدس جيد يمكنه من تَوسُّم ما فيه مصلحة الطلبة وتعليمهم ما يناسب حالهم وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم"[(١)].

رابعاً- التربية بالحرمان:

إن التربية بالحرمان لها فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس، وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم"[(٢)]، ويمكن للقارئ أن يلاحظ أن النبي ﷺ استخدمه في حرمان ذلك الرجل الذي عطس فلم يحمد الله من الدعاء له، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ. فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ:

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥١-٥٥.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٤٧٠.

«إِنَّ هَٰذَا حَمِدَ اللَّهَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ». فنجد عقاب رسول الله ﷺ لذلك الذي ترك حمد الله بحرمانه من الدعاء له بالرحمة، "ولما سأله ذلك المحروم من دعائه فبين له ﷺ أن السبب تركه الحمد على نعمة العطاس"[1].

لذا ينبغي على المربي ألا يغفل أسلوب العقاب بالحرمان إذ استلزم واقتضه الظروف، فاتباع هذا الأسلوب في العملية التربوية والتعليمية له أثره الذي لا ينكر، إذ الهدف منه "حذف السلوك غير المرغوب فيه وتعزيز السلوك المرغوب فيه.

وبما أن العقاب كالحرمان وغيره، أداة واقعية في حياتنا، ويلجأ إلى استخدامه الكثير من الآباء والمعلمين في أوضاع تعليمية وسياقات سلوكية مختلفة، لذا يجب مراعاة شروط استخدام الإجراء العقابي في الأوضاع التي يكون فيها استخدامه أمراً لا مفر منه والتي منها:

أ-أنه يجب إيقاع العقاب بعد حدوث الاستجابة غير المرغوب فيها مباشرة، فقد تبين أن العقاب الفوري أكثر نجاعة من العقاب المؤجل، فكلما قصرت الفترة الزمنية الفاصلة بين الاستجابة والعقاب كان العقاب أكثر فعالية ونجاعة"[2].

ب-بيان السبب الذي من أجله استحق المتربي هذا الجزاء، وذلك له أكبر الأثر في تعديل سلوكه، لعلمه بخطئه وعدم تعرضه لظلم مادي أو أدبي.



---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٩٢.

(٢) انظر: علم النفس التربوي، د. عبدالمجيد نشواتي، ص٢٩٣-٣٠٠.

١٤٣- باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

الحديث رقم (٨٨٦)

٨٨٦- عن أَبي الخطاب قتادة، قَالَ: قُلْتُ لأَنسٍ: أكَانَتِ المُصَافَحَةُ فِي أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات في بدايته يقوم على جملتين سؤال، وجواب، بين أبي الخطاب قتادة، وبين أنس ﷺ حول المصافحة في أصحاب الرسول ﷺ، ولذلك قدم المصافحة، وأدخل حرف النفي على فعل الكينونة الماضي بمعنى أوجدت المصافحة..؟، والمصافحة مفاعلة من الصفح فعل مشترك بين اثنين وقوله (فِي أصْحَابِ رسول الله ﷺ) لأنه الجيل القدوة ليوم القيامة، وقد جاءت الإجابة بإثبات المصافحة بقوله (نعم) أي نعم كانت حاصلة فيهم، موجودة بينهم.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى أحكام السلام بين المسلمين، ومن ذلك المصافحة والمعانقة.

أولاً: حكم المصافحة: يسن مصافحة المسلم لأخيه المسلم مع البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها[٢].

---

(١) برقم ٦٢٦٣.

(٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٨٧/٤، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لمصطفى الخادمي ٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٩٤٢/١.

والمصافحة هي: وضع أحد المتلاقين يده على باطن كف الآخر إلى الفراغ من السلام[(١)].

وتكون المصافحة من الرجل للرجل، وكذلك مصافحة المرأة للمرأة، أمّا المصافحة التي تقع بين الرجل والمرأة فيختلف حكمها بحسب كونهما من المحارم أو من غيرهم.

فأما مصافحة المحارم فذهب الجمهور إلى جوازها، ويشملها حكم الاستحباب المستفاد من هذه الأحاديث.

وأما المصافحة التي تقع بين الرجل والمرأة من غير المحارم فقد اختلف قول الفقهاء في حكمها، وفرّقوا بين مصافحة العجائز ومصافحة غيرهم:

فمصافحة الرجل للمرأة العجوز التي لا تَشْتَهي ولا تُشْتَهى، وكذلك مصافحة المرأة للرجل العجوز الذي لا يشتهي ولا يشتهى، ومصافحة الرجل العجوز للمرأة العجوز جائز عند الحنفية والحنابلة، ما دامت الشهوة مأمونة من كلا الطرفين.

ونص المالكية على تحريم مصافحة المرأة الأجنبية وإن كانت متجالّة، وهي العجوز الفانية التي لا أرب للرجال فيها، أخذاً بعموم الأدلة المثبتة للتحريم.

وعمم الشافعية القول بتحريم لمس المرأة الأجنبية ولم يستثنوا العجوز، فدلّ ذلك على اعتبارهم التحريم في حقّ مصافحتها، وعدم التفرقة بينها وبين الشابة في ذلك.

وأما مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية الشابة، فقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في الرواية المختارة وابن تيمية إلى تحريمها، وقيد الحنفية التحريم بأن تكون الشابة مشتهاة، وقال الحنابلة: وسوءا أكانت من وراء حائل كثوب ونحوه أم لا[(٢)].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٥/٢.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٨/٣٧-٣٥٩ ومصادرها ومراجعها ومنها: (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٠/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٨/٦، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٢٩/٥، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٨/٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢١٥/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٦٩/٢، وغذاء الألباب ٣٢٩/١).

ثانياً: حكم التقبيل: للتقبيل أقسام منه:

١-التقبيل الممنوع: ومنه:

أ-تقبيل الأجنبية: اتفق الفقهاء على عدم جواز لمس وتقبيل المرأة الأجنبية ولو للخطبة.

ب-تقبيل الرجل للرجل والمرأة للمرأة: لا يجوز للرجل تقبيل فم الرجل أو يده أو شيء منه، وكذا تقبيل المرأة للمرأة والمعانقة ومماسة الأبدان ونحوها، وذلك كله إذا كان على وجه الشهوة، وهذا بلا خلاف بين الفقهاء. أما إذا كان ذلك على غير الفم، وعلى وجه البر والكرامة. أو لأجل الشفقة عند اللقاء والوداع عند اللقاء فلا بأس به.

٢-التقبيل المباح، ومنه:

تقبيل المبرة والإكرام وتقبيل المودة والشفقة: يجوز تقبيل يد العالم الورع، والسلطان العادل، وتقبيل يد الوالدين والأستاذ، وكل من يستحق التعظيم والإكرام، كما يجوز تقبيل الرأس والجبهة وبين العينين، ولكن كل ذلك إذا كان على وجه المبرة والإكرام، أو الشفقة عند اللقاء والوداع، وتديناً واحتراماً مع أمن الشهوة.

قال ابن بطال: أنكر مالك تقبيل اليد وأنكر ما روي فيه، قال الأبهري: وإنما كرهه مالك إذا كان على وجه التعظيم والتكبر، وأما إذا كان على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز.

كذلك يجوز بل يسن تقبيل الولد للمودة على الرأس والجبهة والخد[١].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٣٠-١٣٢ ومصادرها ومراجعها، ومنها: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٣٣/٥، والزرقاني ١٦٧/١، وجواهر الإكليل ٢٠/١، ٢٧٥، و، سلمان بن عمر بن منصور العجيلي ١٢٦/٤، وحاشية القليوبي ٢١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢/٥-١٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٢/٣-٢١٣.

ثالثاً: حكم المعانقة:

أ-معانقة الرجل للرجل: ذهب الحنفية في الصحيح إلى أنه يجوز معانقة الرجل للرجل، إذا كان على كل واحد منهما قميص أو جبّة ثم اختلفوا في المعانقة في إزار واحد، والمذهب كراهة المعانقة في إزار واحد، وقال أبو يوسف: لا بأس بالمعانقة في إزار واحد.

قال الخادمي: وقد وردت أحاديث في النهي عن المعانقة وأحاديث في تجويزها، ووفق أبو منصور الماتريدي بينهما فقال: المكروه منها ما كان على وجه الشهوة، وأما على وجه البرّ والكرامة فجائز.

وكره مالك المعانقة كراهة تنزيهية لأنها من فعل الأعاجم. قال العدوي: لا يخفى أن مفاد النقل عن مالك كراهة المعانقة ولو مع الأهل ونحوهم.

وذهب الشافعية إلى أن المعانقة مكروهة إلا لقادم من سفر أو تباعد لقاء فسنة للاتباع.

وقال الحنابلة: تباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وإكراماً واحتراماً مع أمن الشهوة. قال ابن مفلح: ظاهر هذا عدم إباحته لأمر الدنيا.

ب-معانقة الصائم: ذهب الحنفية في المشهور إلى كراهة معانقة الزوجة في حالة الصوم إن لم يأمن المفسد، وهو الإنزال أو الجماع، لما فيه من تعريض الصوم للفساد بعاقبة الفعل. وأما إذا أمن على نفسه المفسد فلا بأس بالمعانقة.

وذهب الشافعية إلى أنه تكره المعانقة بين الرجل والمرأة لمن تحرك شهوته والكراهة هي كراهة تحريم في الأصح، وحكى الرافعي عن التتمة وجهين: التحريم والتنزيه[1].

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/١٨٤-١٨٦ ومراجعها ومصادرها، ومنها: الدر المختار ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥/٢٤٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣/١٣٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١/٩٤٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من آداب المدعو: الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المصافحة عند اللقاء وإظهار الود بين المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة لما له من أثر في استحضار وإيقاظ ذهن المدعو، وترسيخ الفهم عن الداعية فيما يقول، وقد جاء هذا الأسلوب في الحديث من سؤال أبي الخطاب قتادة لأنس بن مالك رضي الله عنه عن المصافحة أكانت في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فأجابه بنعم، وقد أفاد السؤال والجواب أهمية المصافحة عند اللقاء للاقتداء بهم رضي الله عنهم.

ثانياً- من آداب المدعو: الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ:

إن الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ الكرام رضي الله عنهم للاقتداء بهم، لمن أصول التربية الإسلامية الناجحة في بناء الفرد والمجتمع، وقد ظهر هذا الحرص جلياً في الحديث من حرص أبي الخطاب على معرفة ما كان من أصحاب رسول الله ﷺ في المصافحة.

والصحابة رضي الله عنهم هم الرعيل الأول الذي لم تشهد البشرية جيلاً كمثلهم، فقد تربوا على يد أعظم معلم شهدته الإنسانية (محمد ﷺ) فكان كل فرد منهم نموذجاً رائعاً للتربية النبوية، ومفخرةً وشرفاً للنوع الإنساني، لا توجد صورة في المصور الإنساني العالمي الواسع، بل في الكون كله، أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إنّ إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم الصادق، وحياتهم الساذجة، وتواضعهم وخشيتهم لله، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم، وشجاعتهم وجلادتهم، وتذوقهم للعبادة وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم بالنهار، وقيامهم بالليل، وتحررهم من سلطان الثروات، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها، وزهدهم في

زخارف الدنيا، وعدلهم وحسن تدبيرهم، كل ذلك مما لا يوجد له نظير في الدنيا، ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ، ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال، لما عدا ذلك خيالاً شعرياً، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية، وواقع معلوم لا مجال فيه للشك[1].

وفي ذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ، فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، فابْتَعَثَهُ بِرِسَالتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ بعد قلب محمد، فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ على دِينِهِ، فما رَأى المسلمونَ حَسَناً، فهو عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وما رأوا المسْلِمَونَ سَيِّئاً، فهوَ عِنْدَ اللهِ سيِّءٌ)[2].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يتحدث عن أصحاب محمد ﷺ: (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شُعثاً غُبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكَبَ المِعْزَى[3] من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب)[4].

وقال أيضاً رضي الله عنه: (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ[5] إلى أولادها، وسلبوا السيوف

---

(١) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٨٤/٦.

(٣) ركب المعزى: ركب جمع ركبه: موصل الساق من الرجل بالفخذ. انظر: نهج البلاغة ١٩٠/٣ الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

(٤) نهج البلاغة، الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق: د. صبحي الصالح، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت: ص ١٤٣.

(٥) اللقاح: جمع لقوح وهي الناقة. ولهها إلى أولادهما فزعها إليها. انظر: نهج البلاغة ٢٣٤/١.

أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفا صفاً، بَعْض هلك وبعضٌ نجا، لا يُبَشَّرون بالأحياء ولا يُعَزَّون بالموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خُمْصُ البطون من الصيام، ذُبْلُ الشفاه من الدعاء، صُفْرُ الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون! فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم)[1].

(فهم رضوان الله عليهم ممثلين صادقين لتراث رسول الله ﷺ الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله ﷺ وحبهم الخالص له إلى عالم من الفكر والعواطف، لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً، والواقع أن هؤلاء الصحابة قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بُذرت في أخصب أرض أنبتت نباتاً حسناً، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جداً، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله ﷺ من كلام وأوامر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام، الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين)[2].

فعلى المدعو أن يحرص على اقتفاء آثارهم والاقتداء بنهجهم، لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المصافحة عند اللقاء وإظهار الود بين المسلمين:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد بيّن ابن علان ذلك فقال في باب استحباب المصافحة: "قال السيوطي: هي مفاعلة من الصفحة والمراد بها الإفضاء بصفحة اليد إلى

---

(١) المرجع السابق ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) سنن الإسلام، للكاتب الألماني كاتاني ص ٤٢٩.

- Caetani (Annali dell Islam) Vol. ١١. p ٤٢٩. T.W Arnold, preaching of Islam, London.

- نقلاً عن صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية أبو الحسن الندوي ص ٣٢.

صفحة اليد، قال الكرماني: وهو ما يؤكد المحبة"[١]، "ومصافحة الرجل للرجل مستحبة عند العلماء"[٢]، قال النووي: "اعلم أنها سنة مجمع عليها عند التلاقي"[٣]، وقد بيّن النبي ﷺ ما في ذلك من خير عميم من إظهار ود المسلمين وإذهاب الغلّ فيما بينهم فقال ﷺ: ((تَصَافَحُوا؛ يَذْهَبُ الغِلُّ، وَتَهَادَوْا؛ تَحَابُّوا، وَتَذْهَب الشَّحْنَاءُ))[٤].

وفي ذلك بيان على أهمية المصافحة في إذهاب الغِلّ وحدوث الود بين المسلمين، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة في ذلك فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لاَ يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الذي يَنْزِعُ، وَلاَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عن وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلَيْسٍ لَهُ))[٥].

قال المباركفوري: "قال الطيبي: وفي قوله: كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه، تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه"[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٦/٣٧.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦١.

(٤) الموطأ، مالك ٣٨٨٠، قال ابن عبدالبر في التمهيد: وهذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ابن عبدالبر، ضمن موسوعة شروح الموطأ، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مع مركز هجر للبحوث والدراسات، ط/١ مركز هجر: ١٤١٥هـ/٢٠٠٥م، ١١٤/٢٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٠، وقال الألباني: ضعيف إلا جملة المصافحة فهي ثابتة (ضعيف سنن الترمذي ٤٤٤).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٥/٢.

الحديث رقم (٨٨٧)

٨٨٧- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ، قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((قَدْ جَاءكُمْ أهْلُ اليَمَنِ)) (وَهُمْ أوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالمُصَافَحَةِ) [١]. رواه أبُو داود [٢] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصار ذات الدلالة الشرعية، والدلالة النفسية بدأه أنس رضي الله عنه بربط الحديث بسببه، وهو قدوم أهل اليمن ثم ساق قول الرسول ﷺ (قَدْ جَاءكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ) وهو خبر أريد به لازم فائدته وهي الإشادة بهم، والبشارة، وهو عامل نفسي يدفع نحو الكمال، وقد حقق الفعل بقد بالإضافة إلى ثباته المفهوم من زمنه الماضي، وقوله (وهم أول من جاء بالمصافحة) تقديم الضمير يفيد الاختصاص بأولوية السلام، وفي الحديث إثبات المصافحة في وجود النبي مما يشير إلى إقراره.

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل أهل اليمن.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على المصافحة عند لقاء المسلمين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل مصافحة الإخوان عند لقائهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من آداب المدعو: إظهار المودة والمحبة لإخوانه.

---

(١) هذه الزيادة في آخر الحديث من قول أنس، وقد جاء مصرحًا به في رواية عفّان، عن حماد عند أحمد في المسند ١٣٦٢٣ وقد نبهنا عليه حتى لا يتوهم القارئ أنه من ضمن الحديث.

(٢) برقم ٥٢١٣. وقال الحافظ في الفتح ٥٤/١١: إسناده صحيح.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨٨).

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل أهل اليمن:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة)، فامتدح رسول الله ﷺ أهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة، وفي ذلك بيان لفضلهم، وقد بيّن النبي ﷺ فضل أهل اليمن فقال: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً. الإِيمَانُ يَمَانٍ. وَالْفِقْهُ يَمَانٍ. وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ)) وفي رواية: قال ﷺ: ((أتاكم أهلُ اليمنِ أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً. الفقهُ يمان، والحكمةُ يَمانية))، وفي رواية: قال ﷺ: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعفُ قُلُوبا))[1].

قال القاضي عياض: "ومعنى: (أرق أفئدة وقلوباً وألين وأضعف)، متقارب، وكلها راجع إلى ضد القسوة والغلظ، وذلك أنّ من رق قلبه ولان قبل المواعظ، وخضع للزواجر، وسارع إلى الخير، وصفى للإيمان والفقه والحكمة، بخلاف من قسا قلبه وغلظ وكثفت حجب الكبر والفخر والعجب عليه.

وقد يكون ذكر القلوب والأفئدة ها هنا بمعنى واحد، تكررت باختلاف لفظ كما اختلف اللفظ الذي قبلها، وقد يكون بينهما فرق إذ قيل: إن الفؤاد داخل القلب، فوصف القلب باللين والضعف والفؤاد بالرقة، أي أن قلوبهم أسرع انعطافاً وتقلباً للإيمان من غيرها؛ إذ أفئدتها أرق وأصفى لقبول الإيمان والحكمة، وأقل حجباً وأغشية من غيرها، وقد يكون الإشارة بلين القلب إلى خفض الجناح، ولين الجانب، والانقياد والاستسلام وترك الغلو، وهذه صفة الظاهر، والإشارة برقة الأفئدة إلى الشفقة على الخلق والعطف عليهم والنصح لهم، وهذه صفة الباطن، وكأنه أشار إلى أنهم أحسن أخلاقاً ظاهراً وباطناً، وقد يكون الإشارة بلين القلوب ورقة الأفئدة، إلى كثرة الخوف والانزعاج للمواعظ والأذكار"[2].

وقال النووي: (وأما ما ذكر من الفقه والحكمة، فالفقه هنا عبارة عن الفهم في الدين، واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها، أما الحكمة ففيها أقوال كثيرة

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٨٩، ومسلم ٥٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٠١ - ٣٠٢.

مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتملة على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك..."[1]، وقد اختلفت أقوال العلماء في بيان المقصود من قوله ﷺ: (الإيمان يمان).

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "وقد ذكر ابن الصلاح قول أبي عبيدة وغيره: إن معنى قوله: (الإيمان يمان) أن مبدأ الإيمان من مكة، لأن مكة من تهامة وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة، لأن هذا الكلام صدر وهو ﷺ بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية، والثالث واختاره أبو عبيد أن المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره، وقال ابن الصلاح: ولو تأملوا ألفاظ الحديث لما احتاجوا إلى هذا التأويل، لأن قوله: (أتاكم أهل اليمن) خطاب للناس ومنهم الأنصار، فيتعين أن الذين جاءوا غيرهم، قال: ومعنى الحديث وصف الذين جاءوا بقوة الإيمان وكماله ولا مفهوم له، قال: ثم المراد الموجودون حينئذ منهم، لا كل أهل اليمن في كل زمان انتهى، ولا مانع أن يكون المراد بقوله: (الإيمان يمان) ما هو أعم مما ذكره أبو عبيد وما ذكره ابن الصلاح، وحاصله أن قوله (يمان) يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر، بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على المصافحة عند لقاء المسلمين:

إن من آداب الإسلام التي أكد وحثّ عليها في نص الحديث، هي المصافحة بين المسلمين عند التلاقي، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديثين[3] من قوله ﷺ: (وهم أول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٠٢.

(٣) حديث رقم (٨٨٦)، (٨٨٧).

من جاء بالمصافحة)، وأيضاً في قوله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا).

"والمصافحة عند الملاقاة هي للتأنيس وتوكيد التسليم القولي، فإن التسليم إيذان بالأمن قولاً والتصافح نحو بيعة وتلقين عن ذلك، وتوكيد لما تلفظاه بالتسليم، ليكون كل من المتلاقيين على أمن من صاحبه"[1].

وقد رغّب النبي ﷺ في المصافحة، وعمل بها صحابته رضي الله عنهم، فعن قتادة قال: (قلتُ لأنس: أكانتِ المصافحة في أصحاب النبيِّ ﷺ؟ قال: نعم)[2]، وعن سلمة بن وردان قال: (رأيت أنس بن مالك يصافح الناس فسألني من أنت فقلت مولى لبني ليث فمسح على رأسي ثلاثا وقال بارك الله فيك)[3].

وفي قصة توبة الله تعالى على كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (دخلت المسجد، فإذا رسول اللّهِ ﷺ جالسٌ حولَهُ الناس، فقامَ إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ اللّه يُهَرْوِلُ حتى صافحني وهَنَّأني)[4].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (من تمام التحية أن تصافح أخاك)[5].

وقد روي عن مالك رضي الله عنه أنه كره المصافحة، لكن المشهور عنه استحباب المصافحة، ويؤيد ذلك ما روي عنه أنه دخل عليه سفيان بن عيينة فصافحه، وقال: لولا أنها بدعة لعانقتك، فقال سفيان: عانق من هو خير مني ومنك النبي ﷺ لجعفر حين قدم من أرض الحبشة، قال مالك: ذلك خاص، قال سفيان: بل هو عام، ما يخص جعفراً يخصنا، وما يعمه يعمنا إذا كنا صالحين[6].

---

(١) انظر: فيض الباري على صحيح البخاري ٤١٢/٤، نقلاً عن: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٦٦، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٤٣).

(٤) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٦٨، وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوفاً، (صحيح الأدب المفرد ٧٤٥).

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٧/٣٧.

فينبغي على الداعية الحرص والحث على المصافحة عند لقاء المسلمين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل مصافحة الإخوان عند لقائهم:

لقد حثّ الإسلام على كل ما يكون سبباً في زيادة المودة والمحبة بين المسلمين، فرغّب في استحباب المصافحة عند اللقاء، وذلك ما ظهر جلياً في الحديثين من مدحه ﷺ لأهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة قال: "قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة" ومن قوله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)، وقد بيّن النبي ﷺ فضل مصافحة الإخوان عند اللقاء فقال: ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْضُرَ دُعَاءَهُمَا وَلاَ يُفَرِقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمَا))[1].

وفي ذلك قال ابن عثيمين: "وإذا حصل ذلك - أي المصافحة- فإنه يُغفر لهما قبل أن يفترقا، وهذا يدل على فضيلة المصافحة إذا لاقاه"[2]، وبيّن صاحب عون المعبود معنى قوله ﷺ: "قبل أن يفترقا، أي: بالأبدان وبالفراغ عن المصافحة"[3]، ومن فضائل المصافحة ما ذكره ابن مفلح المقدسي: "عن ابن عبدالبر قال: قال أبو مجلز: المصافحة تجلب المودة"[4]، وفي ذلك بيان عظيم لفضل مصافحة الإخوان عند لقائهم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[5]، "وإن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[6][7]، وقد استخدم النبي ﷺ في حديث البراء رضي الله عنه الترغيب المتمثل في

---

(١) أخرجه أحمد ١٤٢/٣ رقم ١٢٤٥١، قال محققو المسند: حديث صحيح لغيره وإسناده حسن ٤٣٦/١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١١٦٤/٢.

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٢٢١٥.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٥٤/٢.

(٥) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

زوال الذنب وغفرانه، وذلك لحمل وحث المدعوين على الالتزام بالمصافحة عند اللقاء، لما في ذلك من تأكيد لأواصر المحبة والأخوة في الله.

خامساً- من آداب المدعو: إظهار المودة والمحبة لإخوانه:

هذا ما يستفاد من الحديثين، حيث مدح رسول الله ﷺ أهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة، لما في المصافحة من إظهار المودة والمحبة بين الإخوان وكذلك في الحديث الثاني رغب رسول الله ﷺ في المصافحة بغفران الذنوب لمن يتصافحان من المسلمين، ومن المعلوم أن المصافحة دليل على عدم وجود شحناء أو كراهية بين المتصافحين، وفيها إظهار للمودة والحب، وقد حثّ النبي ﷺ على إظهار المودة والمحبة فقال: ((إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ))[1]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَعْلَمْتَهُ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: أَعْلِمْهُ)). قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ[2].

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (فليخبره أنه يحبه): "لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة"[3]، وقال الخطابي: "معناه الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له وواد له، قبل نصيحته، ولم يرد عليه قوله في عيب إن أخبره به عن نفسه أو سقطة إن كانت منه، وإذا لم يعلم ذلك منه لم يؤمن أن يسوء ظنه فيه فلا يقبل منه قوله، ويحمل ذلك منه على العداوة والشنآن.. والله أعلم"[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٢٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٧٤).

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي ٢١٨٧.

(٤) معالم السنن ٢١/٨ - ٢٢.

الحديث رقم (٨٨٨)

٨٨٨- وعن البراء رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أنْ يَفْتَرِقَا)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الظاهرة البارزة للجمال التعبيري في هذا الحديث هي التصوير بالفعل المضارع حيث صور الفعل الأول (يلتقيان) صورة إقبال المسلم على أخيه بالبشر، تعلوه طلاقة وجه، وابتسامة ثغر، وتصور الفاء في الفعل الثاني (فيتصافحان) السرعة التي توحي بالحفاوة المنبعثة من القلوب العامرة بمحبة في الله، والفعل يتصافحان يصور تلامس الأيدي، ويلوح في العقل مشهد تساقط الذنوب كغبار كان في أيديهما نفضاه من إثر المصافحة، ثم يصور الفعل الثالث (يفترقان) مشهد الفراق، وقد قصد كل واحد منهما جهته، ولكن بعد ثبات مغفرة دل عليها الفعل الماضي الوحيد في الحديث (غفر) ليعطي الحكم بصيغته صفة التحقق، ويؤكده أسلوب القصر الذي انتظم هذا المعنى حيث قصر اللقاء على الصفة المذكورة على المغفرة لا يتعداها إلى العقاب.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٥٢١٢. قال الترمذي ٧٥/٥: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من حديث إبي إسحاق عن البراء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٠٥ وأعله بالاضطراب في إسناده.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٨٩)

٨٨٩- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟ قَالَ: ((لاَ)). قَالَ: أفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: ((لاَ)) قَالَ: فَيَأخُذُ[1] بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) رواه الترمذي[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يلتزمه: يعتنقه ويضمه إلى نفسه[3].

الشرح الأدبي

الحديث حوار تعليمي يتكون من سؤال، وجواب يصحح بعض الخطاء الاجتماعية، وقد بدأه الرجل بسؤال للرسول ﷺ (الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟) وهو استفهام على حقيقته، وانحناء المسلم لا يكون إلا لله وحده مصدر عزته فكان رد الرسول ﷺ نفياً قاطعاً قائماً على الإيجاز، (لا) أي لا ينحني له ثم كرر السؤال مع تغيير المسؤل عنه (: أفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟) أي يضمه إليه، والإجابة كالسابقة أسلوباً، ومعنى، والسؤال الثالث: (فَيَأخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟) فكانت الإجابة بإقرار المصافحة.

---

(١) لفظ الترمذي: (أفيأخذ) بلفظ الاستفهام.

(٢) برقم ٢٧٢٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ٢٠٦٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما أشكل عليهم من الأمور.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاقتداء بهدي النبي ﷺ عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما اشكل عليهم من الأمور:

يظهر ذلك في الحديث من سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ في الانحناء عند الملاقاة والمعانقة والالتزام، والسؤال عما أشكل له أهمية كبيرة في رفع الجهل، وتحصيل العلم، وقد كان ذلك ديدن الصحابة رضي الله عنهم فكانوا حريصين على سؤاله ﷺ عما أشكل عليهم، ومن أمثلة حرصهم رضي الله عنهم على ذلك ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إدواةً لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها قال: من هذا؟ فقال: أنا أبو هريرة. فقال: ((ابغِني أحجاراً استنفِض بها، ولا تأتِني بعظمٍ ولا برَوثةٍ)). فأَتيته بأحجار أحملها في طرَفِ ثوبي حتى وَضعتُ إلى جَنبهِ، ثم انصرَفت، حتى إذا فَرغ مَشيتُ معهُ فقلت: ما بال العظم والرَّوثةِ؟ قال: ((هُما مِن طَعامِ الجنّ، وإنه أتاني وَفدُ جنِّ نَصيبينَ - ونِعمَ الجنُّ - فسألوني الزادَ، فدعَوتُ اللَّهَ لهم أن لا يمرُّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً))[1].

فأبو هريرة رضي الله عنه في الحديث لما جهل سبب طلب رسول الله ﷺ الأحجار فقط، وتجنيبه العظم والروثة ليستنجي بها، سأله فقال: ما بال العظم والروثة؟ فترتب على هذا السؤال بيان الحكمة ورفع ما أشكل عليه، وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤاله ﷺ فيما أشكل عليهم من الأمور.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٦٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان:

هذا ما بيّنه النبي ﷺ في الحديث عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان بعد سؤال الصحابة رضي الله عنهم لذلك، وقد بيّن ابن عثيمين ذلك فقال: "وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام: فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك: أننحني، قال: لا، قال السائل: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: لا. فإذا لاقاه؛ إنه لا يلتزمه - أي: لا يضمه إليه - ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم؛ لأن فيه نوعاً من الخضوع لغير الله عز وجل بمثل ما يفعل لله في الركوع، فهو منهي عنه، ولكنه يصافحه وهذا كاف، إلا إذا كان هناك سبب، فإن المعانقة أو التقبيل لا باس به، كأن كان قادماً من سفر أو نحو ذلك"[1]، وقال ابن علان: "ومن البدع المحرمة الانحناء عند اللقاء بهيئة الركوع، قال ابن الصلاح: يحرم السجود بين يدي المخلوق على وجه التعظيم، وإن قصد بسجوده الله تعالى، وما ذكره الله تعالى من قوله في أخوة يوسف: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[2]، فذلك شرع من قبلنا وهو ليس بشرع لنا"[3]، وفي ذلك بيان لهديه ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان.

ثالثاً- من آداب المدعو: الاقتداء بهدي النبي ﷺ عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان:

الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ معناه: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين[4]، وإن الله تعالى قد أرشدنا وأمرنا أن نقتدي برسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]، قال ابن كثير: "وهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"[6]، ويقول ابن حزم: "فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٦٤/٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٢.

(٤) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتدي بمحمد ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه[1]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ ويتأسى به في كل شأنه. ومن ذلك هديه ﷺ عند ملاقاة أصحابه رضي الله عنهم.

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٣٤.

الحديث رقم (٨٩٠)

٨٩٠- وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ ﵁، قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، فَأَتَيَا رسولَ الله ﷺ، فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ... فَذَكَرَ الْحَدِيث إِلَى قَوْلِهِ: فقَبَّلا[١] يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذيُّ[٢] وغيره بأسانيد صحيحةٍ.

ترجمة الراوي:

صفوان بن عسال: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩).

غريب الألفاظ:

آيات: جمع آية: العلامة والأمارة[٣].

بيِّنات: جمع بيِّنة: واضحة[٤].

الشرح الأدبي

قوله (اذهب بنا) كناية عن اتفاقها على ما نوياه، وقوله (إلى هذا النبي) يوحي بميلهما إلى الإسلام، وببوادر الإيمان يفهم ذلك من إشارة القريب، ومن ذكرهم صفة النبوة، والتي تشير إلى اعتراف ضمني بنبوته، ولو كانا شاكين لقالا: اذهب بنا إلى من يدعي النبوة مثلاً، ثم سرعة ذهابهما إليه التي تدل عليها الفاء التي ربطت فعل الإتيان بما قبله، ثم إن سؤالهما عن آيات معينة يشير إلى أنهما سمعا خبر ما جاء به فوافق علمها دون ما يدفع لإنكاره من كبر، أو خوف فأرادا الإسلام، ثم إن فعلهما مع الرسول ﷺ بتقبيل يده، ورجله، والشهادة بنبوته يشير إلى ذلك.

---

(١) لفظ الترمذي: (فقبلوا) بلفظ الجمع.

(٢) برقم ٢٧٣٣ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/: هذا حديث صحيحٌ لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ي ي).

(٤) الصحاح في (ب ي ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: معجزات النبي ﷺ وإخباره لليهود تسع آيات بينات وزيادته العاشرة الخاصة بهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقبيل يد ورجل رسول الله ﷺ.

رابعًا: من آداب المدعو: قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

(إن طبيعة الدعوة الإسلامية أنها دعوة عامة تشمل الناس كافة، على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم وثقافتهم وأديانهم)[1]، فشملت في ذلك اليهود، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من أن رجلاً يهودياً قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بيِّنات وذكر لهم النبي ﷺ تسع آيات فقبلا يده ورجله وقالا: "نشهد أنك نبي".

(واليهود هم أهل علم وكتاب سماوي، ورثوه منذ قرون. ولكنهم ورثوا نصوصه، ولم يرثوا روحه؛ فاستقرت نصوصه في أدمغتهم، وأفقرت نفوسهم من روحه ومثله العليا. وطال بهم الأمد فقست قلوبهم وفسق أكثرهم عن أمر ربه. ودخلهم حب الدنيا وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه، فهم يأخذون عرض هذا الأدنى باطلاً وسحتاً ويقولون: سيغفر لنا، وأن يأتيهم عرض مثله يأخذوه في غير تورع ولا استحياء، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، فلن تمسهم النار إلا أياماً معدودة ... وهكذا أخضعوا دينهم لدنياهم. واشتروا بكتابهم ثمناً قليلاً ... ذلك موجز أمرهم وأمر آبائهم من قبل.

فلما جاء رسول الله ﷺ المدينة، حدد علاقته بهم بمحالفة مرضية، تكفل لهم الأمن والنظام والحرية، والعيش الحسن، لو أرادوا. لكنهم لما رأوا قوته تزداد، وسلطانه يعظم، ودينه يهيمن، وزمام الأمور الاقتصادية والسياسية ينتقل إليه، أكلت

---

(١) انظر: كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن، ص٢١.

قلوبهم الغيرة، وزاد بهم الحقد والغيظ. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(١). وقد سجل القرآن غيرتهم وحقدهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(٣). ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٤).

وإلى جانب غيرتهم وحقدهم، كانوا تشككون ويستهزئون بآيات الله وشعائره، وهذا ما أثبته القرآن في عديد من آياته، وعلى الرغم من ذلك كان موقف النبي ﷺ في الدعوة إليهم على النحو التالي:

١- الجدال بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٥).

والنفس القوية المؤمنة لا يعقل أبداً أن تتازل الأدنياء بسلاحهم... ولقد ظل رسول الله ﷺ صابراً على ما ذكرنا من أمرهم أخذاً بالتي هي أحسن، ولو شاء لانتقم منهم لدين الله، وفي يده من السلطان والقوة المسلحة ما يعينه على هذا، لكنه ترك أمرهم لله، وظل على جدالهم بالحسنى والمنطق القوي.

حقاً لقد أجلى رسول الله ﷺ بعضهم عن المدينة وقتل الآخرين، ولكن لم يكن هذا انتقاماً لما حرفوا في الكتاب أو نحوه، إنما كان لأنهم نقضوا محالفتهم معه،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٩.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

وحاول بنو النضير أن يقتلوه غدراً في إحدى زياراته لهم، وهموا -فعلاً- بما حفظ الله منه نبيه، وذكر قصتهم في سورة الحشر.... وغدر بنو قريظة في غزوة الخندق، ودبروا من الخيانة ما لو تم أمره لما بقي مسلم واحد على ظهر الأرض، ولتغير مجرى التاريخ، وكانت الدنيا على غير ما نراها الآن. وقصتهم مفصلة في كتب السيرة، وقد أورد القرآن طرفاً منها في سورة الأحزاب.

فرسول الله ﷺ، ما كان يأخذهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، والصفح عما يأتون من جرائم الذلة والدس والحسد ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٢- دعوتهم إلى الإيمان بالرسل جميعاً، وبالكتب المنزلة كلها، لأن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب والرسل، ومادام الجميع يدعون إلى الله، وغايتهم واحدة، وكتبهم متفقة في القواعد والأصول، فالإيمان بهم جميعاً واجب، ونصرة من يجيء من هؤلاء الأنبياء واجبة، لأنها نصرة لله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

وهذه دعوة خالصة، إذا وجهت إلى من يدعو إلى الله فرح بها، ولا يضيق بأهلها، فالدعاة إلى الله مجاهدون لغاية واحدة، يفرح بعضهم ببعض وينتصر بعضهم بنصر بعض، وكلما نزلت إلى الميدان طائفة جديدة، تعمل بعملنا وتدعو بدعوتنا، ولها شاهد في كتبنا، وجب أن نفرح بها، لأنها تعزيز لقوتنا ... أما مناوأتها والتفرغ لخذلانها، فهو شان من يعمل لنفسه لا لله.. ولهذا رأينا اليهود يضيقون ذرعاً برسول الله ﷺ، لقد

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨١.

دعاهم إلى الإيمان بالكتب كلها لا بكتابه فقط، فأي حرج في هذا؟ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾[1].

٣- تذكيرهم نعم الله عليهم، وما خصهم به من فضل: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ... وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ... وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[2]... إلخ، وهو أسلوب إذا تقربت به لأعدى أعدائك، لان وأسلس، ولكن الأناني الحاقد الذليل، لا يرضيه إلا أن يخلو له وحده وجه الأرض.

وكان لابد من الحملة عليهم، وتعقب مخازيهم، وهتك أستارهم وأسرارهم ولكنها حملة هي غاية في العدل، فلم تتجاوز تقرير الحقائق، وقد استمر الرسول ﷺ على هذه الدعوة العامة يقررها، ويثبتها في إنسانية سمحة فسيحة، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ... وهو موقف لا تعلق به ذرة من غبار، موقف القوي بإيمانه، الواثق من وعد ربه)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: معجزات النبي ﷺ وإخباره لليهود تسع آيات بينات وزيادته العاشرة الخاصة بهم:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهم... الخ" وفي بيان قال ذلك الطيبي: (والمراد بالآيات ههنا. إما المعجزات التسع وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات، وعلى

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٤٧-٥٧.

(٣) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١١-٣٢١.

هذا فقوله: لا تشركوا كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب، ولم يذكر الراوي الجواب استغناء بما في القرآن أو بغيره)[١]، (ويقصد الطيبي: بما في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾[٢].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات، وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون، وهى: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. آيات مفصلات. قاله ابن عباس)[٣].

وقال الطيبي: "والأظهر أن اليهود سألوا عما عندهم من الآيات المنصوصة بالعشر، وكانت تسع منها متفقاً عليها بينهم وبين المسلمين، وواحدة مختصة بهم، فسألوا عن المتفق عليها وأضمروا ما كانت مختصاً بهم، فأجابهم ﷺ عما سألوه، وعما أضمروا، ليكون أدل على معجزته، ولذلك قبل يده"[٤].

وقد ورد عن الترمذي في سننه تفصيل ذكر الآيات البينات التي سئل عنها النبي ﷺ فقال ﷺ: " لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَلاَ تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلاَ تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلاَ تُوَلُّوا الفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ"[٥]، ثم قال ﷺ "وعليكم خاصة" أي: "مخصوصين بهذه العاشرة، وهى "ألا تعتدوا في السبت"، أى لا تتجاوزوا أمر الله في تعظيم السبت بأن لا يصيدوا السمك فيه"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١/١٩٣-١٩٤. وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/١٢٤.

(٤) شرح الطيبي ١/١٩٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٧٣٣، ضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥١٧).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٠.

وقد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات، ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[(١)]، [(٢)]، وكان من ذلك إخباره ﷺ عن القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلم ذلك، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه تعنتاً وتعجيزاً عن أخبار تلك القرون السالفة. فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً.

بالإضافة إلى ما جاءت به السنة المطهرة من تفصيل ودقائق عن أخبار تلك الأمم السابقة والأنبياء السابقين مع أقوامهم. وأشباه ذلك مما صدّقه فيه علماؤهم ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك فمن مُوَفّق آمن بما سبق له من خير ومن شقيٍّ معاند حاسد[(٣)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل يد ورجل رسول الله ﷺ:

لقد أتى اليهودي وصاحبه إلى رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، وأجابهم المصطفى ﷺ، فلما علما أنه رسول الله حقًا أقبلا عليه يقبلان يده ورجله وهذا واضح في قول صفوان بن عسال رضي الله عنه "فقبلا يده ورجله".

قال المباركفوري: (والحديث يدل على جواز تقبيل اليد والرجل)[(٤)]، وقال ابن عثيمين: (إن هذين الرجلين قبلا يد النبي ﷺ ورجله، فأقرهما النبي ﷺ على ذلك، وفي هذا جواز تقبيل اليد والرجل للإنسان الكبير الشرف والعلم، كذلك تقبيل اليد والرجل من الأب والأم وما أشبه ذلك، لأن لهما حقًا، وهذا من التواضع)[(٥)].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٥٢٠.

(٣) المرجع السابق ٥٤٤.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٦٩.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١١٦٦.

ومما يدل على جواز تقبيل اليد والرجل حديث زارع، وكان في وفد عبد القيس عند قدومهم على النبي ﷺ حيث قال: ((لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله "ورجليه"))[١].

رابعاً- من آداب المدعو: قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها:

هذا ما يظهر في الحديث من قول الراوي "فقبلا يده ورجله"، وقالا: نشهد أنك نبي، "فمن الواجبات التي أنيطت بالمدعو أن يقبل هذه الدعوة المباركة التي تنقذه من النار وغضب الله تعالى، لأنها دعوة له فيها خير، محتاج إليها، فيها حياته، فيها عزه ومنعته، فيها خير الدنيا والآخرة. وقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز شأن عباده الذين سمعوا نداء الحق والإيمان فآمنوا، وعلى أي مدعو في هذا الزمان أن يكون مثلهم، فيقبل دعوة الإسلام، وينقاد للحق، وينقذ نفسه من الهلاك، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[٢]"[٣].

(وبناء على ذلك فعلى غير المسلمين أن يستمعوا إلى دعوة الإسلام، وأن ينبذوا التقاليد ولا يعطلوا عقولهم، وأن يفهموا طبيعة هذا الدين وما يدعو إليه)[٤]، ثم (ينهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين، وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك)[٥]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٢٥، وحسنه الألباني دون ذكر الرجلين (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥٣).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٣.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٤٢٤.

(٤) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د.عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ١٨٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٩.

لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[١]، (فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوا فكرهم، وتدبروا أحوال الرسول ﷺ وماجاء به، وتجردوا من العصبية والهوى، لتبين صدقه ولآمنوا بما جاء به)[٢].

---

(١) سورة سبأ، آية: ٤٦ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٩.

الحديث رقم (٨٩١)

٨٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قِصَّةً[1]، قَالَ فِيهَا: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلْنَا يَدَه. رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري جاء في صورة مركزة علي شاهد تشريعي مقتضب من قصة شملت سبب الحديث، وبداية خبر الراوي خالية من المؤكدات، ولعله قابل بها خالي الذهن من الخبر، وقوله (فدنونا) التعبير بالدنو في هذا المقام فيه تواضع هذا موضعه وتقدير، وإجلال للرسول ﷺ هو أهله، وعرفانا بالجميل من صحابته هم أوفى الناس به، مع ما ينبيء به من محبة، ومودة، ثم إن إسناد الدنو، والتقبيل لناء الفاعلين يشير إلى أنه شعور جماعي، كما يشير من طرف آخر إلى توكيد الفعل؛ لأنه أشبه المجمع عليه بخلاف فعل الواحد، وإن ثبت به الفعل لكن فعل الجماعة أوكد، وقوله (فقبلنا يده) الفاء توحي بسرعة تدلل على الحفاوة، والإجلال، والتقبيل في هذا المقام فيه من ما فيه من معاني الإقبال، والقبول، والرضي، والإجلال بتقبيل يد حُقَّ على كل مسلم تقبيلها في كل زمان، ومكان، إن لم يكن بمس البنان فبمتابعة السنة، وتمام الإيمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ.

---

(١) وهذه القصة أخرجها أيضًا أبو داود برقم ٢٦٤٧ بنفس الإسناد.

(٢) برقم ٥٢٢٣. عدّه الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٧/١١: من جيد ما ورد في الباب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن قصة لم يذكرها النووي، وذكرها أبو داود في سننه قال فيها فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده.

فأفاد الإخبار تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ دون أن ينكر عليهم، فأخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن ذلك وهذا ما ينبغي على جميع الدعاة، إذ أن من علم الحق وعرفه واهتدى إليه، فينبغي عليه أن يخبر به غيره من المدعوين، حتى يستجيبوا له، ويهتدوا إليه، فأسلوب الإخبار أسلوب دعوي مفيد في تبليغ الدعوة للمدعوين ونشرها بين فئات المسلمين وغيرهم، ممن طلب الحق وأراد الهداية والتسليم ومن لم يرد، لإقامة الحجة عليه بتبليغه وإخباره بما ورد من أصول الدين وفروعه، الشامل لكل صغير وكبير في حقيقة الدنيا والدين.

ثانياً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك من الحديث في قوله الراوي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة وقد ذكرها أبو داود في سننه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حدثه: "أنه كان في سرية من سرايا رسول الله ﷺ قال: فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص، فلما برزنا "فزعنا" قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤْنا بالغضب، فقلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها "لنذهب" ولا "فلا" يرانا أحد. قال: فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا. قال: فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون "الفارون" فأقبل إلينا فقال: "لا بل أنتم العَكّارون"[1]، قال: فدنونا فقبلنا يده، فقال: "أنا فئة المسلمين"[2] والقصة من وسائل الدعوة المهمة؛ إذ (تمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم، وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم،

---

(١) العَكّارون: العَكّارُ الذي يولي في الحرب ثم يكر راجعاً مشتاقاً للجهاد. انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ع ك ر).

(٢) سنن أبي داود ٢٦٤٧.

وبيئتهم الطبيعية والزمنية. تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ومضيت مع الحوار والنقاش - عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم، وضقت ذراعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية، حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن، وتعاشرهم وتحيي بينهم.

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصصي البارع، استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب، فهي بالميزة الأولى تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان. وترفع نبض المشاعر.. وهي بالميزة الثانية: ميزة التنبه والتقبل، تجعل النفوس أوعية مفتوحة، يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار.

فعلى الداعية أن يستمسك بالقصة كوسيلة دعوية، وليعلم أنها من سنة الله تعالى، والله عز شانه قد سنها في القرآن الكريم، فقص على رسوله أحسن القصص، وضمنه خير التعاليم والمواعظ تثبيتاً له ولأمته على الحق: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وخير القصص كله، قصص القرآن الكريم... فلقد أحكمت به عروة العقيدة، واكتمل نظام الأخلاق، واشتدت به أركان الحضارة الإسلامية، فكانت أوفى وأكمل الحضارات ...)[2].

فينبغي أن يستعين الداعية بقصص القرآن الكريم في تبليغ الدعوة، فإنه يسعف الداعية بما لا يسعفه به قصص أخرى.

ومن القصص التي يجب أن يستعين بها الداعية قصص رسول الله ﷺ وهذا

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٤٤-٤٥.

القصص يأتي في المرتبة بعد قصص القرآن الكريم[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل الصحابة ﵃ ليد النبي ﷺ:

يظهر ذلك من قول ابن عمر ﵄: فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده.

قال ابن عثيمين: (وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، وتقبيل اليد كتقبيل الرأس ليس بينهما فرق، لكن عجبًا أن الناس الآن يستنكرون تقبيل اليد أكثر من استنكارهم تقبيل الرأس، وهو لا فرق بينهما، لكن الذي يُنْتَقَد من بعض الناس أنه إذا سلَّم عليه أحد مَدَّ يده إليه وكأنه يقول: قبِّل يدي، فهذا هو الذي يستنكر، ويقال للإنسان عندئذ لا تفعل، أما من يقبل اليد تكريمًا وتعظيمًا أو الرأس أو الجبهة فلا بأس به[٢].

وقد فصل القول في ذلك العظيم آباد فقال: وتقبيل اليد وردت فيه أحاديث ... وآثار صحيحة عن الصحابة والتابعين ﵃، وذكر بعضهم أن مالكًا أنكر ماروى فيه وأجازه آخرون.

قال الأبهري: إنما كرهها مالك على وجه التكبر والتعظيم لمن فُعل ذلك به، فأما إذا قبل إنسان يد إنسان أو وجهه أو شيئًا من بدنه ما لم يكن عورة على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز، وتقبيل يد النبي ﷺ يقرب إلى الله وما كان من ذلك تعظيمًا لدنيا أو لسلطان أو لشبهة من وجوه التكبر فلا يجوز[٣].

وقال المباركفوري: قال النووي: تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو عمله أو شرفه أو صيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية، لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة، وقال أبو سعيد المتولي: لا يجوز[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢/٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٩/٢.

الحديث رقم (٨٩٢)

٨٩٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرسولُ الله ﷺ في بَيتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ [١] يَجُرُّ ثَوْبَهُ[٢]، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رواه الترمذيُّ[٣]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن موقف بين الرسول ﷺ وبين زيد بن حارثة رضي الله عنه وكيفية استقبال الرسول ﷺ له، وقولها (في بيتي) يشير إلى خصوصية البيت، وقولها: (فأتاه فقرع) تتابع الفاء في العطف يوحي بشدة شوق زيد بن حارثة رضي الله عنه و (ال) في الباب للعهد، وهو باب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقولها (فقام النبي ﷺ إليه) يوحي بالحفاوة، والسرور، يؤكد ذلك قولها (يجر ثوبه)، وهو كناية عن السرعة شأن الحبيب إذا رأى حبيبه مقبلاً عليه، وقولها (فاعتنقه، وقبله) الفاء تدل على مزيد حفاوة ضرورة أنها تدل على الإسراع، والتعبير بالاعتناق يدل على تمكن المحبة، وتقبيله دليل عليها، مع ما يوحي به الفعلان من تقدير واحترام وزيادة خصوصية لحبه زيد بن حارثة، فهنيئاً له محبة رسول الله ﷺ، وأعظم بها من محبة ا حري بكل مسلم أن يسعى إليها بإحياء سنته النبي ﷺ.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (عريانًا).

(٢) عند الترمذي زيادة: (والله ما رأيته عريانًا قبله ولا بعده).

(٣) برقم ٢٧٣٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستئذان.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المعانقة والتقبيل.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستئذان:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في استئذان زيد بن حارثة رضي الله عنه، عندما قدم المدينة على رسول الله ﷺ، وذلك من قول عائشة رضي الله عنها فأتاه فقرع الباب، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، (والاستئذان من الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين وأمرهم بألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاثاً، فإن لم يؤذن له، وإلا انصرف)[2]، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بذلك فقال: "ربعى بن حراش، حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ، وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه. أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ، فدخل"[3].

قال ابن عثيمين: (والاستئذان: يعني طلب الإذن أن تطلب من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول، فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل، حتى لو قال لك بصراحة: ارجع، فارجع كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ

(١) سورة النور، آية: ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦..

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٢).

لَكُمْ﴾[١])[٢] . قال ابن كثير: أي (رجوعكم أزكى لكم وأطهر)[٣].

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع:

هذا ما يستفاد في الحديث من تواضعه ﷺ في قيامه لاعتناق وتقبيل مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، (والتواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وبين أن ذلك من أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥]،[٦] والتواضع في الحقيقة هو إلانة الجانب مع عزّة في نفس وإباء للضيم)[٧]، فعلى الداعية أن يقتدي في ذلك بالنبي ﷺ فالتواضع بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح وبالمرشدين أقبح، لأن الناس بهم يقتدون، وكثيراً ما يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أجدى"[٨].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المعانقة والتقبيل:

قد ورد ذلك في الحديث من معانقة النبي ﷺ وتقبيله لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، عند قدومه إلى المدينة.

---

(١) سورة النور، آية: ٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٥٧/٢-١١٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١/٦.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) دعوة الإسلام، السيد سابق ص ١٩٦.

(٧) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٥٧.

(٨) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على بن صالح المرشد، ٢١٦.

وقد بين ابن عثيمين ذلك فقال: ("سئل النبي ﷺ عن ذلك إذا لاقى الرجل أخاه أينحني له؟ قال: لا، قال: أيقبله ويعانقه؟ قال: لا، قال: أيصافحه، قال: نعم"[١]. فالحديث صريح في النهي عن الانحناء والتقبيل والمعانقة عند اللقاء المعتاد، لكن إذا كان هناك سبب كالغائب فلا بأس)[٢]. وقال المباركفوري: (وفي حديث معانقة النبي ﷺ وتقبيله لمولاه زيد بن حارثة لدليل على مشروعية المعانقة للقادم من السفر وهو الحق والصواب)[٣]، وخير دليل على ذلك فعل جابر بن عبدالله، (فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه انه بلغه حديث «عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال فابتعت بعيرا فشددت إليه رحلي شهرا، حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرا بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما، قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد أحسبه قال كما يسمعه من قرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بهما قال بالحسنات والسيئات»[٤].

"والتقبيل عند اللقاء لم يكن من عادة السلف"[٥]، (ولكن إن كان على وجه البر والكرامة، أو لأجل الشفقة عند اللقاء والوداع، فلا بأس)[٦]، وهذا ما أكده نص الحديث في تقبيل النبي ﷺ لزيد بن حارثة عند قدومه المدينة، وفي تأكيد جواز

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨١٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٦٤).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٧٠، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٤٦).

(٥) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٨٠.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٠/١٣.

التقبيل من أجل الشفقة والكرامة، قال البراء رضي الله عنه: ((دخلت مع أبي بكر أول ما قدم المدينة فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمَّى، فأتاها أبو بكر فقال لها، كيف أنت يا بنيه؟ وقبل خدها))[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشْبَهَ سَمْتاً وَهَدْياً وَدَلاً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا))[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ:

زيد بن حارثة رضي الله عنه هو حِبّ رسول الله ﷺ وأبو حبه، وكانت له مكانة عظيمة عند النبي ﷺ.

وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها: "قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه، فاعتنقه وقبله".

وزيد بن حارثة رضي الله عنه هو الصحابي الجليل، الذي قال فيه ابن عمر، رضي الله عنهما: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣])[٤]. وما ذلك إلا لعظيم منزلته عند النبي ﷺ وما يؤكد ذلك، قول عائشة رضي الله عنها: (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقي بعده استخلفه)[٥]، (وعن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ: "لاتلومونا على حب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥١).

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤٧).

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥ .

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٨٢، ومسلم ٢٤٢٥ واللفظ له.

(٥) أخرجه أحمد ٢٢٧/٦ رقم ٢٥٨٩٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٧٤/٤٣.

زيد"، يعني ابن حارثة، قال إسماعيل: وسمعت الشعبي يقول: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة إلا أمره عليهم)[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمرته، فقال النبي ﷺ، إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده"[(٢)].

(وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: اجتمع جعفر وعلي وزيد بن حارثة فقال جعفر: أنا أَحَبُّكُم إلى رسول الله ﷺ، وقال علي: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، وقال زيد: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، قال: فانطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، قال: فخرجت ثم رجعت فقلت: هذا جعفر وعلي وزيد بن حارثة يستأذنون، فقال رسول الله ﷺ: «ائْذَنْ لَهُمْ» فدخلوا فقالوا: يا رسول الله جئناك نسألك من أحبّ الناس إليك قال: «فاطِمَة» قالوا: نسألك عن الرجال قال: أَمَّا أَنْتَ يا جَعْفَرُ فَيُشْبِهُ خَلْقُكَ خَلْقي وَيُشْبِهُ خُلُقَكَ خُلُقي وَأَنْتَ إِلَيَّ وَمِنْ شَجَرَتي وَأَمَّا أَنْتَ يا عَلِيُّ فَأَخي وَأَبو وَلَدي وَمِنّي وَإِلَيَّ وَأَمّا أَنْتَ يا زَيْدُ فَمَوْلايَ وَمِنّي وَإِلَيَّ وَأَحَبُّ الْقَوْمِ إِلَيَّ)[(٣)].

وفي ذلك بيان على عظم مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٠٧، وقال محقق المستدرك: حديث مرسل صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٣٠.

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٤/٥ رقم ٢١٧٧٧، وقال محققو المسند: إسناد ضعيف ٣٦/١١٠-١١١.

الحديث رقم (٨٩٣)

٨٩٣- وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ انْ تَلْقَى اخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[٢].

طلق: منبسط مستبشر[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ أسلوب النهي (لا تحقرن) وهو نهي توجيه، وإرشاد، أي لا تستقل عمل الخير مهما صغر في عينيك، وتوكيد الفعل بالنون يصعِّد الإحساس بأهميته، والتعبير بالمعروف يوحي بمعاني العطاء، والصلة، والبر، وغيرها من أعمال الخير مهما تفاوتت قلة، وكثرة ؛لأنه علم عليها، وتنكير كلمة (شيئاً) يشير إلى التعميم ليشمل ما قل، وما كثر، ثم قدم صورة مبسطة لعمل من أعمال البر في ثوب الشرط محذوف الفعل (وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) وتقديره - والله أعلم - ولو كان المعروف أن تلقى...) والتعبير بلفظ الأخوة للتذكير بحقوق تلك الرابط من رعاية، وعناية، وإعانة، وما أجمل التعبير بكلمة طلق للدلالة على انبساط أسارير الوجه، والتبسم، والإقبال، ولا ننسى دلالة الباء المتصلة بالوجه، والتي تنادي بملازمة الطلاقة للوجه في كل مرة يلق الأخ أخاه فيستجد معروفاً يتقرب به إلى الله، ويملأ قلبهما محبة، والعبارة كلها (أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) كناية عن البشر، والحفاوة، وحسن الاستقبال.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم ٢٦٢٦/١٤٤، وتقدم برقم ١٢١، و٦٩٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ل ق).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (١٢١).

الحديث رقم (٨٩٤)

٨٩٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَبَّلَ النبيُّ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما[1] ، فَقَالَ الأقْرَعُ بن حَابِسٍ: إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدًا[2]... فَقَالَ رسول الله ﷺ : ((مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ!)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة إنسانية تنم عن رقة، وحنان، ورحمة مع الصغار من أكثر القلوب رحمة قلب الرسول ﷺ، والموقف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان بين الأقْرَعُ بن حَابِسٍ، وبين الرسول ﷺ حين رآه يقبِّل الحسن فقال الأقرع رضي الله عنه : (إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدَاً) وبناء عبارة الأقرع يدل على قسوته، لأنه بناها مؤكدة بأكثر من مؤكد مع تقديم الجار والمجرور (لى) الذي يفيد الاختصاص يعني أنهم أبنائي، وليسوا أبناء غيري، ثم أسلوب النفي الداخل على الماضي المحقق مع الاستغراق بـ (من) المتصلة بضمير الجمع، والنكرة الواقعة في سياق النفي الدال على العموم (أحد)، ولذلك جاءت عبارة الرسول ﷺ مدوية في سمعه تقرر أن الجزاء من جنس العمل (مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ !) في جناس يقرر هذا المعنى، ويرسخ العبارة في الأسماع، والعقول رحمة للراحمين، وحرماناً للقساة الجافين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) عند البخاري زيادة: (وعنده الأقرع بن حابس التميميّ جالسًا).

(٢) عند البخاري زيادة: (فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثمَّ).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٩٩٧، ومسلم ٢٣١٨/٦٥، وتقدم برقم ٢٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٤٢.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٢٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تعليم الآداب والأحكام الشرعية في الحياة الاجتماعية:

إن من مقتضيات التربية الإسلامية، أن يقوم المعلم بتعليم من يقوم بتربيتهم خاصة الناشئة منهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية كآداب الكلام والطعام والشراب وآداب المشي والجلوس والنوم وآداب التعامل مع الكبار والصغار والمعلم والصديق وغيرهم، وآداب الاستئذان وآداب المساجد وآداب الطريق والسيارة وغير ذلك من أنماط السلوك الاجتماعي التي ينبغي على المسلم الوقوف عليها"[1].

وقد تضمنت أحاديث الباب عدة آداب اجتماعية كإشاعة المودة وتقوية ما بين الناس من صلات وأواصر، كالمصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه، وتقبيل أيدي أصحاب الفضل لا تكلف الناس شيئاً، ومع كون هذه الأمور بسيطة لأنها لا تكلف الناس شيئاً، إلا أن الله يعطي عليها الكثير ويغفر بسببها الخطايا والذنوب، كما جاء في صريح قوله ﷺ: "ما من مُسْلِمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا".

لذا ينبغي على المربي أن يغرس في المتربين التأدب بالآداب الحميدة والخلال الكريمة، والتي منها الآداب الاجتماعية لاحترام ذوي الفضل وتلمس أسباب المودة والوئام بين أفراد المجتمع من طلاقة وجه ومصافحة ونحوهما، وبذلك يشب المتربون على القيم الحميدة والخلال الكريمة والتدريب عليها، "فإذا تدرب الولد على الآداب والأخلاق المستحسنة منذ الصغر ألفها، وأصبحت سَجيَّة له، فما دام أنه في الصبا فإنه يقبل التعليم والتوجيه ويشب على ما عُوِّد عليه كما قيل:

وَيَنشأُ ناشِىءُ الفتيانِ، مِنّا ... على ما كانَ عَوّدَهُ أبُوه

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٦٣، تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٧٢، ١٧٣.

وكما قيل أيضاً:

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولا يلين إذا قوّمته الخشب[1]

ثانياً- التربية على الأدب مع الأكابر:

إن من أهداف التربية الإسلامية التنشئة على الأدب مع الأكابر وأصحاب الفضل، ونرى ذلك جلياً واضحاً في حديث صفوان الذي ينقل لنا صورة من صور احترام الصحابة للرسول ﷺ، فذانك رجلان يهوديان هداهما الله على يد رسوله ﷺ وشهدوا له بالنبوة وقبلوا يده ورجله، فعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ... فقبلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي" كذلك ينقل لنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما صورة مشابهة من تبجيل الصحابة للنبي ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها "فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده" وفي ذلك الدعوة إلى التنشئة إلى احترام أهل الفضل وتبجيلهم، وحفظ أقدارهم، فإن "من محاسن الأخلاق رعاية الأكابر وإنزال الناس منازلهم.

إن ارتباط الطالب مع معلمه وطول لقائه معه يقود إلى التبسط ورفع الكلفة مما يدفع بعضهم إلى إساءة التعامل مع الأكابر والجفاء بحقهم.

ونحن بحاجة إلى أن يحضر المتربون خاصة الشباب، مجالس الكبار ويشاركونهم أحاديثهم، وفي الوقت نفسه يراعى الأدب معهم وينزل الناس منازلهم.

ومما يسهم في تحقيق هذا الجانب -بالإضافة إلى التأكيد عليه والتناول المعرفي- عدة أمور منها:

أ-تنبيه المتربي بصورة مناسبة حين يتجاوز حدود الأدب مع غيره، مع مراعاة ألا يُوَلّد ذلك لديه النفرة من مجالسة الكبار ومشاركتهم أحاديثهم.

ب-احتفاظ المربي بقدر من الاتزان في التعامل مع من يربيه بحيث تبقى الصلة صلة بين معلم وطالب وبين أب وابنه، ولا تتحول إلى صلة زمالة وصداقة، فلا يُفْرط في المزاح

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٦.

ولا يتعامل معه بما ينافي وقار الكبار.

ج-عند وقوع بعض التجاوزات من الطالب ينبغي على معلمه أن يتعامل معها بطريقة مناسبة، فتقبلها يعزز هذا التصرف لديه ويشعره بأنه تصرف مقبول والإغلاظ معه يولد آثاراً غير حميدة، ومن ثَمَّ فتجاهل التصرف بطريقة لبقة تشعره بأن هذه الكلمة، وهذا الموقف غير مناسب وتغني عن التصريح، هذه الطريقة في التعامل مع هذه المواقف -التي كثيراً ما تقع- تسهم في وضوح الصورة بين ما ينبغي فعله مع الأكابر وما لا ينبغي.

د-أن يلمس ممن يربيه رعايته لهذا الجانب، بتوقير معلميه واحترامهم والاعتراف لهم بالفضل والسابقة، ولو صار الآن زميلاً لهم، بل لو فاقهم في بعض المجالات، وهذا دَأْبُ أهل العلم الذين تربوا عليه، نراهم يقدرون شيوخهم ويلهجون بالثناء عليهم والدعاء لهم، مع أن بعضهم قد يكون ممن فاق شيخه علماً وشهرة، وأن يلمس التلميذ من معلمه الأدب مع الكبار وأهل العلم والرأي ولو خالفهم في بعض آرائهم، فحين يرى الطالب ذلك كله من معلمه، يترك فيه أثره بإذن الله عز وجل"[1].

ثالثاً- الرحمة في معاملة الأولاد والتلاميذ:

إنه "بقدر حرص المربين على غرس الروح الإسلامي في الناشئة والحفاظ على صفائه فإنهم مدعوون إلى معاملة تلاميذهم بالرحمة والشفقة التي تحقق نموهم السوي عملاً بهدي الرسول ﷺ، وأسوة بسلوكه الرحيم إزاء صحابته ومجتمعه". الكبار منهم والصغار، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من إظهار محبته وفرحه بأصحابه، وذلك كهشه وفرحه بمقدم زيد بن حارثة، وإسراعه في مقابلته واعتناقه وتقبيله، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة رضي الله عنه المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله"، وكذلك في رحمته بالصغار كما في تقبيله للحسن رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمي...."، إذ أن الرحمة مطلوبة خاصة

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٥٧.

بالأهل والأبناء والتلاميذ.

إن الرحمة إذا كانت محببة ومطلوبة في معاملة الناس بعضهم البعض، فإنها في التربية واجبة أكيدة لا تجوز الغفلة عنها.

إن الهدي النبوي يجعل من الرحمة والرفق زينة وجمالاً يحلي سلوك الناس، كما يجعل من العنف والشدة في غير مواضعها قبحاً يشين أعمالهم، ويزيل ما فيها من رواء وبهاء، وفي ذلك نصح للأمة كلها سيما أولئك الذين يقعدون مقاعد التربية والإرشاد[1].

رابعاً- إدخال السرور والفرح في نفس الطفل والمتربي:

إن السرور والفرح يلعب في نفس المتربي -خاصة الطفل- شيئاً عجباً، ويؤثر في نفسه تأثيراً قوياً، فالأطفال وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح، بل هم أداة الفرح للكبار، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار.

وبالتالي فإن تنمية هذا الشعور المؤثر في نفس الطفل سيورث الانطلاق والحيوية في نفسه، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقي أي أمر أو ملاحظة أو إرشاد.

وقد جاء الإرشاد في أحاديث الباب إلى إدخال السرور والفرح على الجميع -ومنهم الأبناء والمتربون- جاء ذلك على سبيل التوجيه والتلقي المعرفي كما في حديث أبي ذر ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" أم بصورة عملية كما في تقبيله لحفيده الحسن بن علي ﵄، كما جاء في صريح حديث أبي هريرة "قبل النبي ﷺ الحسن بن علي ﵄ وعنده الأقرع بن حابس...".

فلقد كان ﷺ يدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال ويتبع في ذلك شتى الأساليب، فمن ذلك:

-الاستقبال الجيد لهم، كما في حديث عائشة ﵂ الذي ذكر لنا حسن استقبال رسول الله ﷺ وحفاوته بمقدم زيد بن حارثة ﵁.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٥٨.

-تقبيلهم وممازحتهم، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ، وتقبيله ﷺ لابن ابنته الحسن بن علي ﷺ.

-مسح رءوسهم.

-حملهم ووضعهم في حِجْره الشريف.

-تقديم الأطعمة الطيبة لهم، والأكل معهم.

كل ذلك يفعله النبي ﷺ لتأسيس البناء العاطفي وتقويته، وذلك لما للفرح من قوة في التأثير ولما للسرور من براعة في إسعاد الطفل"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أنس بن مالك ﷺ قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يَلْقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبِّله قال: لا. قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم.

والحوار والمناقشة يفيدان في تفعيل دور المتعلم في العملية التعليمية.

ب-الممارسة العملية كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قبَّل النبي ﷺ الحسن بن عليٍّ ﷺ.

والممارسة العملية تتميز بقوة بقاء أثر التعلم وتيسر وصول المعلومة للمتعلم.

ج-استثمار المواقف والفرص: كما في حديث أبي هريرة ﷺ السابق، لما رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل الحسن ﷺ قال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فقال رسول الله ﷺ: "من لا يَرْحم لا يُرْحم". فقد استثمر النبي ﷺ ما وقع، وبيّن للأقرع بن حابس عدم صواب ما كان يفعله من عدم تقبيل أولاده، وذلك من خلال الترهيب فقال ﷺ: "من لا يَرْحم لا يُرْحم".

ومما لا يخفى أن المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يُستثمر المعلم

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١١١، ١١٢.

هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة قد تستعصي على النسيان، فعلى المعلم اللبيب والمربي الحكيم أن يفيد من المواقف والأحداث في توجيه التعليم وتأكيد التربية، وخاصة أن الأحداث والمواقف لا تنقطع، فكل يوم تطلع فيه الشمس تتجدد أحداث وتمر مواقف وتحين فرص.

